

مؤلفات الأستاذ الدكتور
تَمَامَ حَسَّان



مَفَاهِيمُ وَهَوَاوِفُهُ فِي اللِّغَةِ وَالْقُرْآنِ

مَفَاهِيمُ وَمَوَاقِفُ
فِي اللِّغَةِ وَالْقُرْآنِ

• حسان، تمام .

• مفاهيم ومواقف فى اللغة والقرآن

• تمام حسان

• ط 1 - . القاهرة : علم الكتب ، 2010

• 454 ص ، 24 سم

• تدمك : 6-737-232-977 • رقم الإيداع : 2009/16866

1- القرآن - مباحث عامة

أ- العنوان 229

عالم الكتب

• المكتبة :

• الإدارة :

38 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

16 شارع جولا حسنى - القاهرة

تليفون: 23928401 - 2395953

تليفون : 23924626

ص . ب 66 محمد فريد

فاكس : 0020223939027

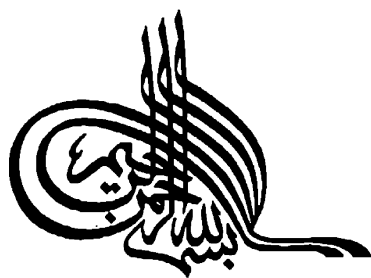
الرمز البريدى : 11518

www.alamalkotob.com — info@alamalkotob.com

مَفَاهِيمُ وَوَأَقْفٌ

فِي اللُّغَةِ وَالْقُرْآنِ

أ.د/ تمام حسان



فهرست

١١	أولاً: مقدمة
١٣	١ - اللغة واللهجات
٣٢	٢ - الفصحى والعامية
٣٦	٣ - قواعد العدول والرد
٤٦	٤ - اكتساب السليقة بالممارسة
٦١	٥ - اكتساب السليقة بالتعليم
٨٧	٦ - الموقع النحوى المجرد والموقع فى بنية الجملة
٩٤	٧ - عناصر معجمية فى التركيب النحوى
١١٥	ثانياً: أفكار بحثية
١١٧	٨ - أنواع الدلالة.
١٣٥	٩ - درجات فى سلم البحث
١٤٧	١٠ - تكرار النفى فى السياق القرآنى
١٥٣	١١ - الفكر الحديث فى دراسة اللغة
١٦٨	١٢ - الفكر الحديث فى النقد
١٨٥	ثالثاً: غيبيات من دراسة النص القرآنى
١٨٧	١٣ - اللغة العربية والهوية الإسلامية

٢٠١	١٤ - مفهوم الوحي في القرآن الكريم
٢٠٦	١٥ - الوحي والتوحيد
٢١٢	١٦ - الألوهية والربوبية
٢٤٤	١٧ - الرسالة والنبوة
٢٥٤	١٨ - رب يوسف كما يؤخذ من القرآن الكريم
٢٦٣	١٩ - دراسات في تراكيب النص القرآني
٢٦٣	مقدمة: أولاً القرآن
٢٦٥	الفاصلة القرآنية
٢٧٦	تراكيب القرآن
٢٧٨	أولاً: بنية الكلمة
٢٨١	الزيادة
٢٨١	الحذف
	حذف الحرف ٢٨١، حذف الكلمة ٢٨٣، حذف شطر الجملة ٢٨٧، حذف كلام يقتضيه المقام ٢٩٣
٣٠٠	ب - الفصل
٣٠٥	ج - تراكيب خاصة
٣١٩	ثانياً: أمن اللبس في القرآن
٣٢٢	أ - معاني لفظية
	كافة ٣٢٢ - بدا ٣٢٣ - رأى ٣٢٣ - مقول القول ٣٢٤ - معاني اللام ٣٢٤ - احتمالات المعطوف عليه ٣٢٥ - معاني الواو ٣٢٦

الربط بما سبق أو بما يلي ٣٢٦ - نيابة الصفة عن المفعول المطلق
٣٢٧ - اتفاق بنية اللفظين ٣٢٧ - الاحتراس بعد التسوية
٣٢٩ - احتمالات صاحب الحال ٣٢٩ - تعليق الجار
والمجرور ٣٢٩ - التباس النعت والخبر ٣٣٠ - الحذف
والذكر ٣٣١

ج - البنية

بنية الكلمة ٣٣٢ - إياك أن ٣٣٢ - إعادة الضمائر ٣٣٣ -
احتمالات الإضافة ٣٣٣ - احتمالات معنى "ما" ٣٣٤

ثالثًا: الاعتراض في القرآن الكريم

رابعًا: الالتفات في القرآن

خامسًا: تكرار مطلع الآية

سادسًا: التفصيل في القرآن

سابعًا: التمثيل في القرآن

ثامنًا: الإيجاز والتلخيص

تاسعًا: ترتيب الأشياء

عاشرًا: التعميم

الحادي عشر: الأدلة القرآنية

الأدلة الفعلية ٣٨٣ - الأدلة الحسية ٣٩٢

ثاني عشر: الردود على المزاعم الخاصة بغرض واحد ٤١٤ -

التي تمزج بين أمور ٤٤٣

ثالث عشر: أكذوبة الغرائق

أولاً : المقدمة

- ١ - اللغة واللهجات
- ٢ - الفصحى والعامية
- ٣ - قواعد العدول والرد
- ٤ - اكتساب السليقة بالممارسة
- ٥ - اكتساب السليقة بالتعليم
- ٦ - الموقع النحوى المجرد والموقع فى بنية الجملة
- ٧ - عناصر معجمية فى التركيب النحوى

اللغة واللهجات

يجلو للكثير من طلاب العربية أن يتحدثوا عن الفصحى واصفين إياها بأنها لغة قريش، ولكن إمعان النظر في نسبة الفصحى إلى قريش فقط ربما يجر إلى بعض التعارض بين هذه النسبة وبين كثير من المسلمات في حقل الدراسات العربية والإسلامية، مثل:

- أ- قوله تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ إذا لم يقل بلسان قرشى مبين.
- ب- اشتغال النصوص الأدبية القديمة على شعر ونثر كثير لا يتمشى مع لهجة قريش. يشهد بذلك الكثير من شواهد النحو وما تواتر من القراءات والأحاديث.
- ج- أخذ النحاة عن عدد من القبائل المنسوبة إلى الفصاحة وهى كما يقول الفارابى فى كتابه الحروف^(١): "قيس وتميم وأسد وطيمى ثم هذيل وبعض كنانة، ولسنا نرى قريشاً بين هذه القبائل.
- د- مخاطبة النبى - صلى الله عليه وسلم - لوفود القبائل بلغات القبائل نفسها، وفى هذا إشارة إلى فصاحة لغات هذه القبائل، وعدم هجتها.
- هـ- تعدد القراءات القرآنية وتعارض أكثرها مع اللهجة القرشية.
- و- معرفتنا ببعض الظواهر التى التزمت بها لهجة قريش مما لا يوجد باطراد فى اللغة العربية الفصحى وذلك كتسهيل الهمزة.

(١) ص ١٤٧. وقد ذكر الفارابى هذه القبائل إلا كنانة فقد رواها السيوطى عنه ولكنها لا ذكر لها فى كتاب الحروف.

فإذا لم تكن الفصحى لغة قریش فماذا تكون إذا؟

يغلب على الظن أن الأوضاع اللغوية العربية في الجاهلية وصدر الإسلام لم تكن تختلف كثيرًا عما نراه اليوم. فكما أن كل بيئة عربية لها لهجتها الدارجة في يومنا هذا كان لكل قبيلة عربية لهجتها القبلية في الجاهلية وصدر الإسلام. وكما أن اللغة الفصحى تختلف بعض الاختلاف من بيئة عربية معاصرة إلى بيئة أخرى بحسب العادات النطقية الدارجة كانت الفصحى في العصرين الجاهلي والإسلامي تختلف من قبيلة إلى أخرى بحسب العادات النطقية السائدة في اللهجة القبلية، ومن هنا سمعنا عن الكشكشة والعجعة والطمطمائية والاستطاء... إلخ في كلام القبائل باللغة الفصحى.

وكما أن أبناء كل بيئة عربية واحدة يتخاطبون فيما بينهم بلهجتهم الدارجة ولا يستعملون الفصحى إلا في مناسبات معينة كالمراسلة والخطابة والصلاة والشعر كان العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي يفعلون ذلك تمامًا.

غير أن هؤلاء العرب الأقدمين كانوا إذا تكلموا هذه اللغة الفصحى تكلموها عن سليقة لا عن تعلم لأنهم كانوا يتوارثونها جنبًا إلى جنب مع اللهجات القبلية وإن اختلفت صورتها على ألسنتهم.

ولقد كان النقاء الذي يوصف به هذا التراث اللغوي يسمى الفصاحة كما كانت اللغة التي تتسم بهذا النقاء توصف بالفصحى مما يوحى بشئ من الموازنة بينها وبين اللهجات القبلية التي سبقت الإشارة إليها. وسنرى فيما بعد أن الفصاحة كانت عاملاً مهمًا في تحديد أهم مصدر من مصادر النحو العربي وهو "السمع"^(١) إذ كانت فصاحة المسموع شرطًا لا يمكن التساهل في أمر المحافظة عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الأقدمين فهموا بالفصاحة النقاء اللغوي الذي لم تصبه

(١) ص ١٣ وما بعدها، وانظر أيضًا ص ٧١.

عجمة، ورأوا أن هذا النقاء يأتي من عزلة القبيلة وعدم مخالطتها لسائر الأمم الأعجمية المحيطة بشبه الجزيرة كالهند والفرس والروم والقبط والحبشة.

ولكن الفصيح من الكلام لم يكن نوعاً واحداً من أنواع النصوص فلقد كان هناك الشعر العربي بأشكاله المختلفة من قصيد إلى رجز وكان هناك النثر العربي خطابةً ومخاطبةً وسجعاً كما كان هناك القرآن الكريم والحديث الشريف، وكان لكل واحد من هذه الأنواع بنية خاصة ومفردات خاصة تشيع فيه وأسلوب معين يتجه به إلى سامعيه وشجاعة معينة في استعمال الرخص النحوية^(١) والصرفية التي تتحدى الاستعمال المطرد.

وكان الشعر أكثر هذه الأنواع تحلاً من تقاليد الاطراد كما تشهد بذلك الشواهد الشعرية الكثيرة في كتب النحو وهي شواهد أتعبت النحاة تخريجاً وتأويلاً فإذا لم يستطع النحاة للشاهد تخريجاً أو تأويلاً قبلوه تحت عنوان (الضرورة الشعرية) وهل يقبل في الكلام العادى الفصيح أن يتقدم المعطوف على المعطوف عليه كما في قول الشاعر:

ألا يانخلصة في ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

أو أن يتقدم المستثنى كقول الكمي:

ومالى إلا آل أحمد شيعه ومالى إلا مذهب الحق مذهب

أو تتحكم القافية في الإعراب كما في قوله:

كان أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قلماً محرفا

أو تسقط صلة الموصول كما في قوله:

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

ومغزى هذا أن للشعر لغته الحفية بالترخص في قرائن المعنى وبالضرورات

(١) انظر ص ١٥.

الشعرية. وهذه نقطة مهمة سنعود إليها عند الكلام عن السماع^(١) الذى هو مصدر من مصادر النحو العربى.

ويلى الشعر فى الترخص القرآن الذى تعدد ترخصه فى بنية الكلمة كأن يقول: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ بدلاً من "طور سيناء" ويقول: ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ﴾ بدلاً من "إلياس" أو يقول: "جبريل وميكال" بدلاً من ميكائيل، أو يقول "أمن لا يهدى إلا أن يهدى" بدلاً من يهتدى إلا أن يهدى، وكذلك "تأخذهم وهم يخلصون" بدلاً من يخلصون، أو "ومن أوفى بما عاهد عليه الله" (بضم الهاء فى عليه) بدلاً من كسرهما.

وكذلك تعدد ترخص القرآن فى العلامة الإعرابية نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مِّمَّنْ﴾ و﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ و﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ﴾ و﴿وَالْقَائِمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

وترخص القرآن فى قرائن أخرى كالمطابقة فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ و﴿هَٰذَا خِطْمَانٍ أَخْتَصَمُوا﴾ و﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، وكالتضام فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤْفَقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ و﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفُ﴾ وهلم جرا.

ويلى الشعر والقرآن فى شجاعة الترخص الحديث النبوى وكلام العرب. وعلى كل فهذه الأنواع المذكورة كلها من لغة الأدب وليست من لغة الكلام اليومى، وهذه نقطة مهمة أخرى سنعود إليها عند القول فى السماع^(٢).

لقد حرص العرب على الرواية والمشافهة كما لم يحرصوا على شئ غيرهما، ذلك بأن العرب كانت أمة غير قارئة ولا كاتبة، وعرفوا ذلك فى أنفسهم حتى أصبحت النسبة إلى الأمة (أمى) تعنى الجهل بالقراءة والكتابة، وعرفوا ذلك فى أنفسهم - فى شأن المشافهة - والرواية فكذلك رووا تاريخ الأقدمين من الأمم وأيام العرب

(١) انظر كتاب اللغة العربية معناها ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر ص ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

والشعر وسجع الكهان حتى إذا ما ظهر الإسلام رأينا المشافهة تصبح عنصرًا مهمًا جدًا حتى لقد عرفوا رواية. القرآن الذى كتب فى حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - ووجدنا التواتر فى الرواية شرطًا فى صحة القراءة.

فالقراءة باطلة إن لم ترتفع سلسلة روايتها إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - بل إن تفسير القرآن فى الكثير من الحالات يصير محددًا إذا حفظت فيه رواية عن النبى أو أحد أصحابه ومن ثم لا يصبح عرضة لاختلاف آراء المفسرين ولا لاجتهادهم.

أما الحديث فقد كانت العناية بالمشافهة فى روايته سببًا فى نشأة علمين من علوم نقده هما: علم المتن وعلم السند أو الرجال، إذ تكفل علم المتن بالنقد الداخلى للنص وعنى علم الرجال بالسند أى بالرواية والمشافهة وأدّى تقسيم الأحاديث بالرواية والمشافهة فى بعض الحالات إلى اختلاف العبارة باختلاف السند وطريق التحمل فكان مما أباحه نقاد الحديث جواز الرواية بالمعنى فحسب الحديث أن ينقل المعنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فإن حفظ النص أيضًا فتلك هى الحسنى وإلا اعتمد الناس على معنى الحديث وأشاروا إلى أنه مروى بعبارة غير عبارة النبى، وذلك بإضافة قولهم: "أو كما قال" بعد انتهاء الحديث.

ولم يكن هنالك مفر من هذا الحرص على الحديث مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامى لا يتقدمه من مصادر التشريع إلا القرآن. وكذلك حفظ الشعر الجاهلى وكلام العرب فى الصدور وتناقله الناس بالمشافهة والرواية جيلًا عن جيل، وعرف نظام رواية الشعر أمرًا آخر هو أن يكون للشاعر رواية يروى شعره للناس فيأخذ الناس شعر الشاعر عنه، وأن يختص قوم بحفظ الشعر الذى رواه الشعراء من قبائل مختلفة ليكونوا قُومًا على ديوان أمجاد العرب حفاظًا لمآثرهم ومفاخرهم مقربين عند ذوى السلطان متكسبين بهذه الرواية.

وإذا كان الناس يسعون إلى التغلب ويبحثون عن التفوق فلا بد أن يبحثوا عن دعامة لتفوقهم الدينى فى رواية شعر يرفعهم، فإذا لم يجدوا حديثًا وضعوا الحديث وإذا لم يجدوا شعرًا صنعوا الشعر.

وهكذا جعل الوضاعون يضعون الأحاديث لمساندة الفرق والأحزاب السياسية، وبدأ الصانعون يصنعون الشعر لنصرة القبائل أو لمجرد التكسب بهذا الشعر الذى تفردوا بروايته، وكلما أوغل الوضاعون والصناعون فى الوضع والصنعة اجتهد النقاد فى إحكام مناهجهم النقدية التى تفضح هذا الوضع وتلك الصنعة. أما القرآن فقد قيض الله له المصحف العثمانى الذى حفظه بأسلات الأقلام من فلتات الألسن ولا سيما أن عثمان - رضى الله عنه - جمع المسلمين عليه وألغى ما عداه من المصاحف الخاصة التى كانت فى حوزة القراء فكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . وسرى أثر الصنعة فى جهود النحاة فيما بعد^(١).

هكذا كانت النصوص اللغوية العربية متفقة فى العرف ولكنها مختلفة الطابع بين الضبط والترخص، وكان من الطبيعى لطروف نشأة المجتمع الإسلامى أن تدعو الحاجات الاجتماعية إلى نهضة تتحقق فى ظلها الحضارة وينمو بها الفكر. وكانت اللغة (بضبطها والترخص فيها) هى الأداة التى يمكن بواسطتها الوصول إلى هذه النهضة بواسطة تناولها بالبحث العلمى. وللعلم جملة من الخصائص يمكن أن نوضحها فيما يلى^(٢):

خصائص العلم

الموضوعية	الشمول	التماسك	الاقتصاد

أول خصائص العلم هى الموضوعية ومعناها أن يكون سلوك الظواهر هو الموجه للتفكير فى العلم دون أن يكون للنزعات الفردية والميول الذاتية أى وزن فى النتائج. ومما يتناسب مع هذه الخاصة من خواص العلم أن التفكير العلمى يخضع

(١) انظر ص ١٦، ١٧.

(٢) انظر كتاب "الأصول" للمؤلف "الصناعات والمعارف" ص ١١.

لمبدأ الحتمية وهى افتراض أنه لو تكررت الظروف التى حدثت فيها الظاهرة. (ويقابل الحتمية فى النحو القياس الاستعمالى). لتكررت الظاهرة نفسها حتماً، ويترتب على ذلك أننا نستطيع الوصول إلى الضبط العلمى وذلك بتكرار التجربة؛ لاختيار صدق النتيجة، فإذا تكررت النتيجة وصلنا إلى فكرة الضبط.

والخاصية الثانية للعلم هى الشمول ومعناه أن البحث العلمى فى حقل من حقول المعرفة لايقنع بالنظرة الجزئية إلى الظواهر فى هذا الحقل وإنما يشمل البحث سلوك هذه الظواهر جميعاً. ومن مظاهر ذلك اعتماد البحث العلمى على الاستقراء الناقص بإخضاع نموذج من الظواهر للبحث ثم الاعتقاد بصدق النتائج على الأمثلة الأخرى التى لم تخضع للبحث فى هذا الحقل. ويتمثل الشمول أيضاً فى تجريد الثوابت فى كل علم وهى أفكار مجردة كلية تدخل تحتها مفردات الظواهر كما يدخل الأفراد تحت اسم الجنس على نحو ما سنرى فيما بعد^(١).

والخاصية الثالثة للعلم التماسك أى التكامل بين أفكار المادة العلمية الواحدة. ومن مظاهر هذا التماسك أن العلم يعتمد على التقسيم مع مراعاة العلاقة العضوية بين كل قسم والقسم الآخر بحيث تعتبر الأقسام أبعاضاً يتكون منها كل مترابط ذو علاقات داخلية محكمة. وما يتصل بذلك أيضاً أن التماسك يبدو فى مظهر عدم التناقض بين فكرة أخرى فى نطاق الجهد العلمى الواحد.

والرابعة من خصائص العلم هى الاقتصاد، ذلك بأن مفردات الظواهر لا حصر لها فلو حاول الناس أن يحصوا المفردات لأنفقوا الأعمار والأعصار فى هذه المحاولة دون جدوى ومن ثم كان لابد من الاقتصاد فى الجهد بواسطة تبويب المفردات والاستغناء عن ملايين المفردات بالأبواب القليلة العدد ويترتب على ذلك أن نسمى هذه الأبواب بأسماء خاصة تعرف باسم المصطلحات العلمية.

أما المظهر الأخير من مظاهر الاقتصاد فهو ما يعرف باسم القوانين العلمية أو القواعد المطردة، فبدلاً من أن نقول: هذا الفاعل مرفوع والفاعل الآخر مرفوع

وذلك الفاعل مرفوع فنصرف كلامنا في كل مرة إلى فاعل ما في جملة معينة يكفى لمعرفتنا بهذه الحقائق الثلاث السابقة أن نذكر قاعدة رفع الفاعل فنقول: الفاعل مرفوع.

والحق إننا حين نسمع لفظ "علم" ترد هذه الخصائص على أفكارنا، ولاسيما الموضوعية والتنبؤ بحدوثها عند تكرار الظروف التي حدثت فيها، فنعلم من كل ذلك أننا أمام علم مضبوط exact Science أما إذا تحققت الموضوعية دون إمكان اختبار صدق النتائج فالعلم غير مضبوط.

ولقد كان العرب يطلقون على العلم المضبوط اسم "صناعة" فكان النحو عندهم صناعة لما فيه من إمكان اختبار القواعد بالشواهد، ثم بتوليد جمل جديدة صحيحة يحكم تركيبها بصدق هذه القواعد. أما فقه اللغة فلم يكن صناعة على نحو ما سنرى فيما بعد^(١).

ولقد ذكرنا من قبل أن العلم العربى حملته الأجيال عن طريق الرواية والمشافهة فلما بدأت العرب تعنى بدراسة لغتها وجد الدارسون نصوص هذه اللغة محفوظة على ألسنة الرواة، بل وجدوا الرواة شديدي الحرص على بعض التصنيفات الاجتماعية لهذه النصوص بنسبة كل نص إلى قائلة ونسبة قائله إلى قبيلته، وإلى لهجة هذه القبيلة، وذلك أمر يمكن في العادة أن يتم خارج الدراسة المنظمة كما يبدو من حال هؤلاء الرواة. فلما نظر الدارسون في هذه النصوص اتجهوا بها اتجاهين علميين، أحدهما يسعى إلى إنشاء علم مضبوط يتمثل في قواعد لغوية مطردة، والثانى يسعى إلى استخراج علم غير مضبوط يدور حول المفردات ومعانيها وتاريخ استعمالها.

أما الاتجاه الأول فقد عرف بالعربية أو بصناعة النحو، وأما الاتجاه الثانى فقد عرف حيناً باسم اللغة وحيناً باسم المتن، ثم حيناً ثالثاً باسم فقه اللغة، وبهذا الاسم الأخير يعرفه الناس في وقتنا الحاضر وإن أطلق هذا الاسم في بعض الأحيان - خطأ - على علم اللغة Linguistique.

(١) ص ٤٨ وما بعدها.

وكان على أصحاب الصناعة النحوية أن يجردوا ثوابتها كما كان على أصحاب اللغة أن يقنعوا بمتغيرات اللغة وهى الألفاظ المفردة. فما المقصود بالثوابت؟

إذا نظرنا إلى علم الحساب مثلاً وجدناه من العلوم المضبوطة لأننا يمكن أن نتحقق من نتائجه فنعرف صدق الجمع بطرح إحدى الكميتين المجموعتين من مجموعهما فنحصل على الكمية الأخرى، ونعرف صدق الطرح بإضافة الناتج إلى الكمية الصغرى فنحصل على الكمية الكبرى، ونعرف صدق عملية الضرب بقسمة الناتج على إحدى الكميتين فنحصل على الأخرى، وصدق عملية القسمة بضرب المقسوم عليه فى الناتج فنحصل على المقسوم.

كل ذلك يدل على فكرة الضبط فى علم الحساب، فإذا نظرنا إلى هذه العمليات البسيطة الأربع وجدنا الجمع لا يتحقق إلا بفكرة الزيادة (+)، وأن الطرح لا يتحقق إلا بفكرة النقص (-)، و، الضرب لا يتحقق إلا بفكرة التكرار (x)، وأن القسمة لا تتحقق إلا بفكرة التقسيم (÷) وأن المعادلة بين تركيب المسألة وبين نتيجتها لا تتحقق إلا بفكرة المساواة (=) ومعنى هذا أن هذه المفاهيم المتمثلة فى هذه الرموز الدالة عليها مفهومات ثابتة لا تتغير بتغير المسائل المفردة؛ لأن كل واحد منها لا يتحقق العملية الحسابية إلا به، فلا جمع إلا مع (+) ولا طرح إلا مع (-) ولا ضرب إلا مع (x) ولا قسمة إلا مع (÷) ولا يمكن تصور المعادلة إلا مع (=).

أما الأرقام الدالة على الأعداد فهى متغيرات فى المسائل إذ إن كل عدد من الملايين من الأعداد صالح لأن يجمع أو يطرح أو يضرب أو يقسم عليه غيره.

وفى المنطق الحديث أنواع من الحساب منها حساب القضايا الذى ثوابته أيضاً وهى السلب (-) والفصل () والربط () والتضمن (>)، أما القضايا المفردة فهى من المتغيرات على الرغم من الرمز إليها بالحروف الهجائية مثل حرف (ق) أو (ل) مثلاً. فإذا قلنا (ق > ل) فمعنى ذلك أن القضية (ق) تتضمن القضية (ل). فقد تكون (ق) ضربت زيداً، فتكون (ل) ضُرب زيد، وقد تكون (ق) قرأت الدرس

فتكون (ل) أنا أعرف القراءة، وهلم جرا. وعلينا الآن أن ننظر فيما نقصده بثوابت اللغة التي كانت مجالاً لدراسة القواعد النحوية والصرفية والصوتية... إلخ.

المعروف أن الإنسان يجرد الكليات من المفردات بواسطة ما بين المفردات من جهات الاتفاق وجهات الاختلاف، فالرضيع يبدأ إدراك ما حوله بتمييز وجه أمه ولكنه لا يجرد صورة كلية للشجرة إلا بعد رؤية أنواع كثيرة من الأشجار. وهكذا تصبح المفردات سلمًا إلى التجريد والتقسيم لمدرجات الإنسان.

ولولا التجريد لكان على الإنسان أن يقف عاجزًا عن الإحاطة بملايين من مفردات الظواهر. وحين تناول النحاة العرب اللغة الفصحى لدراسة قواعدها كان عليهم أن يحددوا المدرجات الآتية:

أ - طائفة من الأجناس المجردة كالحرف الاسم والفعل... إلخ.

ب - طائفة من العلاقات الوفاقية كالمرج والصفة والاشتقاق والجمود والإعراب والبناء والإفراد والتثنية والجمع والتكلم والخطاب الغيبة... إلخ.

ج - طائفة من العلاقات الخلافية التي ربطوا بها أمن اللبس في اللغة وسموها الفروق.

ثم أطلقوا على الطائفتين الأوليين اسم الأصول وعرفت فيما بعد تحت عنوان الأصول الثابتة، مع ما توحى به كلمة الثابتة من أن هذه الأصول هي ثوابت اللغة. وهكذا سمعناهم يردون الفروع إلى هذه الأصول الثابتة، فيقولون مثلاً: إن في (ينبنى) صوتًا ينطق كما تنطق الميم ولكن أصله النون، وإن (قال) أصلها قول، وإن المنادى في قولنا (يا محمد) أصله الإعراب والأصل في المبتدأ التقديم وفي الخبر التأخير وفي الموصول أن تكون له صلة، ولكن هذا لم يصل إليه النحاة دفعة واحدة؛ لأن الجهود الأولى التي قام بها النحاة لم تكن جهودًا نحوية خالصة كما سنرى فيما يلي:

تضافرت العوامل الدينية والقومية والسياسية على دفع العرب إلى التفكير في طريقة للمحافظة على لغتهم وضبطها في الاستعمال والفهم. فأما أهم العوامل الأولى فقد جاء الإسلام وله كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان هذا الكتاب في وقت ما مصدرًا من مصادر التشريع ونصًا معجزًا من نصوص الأدب ودستورًا لمعايير السلوك الفردي والجماعي في الحياة اليومية والقومية والسياسية والدينية.

وقد وعد الله بحفظ هذا الكتاب من التغير والتبديل الذي طرأ على كتب الديانات السابقة، فكان أول ما قامت به الدولة الإسلامية في سبيل حفظ القرآن من التحريف أن أقام عثمان بن عفان مصحفه وأبطل ما عداه، ولكن المصحف العثماني نفسه لم يكن يفرق بين الحروف المتشابهة بالإعجام ولا بين الكلمات بالإعراب، ومن هنا كان الباب ما يزال مفتوحًا أمام الخطأ وإن أوصد أمام التحريف.

وهكذا ظهر الخطأ بظهور الموالي في الساحة العربية بكثرة غالبية في المجتمع حتى تأثر بهم بعض العرب فضعفت على ألسنتهم الفصاحة التي عهدت لهم من قبل. فأخطأ العربي في قراءة القرآن وفي فهمه كما نعرف عن الأعرابي الذي سمع رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام في الرسول ففهم الأعرابي خطأ أن الله قد برئ من رسوله.

والواقع أن كسر اللام قراءة معتمدة يخرجها معربو القرآن إما على القسم وإما على الجوار بالترخص في الحركة لوضوح المعنى لأن الله لا يمكن أن يبرأ من رسوله. ومهما يكن الأمر فإن الأعرابي لم تدله سليقته على إمكان الترخص فصرف المعنى عن وجهه الصحيح. ومثل ذلك ما سمعه عمر من جماعة من الناس من قولهم: "نحن قوم متعلمين"، وما يروى أن الدؤلى سمعه من ابنته حين أرادت التعجب من حسن السماء... إلخ.

وسواء أكانت هذه الروايات صحيحة أم لم تكن فإن دلالتها التي لا يمكن

دحضها أن اللحن قد تطرق إلى البيئة العربية منذ وقت مبكر مما اعتبر تحدياً لكتاب الله الكريم فكان لا بد من التفكير في أمر النحو.

وأما أهم العوامل القومية فذلك أن العرب ألفوا أنفسهم أصحاب دولة وسلطان وبلاد تدين لهذه الدولة كانت لها حضارات وحياة ثقافية لا نظير لها عند العرب أنفسهم، إذ وقف العرب وجهًا لوجه مع ثقافات الفرس والروم والهند والمصريين والسريريان المغلوبة موقف التلميذ من أستاذه فلم يكن أمامهم من بد إلا أن ينشئوا للإسلام ثقافة وأن يبدأوا ذلك بدراسة اللغة التي جاء بها القرآن. وهكذا التقى العامل الديني والعامل القومي عند القرآن ولغة القرآن.

وأما أهم العوامل السياسية فيتمثل في أن أبناء الأمم المغلوبة وإن اعترفوا بالغلبة العسكرية للعرب لم ينسوا تفوقهم الثقافي من جهة ولم يقنعوا بالعيش على هامش المجتمع الإسلامي الجديد من جهة أخرى فلم يكن أمامهم من بد إلا أن يتلقفوا راية الثقافة الإسلامية من أيدي العرب، وأن يسعوا للوصول إلى هذه الغاية بواسطة إتقان اللغة العربية ذاتها. وهكذا سعى الموالى إلى تعلم اللغة الفصحى، فأنشأوا حافزاً آخر لدراسة النحو العربى.

وبدأت القصة كما تبدأ كل الأمور بسيطة ساذجة أقرب إلى الجانب العملى منها إلى الجانب النظرى. كان أبو الأسود الدؤلى قاضياً بالبصرة فى خلافة على بن أبى طالب وكان على البصرة وال هو زياد بن أبىه الذى انحاز بعد الفتنة الكبرى وبعد مقتل على إلى معاوية وسماه معاوية زياد بن أبى سفيان. وكان أبو الأسود من قراء القرآن يحرص أشد الحرص كما يحرص القراء الآخرون على ضبط النص القرآنى ويغار لهذا السبب ولكل الأسباب المتقدمة على اللغة التى نزل بها القرآن.

وسواء أكان السبب المباشر لعمل أبى الأسود لحن ابنته أم لحن سواها، وسواء أجاأ الأمر من على أم من زياد أم كان دافعه إلى ذلك ذاتياً صرفاً (وفى ذلك تتضارب الروايات) فقد بدأ أبو الأسود بضبط النص القرآنى بالشكل لا أكثر ولا أقل.

جاء برجل من عبد القيس يحسن الكتابة وأعطاه حبراً أحمر وقلماً ومعه نص القرآن مكتوباً بالحبر الأسود وطلب إليه أنه إذا رآه يفتح فمه وضع الرجل النقطة بين يدي الحرف (أى أمامة). ولا يمكن لعمل مثل هذا أن يعد من قبيل الدراسة النحوية، ولكن عبارة (فتح الفم) أعطت الحركة اسم (الفتحة)، وعبارة (كسر الفم) جعلت الحركة تسمى (الكسرة)، وكان ضم الفم سبباً في تسمية الحركة (الضمة). ولعل الوصول إلى هذه المصطلحات الثلاثة كان بالنسبة للدراسات النحوية كإكتشاف النار بالنسبة لتقدم الحياة الإنسانية. فسرعان ما أصبحت هذه المصطلحات الثلاثة النواة الأولى في دراسة النحو وظلت كذلك مع تقدم الدراسة ونشأة فكرة العامل وبناء النحو العربى كله على فكرة الإعراب وما زالت كذلك إلى اليوم.

ولقد أسلمت الفتحة والكسرة والضمة أبا الأسود وزملاءه من القراء أمثال عنبسة الفيل، ونصر بن عاصم، وميمون الأقرن، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ويحيى بن يعمر إلى التفكير فى تغير أواخر الكلمات فقط، وبذلك أصبحت هذه المشكلة الأولى، بل المشكلة الكبرى فى النحو معروفة الطابع محددة الحدود تنتظر من يتصدى لها بالدرس العميق ومن ينشئ لها النظرية العلمية الدقيقة. أى أنها كانت تنتظر من يحولها من ملاحظة المتغيرات إلى تجريد الثوابت، أو بعبارة أخرى من يحولها من علم غير مضبوط - كما كانت لدى أبى الأسود - إلى علم مضبوط ذى قواعد مطردة - كما أصبحت فيما بعد - .

ومعنى ذلك أن أبا الأسود بجهوده التى بذها كان سبباً فى نشأة النحو، ولكنه لم ينشئ النحو. فلقد كان أبو الأسود قارئاً ولكنه لم يكن نحويّاً. وإذا كان أبو الأسود قد اشتهر بنقط الإعراب فإن نقطاً آخر قد تم فى ذلك الوقت يفرق به بين الحروف المتشابهة وذلك هو نقط لبيان وظيفة الإعجام دون وظيفة الإعراب.

مصادر النحو العربى

كان أبو الأسود وزملاؤه من ذوى السليقة فلا جرم أنهم بنوا تأملاتهم على

الملاحظة الذاتية، أى أنهم كانوا ينظرون فيما يقولون وبينون أحكامهم على هذا النظر. فلم نسمع أن واحداً منهم رحل إلى البادية أو سأل أعرابياً عن حرف من الحروف أو استشهد على ما يقول بشعر جاهلى أو إسلامى.

ذلك بأن أبا الأسود وأصحابه كانوا إما أعراباً أقحاحاً وإما موالى نشأوا فى البيئة العربية واكتسبوا اللغة العربية سليقة كما يكتسبها العرب الأقحاح. ولم تكتمل أداة النحو فى أيدي الدؤلئ وأصحابه ومن ثم لم نسمع فيما يروى عنهم أنهم طعنوا على أصحاب السليقة بواسطة القاعدة ولم يتبعوا شاعراً ولا ناثراً بالتغليط أو التصويب.

وكان الطعن على العرب من نصيب أحد أتباعهم من الموالى بل رئيس الجيل الذى تلا جيلهم وهو عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى. كان عبد الله مولى لآل الحضرمى من العرب الجنوبيين الذين نزلوا البصرة، وكان بحكم نشأته فيهم فصيحاً ذا سليقة سليمة، ونظر عبد الله فى لغة القرآن فاستطاع أن يحيط بثوابت العربية وأصولها الثابتة من الأقسام المجردة كالاسم والفعل والحرف والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول... إلخ ومن العلاقات بين المبانى كالإعراب والبناء والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتكلم والخطاب والغيبة... إلخ وبه وتلاميذه بدأت فكرة السماع واستحكمت شبكة القياس واستعملت العلل حتى قيل إن عبد الله كان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل^(١).

فما المقصود بالسماع والقياس والتعليل والتأويل؟ ذلك ما سنراه فيما يلى:

أ. السماع

قلنا إن أبا الأسود لم يكن يعرف الاعتماد على كلام غيره ولم يستشهد بشعر جاهلى أو إسلامى على ما يقول. ومعنى هذا أن أبا الأسود لم يكن يعترف بفكرة السماع كما عرفها النحاة من بعده ولكنه ربما دار فى نفسه أن النص القرآنى نموذج رائع لصحة اللغة وجهاها فى نفس الوقت، وربما فكر أيضاً تفكيراً غير محدد فى أن

(١) طبقات النحويين واللغويين الزبيدى ص ٣١.

كلام العرب يجب أن ينتحى، وربما كانت فكرة الانتحاء هذه سبباً في تسمية النحو باسمه الذى يعرف به.

فلما خلف من بعده عبد الله بن أبى إسحق أنشأ هو وتلاميذه فكرة السماع فكان قوامها الكلام العربى الفصيح أياً كانت صورته، فشمّل ذلك عنده الشعر والنثر وإلى حد ما قراءات القرآن وأقل من ذلك الحديث. وارتضى الحضرمى وتلاميذه عددًا من قبائل العرب أشرنا إليهم فيما سبق وهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين برغم أن هذه القبائل كانت متوحدة فى وسط الجزيرة فلم تحالط الأمم الأخرى فلم تفسد ألسنتها فبقيت على فصاحتها والفصاحة شرط المسموع كما رأينا.

ومعنى هذا أن النحاة:

أ - اختاروا اللغة الأدبية دون لغة الكلام كما اعتمدوا على المروى.

ب - اختاروا عددًا من القبائل فى وقت واحد (أى عددًا من اللهجات).

ج - اختاروا فترة من الوقت طويلة واعتبروها فترة واحدة على الرغم من أن مؤرخى الأدب قسموها إلى أكثر من عصر واحد.

د - أدى اعتمادهم على المروى إلى اصطناع منهج المحدثين فى التوثيق.

وكل واحدة من هذه النقاط تتطلب نظرًا فاحصًا من وجهة المنهج: أما بالنسبة للنقطة الأولى فإذا كانت الدراسة الصوتية مقدمة لا بد منها لدراسة النحو للغة حية ما فإنه أولى بالمادة المسموعة أن تكون حية بنت عصرها وليست مروية من عصر سابق لاحتمال أن يكون راويها من قبيلة غير قبيلة قائلها مما يذهب بصلاحية نطقها، وربما أثر فى طابع تركيبها اللغوى.

وهكذا اعتمد النحاة على المروى من كلام العرب فلم نعرف لهم اتصالاً مباشرًا بلغة الكلام الحية إلا ما كان من مشافهة القبائل أثناء الرحلة ومناقشة الوافدين على الحلقات الدراسية فى البصرة. فأما ماسمع عن طريق المشافهة فقد قيده أصحاب الرحلة فحين عادوا إليه لاستخراج النحو منه لم يجدوا بين أيديهم إلا نصًا مكتوبًا

بالكتابة العادية فلربما خلا من الإعجام والإعراب فأصبح بدونها كالنص المروى من حيث عدم الضبط الصوتي، وأما ما كان من مناقشة الوافدين فإن ذلك كان لتوثيق القاعدة لا لإنشائها.

ولقد قدمنا أن للشعر لغة تتسم بالضرائر وبالترخص في مباني القرائن اللفظية وهى بهذا لا تعد نموذجًا عاديًا للغة العربية الفصحى، فإذا كان المقصود بإنشاء النحو تلخيص السليقة العربية في جملتها فإن لغة الشعر بما نسبناه إليها من ميل إلى الترخص تقصر دون تمثيل اللغة الفصحى تمثيلًا كاملاً أو مقبولاً حتى لو ارتضينا أن تكون لغة الدرس هى لغة الأدب لا لغة الكلام. لهذا وجدنا لغة الشعر تصيب النحو بالخلاف وتلجئه في الكثير إلى حيل التخريج والتأويل وفي حالات أخرى إلى الاعتراف بالضرائر والرخص في الاستعمال الشعري.

وأما بالنسبة للنقطة الثانية فقد سبق أن أشرنا إلى أن كل قبيلة عربية كان لها لهجتها الخاصة التى تنعكس عاداتها النطقية على اللغة الفصحى حينما ينطقها أبناء هذه القبيلة، ومن هنا رأينا الاختلاف بين القبائل في نطق الفصحى وفي طرق صياغتها وعلامات إعرابها، فالحجازيون مثلاً ينصبون خبر ما ولكن التميميين يرفعونه، وبهراء تكسر حرف المضارعة ولكن بقية القبائل تفتحه، وقضاعة تجعل الياء الساكنة في الوقف جيماً وغيرها لا يفعل ذلك، وهكذا مما لا سبيل إلى حصره في هذه العجالة. ومن الواضح أن هذا الاختلاف في الصياغة يتطلب أن تختص كل لهجة لقبيلة بعينها بدراسة نحوية خاصة على نحو ما يفعل طلاب علم اللغة الحديث بدراسة اللهجات في أيامنا هذه.

ولكن أنى للنحاة القدماء أن يعرفوا منهجاً جدياً في أيامنا هذه؟

إن النحاة لم يفتنوا إلى البعد الاجتماعى في الدراسة النحوية ولكن الذى خفف من هذا العيب فى منجمهم أنهم درسوا النحو لخدمة القرآن من خلال لغة أدبية مروية لا من خلال لغة يومية منطوقة، فكان من شأن هذه اللغة المروية أن تضيق الفروق بين اللهجات فيها إلى حد كبير .

وأما بالنسبة للنقطة الثالثة فاستخرج النحاة قواعدهم باستقراء لغة امرئ القيس كما استنبطوها من شعر ابن هرمة، وبين أحد الشاعرين والآخر قرابة أربعة قرون. والمعروف أن فترة زمنية طويلة كهذه الفترة لا بد أن تكون قد شهدت تطوراً في اللغة وتراكيبها ومفرداتها، فتلك فترة ظهر فيها الإسلام فكان بكتابه الكريم ثورة عظيمة في تاريخ اللغة العربية أبطل منها ما أبطل وأحى فيها ما أحى. وكان نقاد الأدب أكثر استعداداً من النحاة للاعتراف بهذه الحقيقة فقسموا هذه الفترة إلى عصر جاهلي وآخر إسلامي فأموى...

ومرة أخرى نجد عنصر الرواية واعتماد النحاة على المروى من الكلام يخفف من الخلافات بين أشكال اللغة في هذا العصر وذلك لأن الرواية الذي يروى لامرئ القيس هو نفسه الذي يروى شعر ابن هرمة، فأكبر الظن أن يصطبغ هذا الشعر وذلك على لسان الرواية الواحد بعبادات نطقية واحدة مما يدعو إلى عدم المبالغة في تقدير الخطر المترتب على تسامح النحاة في هذا البعد التاريخي من أبعاد منهج الدراسة النحوية.

وأما بالنسبة للنقطة الأخيرة من نقاط السماع فإن الاعتداد بالنصوص المروية ألجأ النحاة إلى اصطناع منهج المحدثين في نقد النصوص وتوثيق نسبة الكلام إلى قائله. ولقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا المنهج - إن صح الأخذ به في الأحاديث النبوية التي تنبنى عليها أحكام فقهية في العبادات والمعاملات وأمور دينية أخرى تتصل بالعقائد والآداب ونحوها فإن النصوص المستعملة في استنباط القواعد لم تكن تتطلب كل هذا التزمّت لو كانت اللغة المدروسة لغة كلامية حية.

فلما لم تكن هذه اللغة بنت وقتها وإنما كانت مروية عن عصور سابقة اضطر النحاة إلى توثيق الرواية والنص كما يفعل رجال الحديث بالحديث. ولقد سبقت الإشارة إلى موقف النحاة من القراءات القرآنية والحديث وسبق القول بأن موقف النحاة من هذين النوعين من النصوص موقف يحتمل الكثير من النقاش.

(ب) القياس

كان هذا موقف النحاة من المصدر الأول من مصادر النحو العربى فماذا كان موقفهم من القياس؟

قلنا إن ابن أبى إسحق كان أول من مد القياس أى أن أبا الأسود وأصحابه لم يجعلوا لأنفسهم عناية نظرية بالقياس أى أنهم كانوا يطبقون القياس الاستعمالى أى الانتحاء ولا يفكرون فى القياس النحوى.

فالقياس مصطلح شامل يدل على مفهومات متعددة. فمنه القياس الاستعمالى، والقياس النحوى، والقياس المنطقى، بجانبه الطبيعى والصورى.

فالقياس الاستعمالى هو الصوغ القياسى analogic creation وهو الذى نستطيع بواسطته فى الطفولة أن نكتسب اللغة حيث نقيس ما نستعمله على ما نسمعه ومن طريقه نستطيع أن نولد الكلمات الجديدة على غرار القديمة وأن نحمل المعنى الجديد على المعنى القديم، وهذا القياس الاستعمالى أيضًا هو الذى يسعى المعلم فى قاعة الدرس إلى استعماله بالنسبة للتلاميذ إذا يطلب إليهم أن يقلدوا التراكيب المعروضة عليهم وأن يكتسبوا الأساليب بواسطة القياس على ما يحفظون أو يقرأون.

وهو نفسه أيضًا منهج المجامع اللغوية المعنية بصياغة الجديد من المصطلحات وألفاظ الحضارة قياسًا على طرق الصياغة العربية بل هو أيضًا الذى عناه ابن جنى فى الخصائص بعنوانه الذى يقول : "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"؟

والنوع الثانى من أنواع القياس هو القياس النحوى وهو المقابل النظرى للقياس الاستعمالى ويعرفونه بأنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه"، فإذا كان ما يرمى إليه القياس الاستعمالى هو الصوغ العملى فإن ما يرمى إليه القياس النحوى هو الحمل النظرى.

وهذا الحمل إما أن يكون مبنياً على علة أو غير مبنى على علة، فإن لم يكن مبنياً على علة فهو ما يسمونه قياس الشبه وهو أقرب أنواع القياس النحوى إلى القياس الاستعمالى وإن لم يكن منه تماماً، ومثاله إعراب المضارع لشبهه باسم الفاعل. أما إذا كان مبنياً على علة فإما أن تكون العلة مناسبة أو غير مناسبة.

فإذا كانت العلة مناسبة سمي القياس قياس العلة ويلزم حينئذ أن يكون هناك أصل وفرع وعلة وحكم، فإذا كانت العلة غير مناسبة سمي قياس الطرد. مثال قياس العلة قياس رفع نائب الفاعل قياساً على الفاعل بعلّة الإسناد في كل منهما، ومثال قياس الطرد أن ليس مبنية بسبب اطراد البناء في كل فعل غير منصرف، وإن الأفضل من هذه العلة إن يقال إنها مبنية لأن الأصل في الأفعال البناء فهذا يشكّل علة مناسبة. وينبغي أن نلاحظ هنا أن ما سبق من نوعى القياس لا يمتّ بسبب إلى أقيسة المنطق اليونانى.

الفصحى والعامية بين الاغتراب وصور الخطاب واللهجات العامية

من المهم أن أبدأ مقالى هذا بالقول: إن محاربة العامية والسعى إلى تركها نهائيا غفلة وجهل. وكل من يرى أن العامية عدو للعربية الفصحى لا يعلم شيئا عن حتمية وجودها وعن موقعها بالنسبة للعربية الفصحى، ومن ثم يدعو إلى القضاء على العامية. وهذا أمر لا يخضع للتخطيط ولا يمكن أن يحدث إلا من خلال تطور اجتماعى لا تحكمه قاعدة ولا يخضع لإرادة خاصة مهما كانت محكمة التخطيط، أن تكون إرادة لمجتمع لا لمجمع.

إن كل لغة فى هذا العالم مهما ضاقت الرقعة الجغرافية لا استعمالها معرضة لتعدد لهجاتها باختلاف صور مفرداتها وتراكيبها وطرق استعمالها بحسب التداوليات والمواقف الداعية إلى هذا الاستعمال، ثم بحسب طوائف المجتمع ومشاكل طوائفه، إذ تتخذ كل طائفة نظاما صوتيا خاصا بلهجتها وآخر معجميا يسمّى وسائل عيشها ثم نظاما تركيبيا يمتاز به تراكيب جملها عن غيرها من لهجات الطوائف الأخرى. وعندما كنا طلاب بعثة فى بريطانيا عرفنا أن هناك لهجة تسمى "كوكنى" يستعملها أهل لندن وتقف صامدة أمام اللغة الإنجليزية القومية دون أن يعترض أحد على استعمالها، بل إن أستاذنا الشهير "فيرث" كان يسوق بعض الشواهد من تلك اللهجة، وما زلت أذكر بعضها فكان واحد منها يقول:

I am going to get one for bert

وهو يعنى :

أى أنا ذاهب لأحضر كأسا من أجل برتراند، وكان القائل بين أصحابه فى أحد المشارب. فالأستاذ الإنجليزى لم يجد مانعا من استعمال شواهد من العامية تشير إلى ظاهرة لغوية معينة مثل وقوع اللحن من وجهة نظر اللغة القومية بشواهد من العامية تتميز بورود الهمزة (وهى ليست من أصوات اللغة الإنجليزية) فى موقع لا تسمح هذه اللغة القومية بوقوعها فيه، على غرار ما يحدث فى نطق الأصوات العامية والدالة على (القاف والجيم والطاء مثلا) على ألسنة المتكلمين باللغة العربية الفصحى.

لم يضحك الأستاذ هذه المفارقة أو يسخر منها، وإنما ساقها ليدل بها على أن من طبيعة المجتمعات أن تختلف لهجاتها وإن اتحدت لغاتها ولا بأس فى أن يكون بعض اللهجات أحسن حظا من البعض الآخر من حيث القيمة الاجتماعية وهذا ما جرى عليه شأن الظاهرة اللغوية خلال التاريخ.

فمن المؤلف أن يعاب على المعلم أن يلقي الدرس على تلاميذه بلهجة عامية وأنه إذا عاد إلى بيته فكلم زوجته المثقفة باللغة الفصحى سخرت منه واهتمته بالانحراف عن السلوك السليم لأنه خالف العرف الذى ارتضاه المجتمع، وأجمعت عليه الأجيال من أن لكل مقام مقال. والمقصود بنسبة المقال إلى المقام أن هذه النسبة نتيجة اتفاق مضمّر من أفراد المجتمع. ولو سألت أحد المتكلمين عن سبب اختياره تفاصيل القول الذى قاله دون غيره من طرق التعبير لكان جوابه " :إن الناس من حولي يتكلمون بهذه الطريقة ويد يرون شئون حياتهم بواسطة هذه الوسيلة. وهكذا يفهموننى وأفهمهم"

ولئن سألت هذا الشخص: لماذا اخترت هذه اللهجة العامية لتكون وسيلة

لقضاء حاجاتك؟ لأجابتك بقوله: لأن هذه هى لغة المجتمع الذى أنا واحد من أفرادهِ.

وليس من الغريب أن يتفق الأصل ويتعدد الفرع فيختلف العطاء والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة الرعد (٤) ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾

فلا عجب أن تتفق الفصحى والعامية فى أصل العروبة ثم تختلفان فى التخصص فالفصحى لغة الفكر والعامية لغة الحياة الاجتماعية، ولكل منهما مفهوم النص ومفهوم الخطاب.

إن تطور الدراسات اللغوية يهذى إلى وضع العلاقة بين الفصحى والعامية بين مفاهيم الخطاب وعوالم الخطاب فى كتاب ترجمته تحت عنوان "النص والخطاب والإجراء" وهو من تأليف روبرت دى بوجراند عنوانه: "Text Discourse and Process" يقول المؤلف (ص ٧٢): "والصفة المميزة للنص هى وقوعه فى الاتصال حيث ينتجه طرف واحد فى بعض الحدود الزمانية ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطاباً، أى توالى للوقائع الاستعمالية يمكن العودة إليه فى وقت لاحق. أما جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة فى جماعة أو مجتمع فإنها يمكن أن تسمى عالم الخطاب". فالعلاقات المشتركة بين النصوص الفصيحة يمكن تبعاً لذلك أن تسمى "الخطاب الفصيح" كما يمكن للنصوص العامية أن تسمى "الخطاب العامى" ولكل من النوعين وظيفته ومجال استعماله فلا يلغى أحدهما الآخر. وعندما ضربنا المثل للمعلم الذى أخطأ فى حجرة الدرس وفى المنزل فى الكلام مع زوجته لم ننكر عليه حقه فى استعمال نوعى الخطاب، ولكننا أنكرنا عليه أن يستعمل كلا منهما فى غير مجال استعماله المناسب. وهكذا لا يجوز

لخطيب الجمعة إذا خطب في اجتماع سياسي أن يخاطب جمهور الحاضرين بقوله:
"اتقوا الله عباد الله"، ولا لمن يعزى اهل الميت أن يقول: "كل عام وأنتم بخير" كما
عيب على المعلم أن يتكلم إلى تلاميذه بالعامية وإلى زوجته بالفصحى.
بهذا نعلم ضرورة الحفاظ على العامية كما نحافظ على الفصحى تمامًا.

قواعد العدول والرد

عندما ذكرنا اللهجة العامية خطر في صحبتها مفهوم اللغة العامة ذات اللهجات المتعددة، ومفهوم العرف العام والعرف الخاص، ومفهوم الأمة والطائفة، وكذلك اختلاف نوعين من الاهتمامات الثقافية والحياتية تبعا لاختلاف المفاهيم المذكورة وما يترتب على ذلك اختلاف لغة الأمة عن لغة الطائفة في نواح تجعل من الصعب أن تؤدي إحداها وظيفة الأخرى دون الإحساس بالفشل ومن هنا كان لا بد من نسبة كل من اللغة واللهجة إلى ظروف استعمال خاصة تحول بين أداء كل منهما وظيفة الأخرى. فاللغة تحمل مشاغل الأمة وما أكثرها ومن هذه المشاغل والهموم التعليم والاقتصاد والعلم والعلاقات الداخلية والخارجية والحكم والعرف والعادات والتقاليد والأسماء لكل الموجودات من الأشخاص والأحداث والأفكار ويخضع استعمال كل ذلك لقواعد تركيبية وأساليب فنية تجعل التفاهم بهذه اللغة أمرا ذا نتائج ناجحة وإذا كان ذلك مطلبا بالنسبة للهجة فإن الفرق بين اللغة واللهجة لا بد أن يكون مناسبا وموازيا لما بين اللغة واللهجة من الاختلاف في أعداد كل من مستعملى هذه ومستعملى تلك في الداخل والخارج، وما يترتب على اختلاف اهتمام الفريقين ماديا ومعنويا.

ومن المسلمات في علم اللغة المعاصر أن اللهجتين تحتسبان من لغة واحدة إذا كان المتكلم بإحدهما يفهم ما يقال بالآخرى حتى مع وجود تباين محدود بينهما في مجالات تركيب الجملة ومعانى مفردات بعض الألفاظ.

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية ولهجاتها أدركنا صدق هذه المقولة، وساغ في نظرنا أن ينتدب معلم من بلد عربي للعمل في تعليم أبناء بلد عربي آخر تختلف لهجته عن لهجة البلد الأول مع افتراض أن من عادات المعلمين أن يلقوا الدروس باللهجة الدارجة في مجتمعاتهم الأصلية، مع ما يترتب على ذلك من وجود فجوات في انتفاع التلاميذ بمعنى ما يقوله المعلم. إذا أردت دليلاً على ذلك فتأمل ما يلي: لهجة كل فرد منا مكتسبة منذ الطفولة ولذلك ينذر أن يجهل أحد منا لهجته الأصلية، ولكن كلا منا يحصل على معرفة اللغة العربية الفصحى بالتعلم الذى يستمر طول العمر. فإذا سمعت رفيقاً لك فى استعمال لهجتك فالطبيعى ألا يغيب عن فهمك معنى لفظ مما تسمعه، أما عند قراءتك نصاً فصيحاً أو سماعه فأنت تستكمل معناه من الاستعانة بالمعاجم ومن سؤال الغير عما خفى عليك من المعنى. ذلك أن اللغة الفصحى جاءت عن طريق التعلم لا عن طريق الاكتساب. وليس معنى ذلك أن ننظر إليها نظرنا إلى اللهجات العامية.

قلنا إن اللهجة رباط بين أفراد طائفة، أما اللغة الفصحى فهى رباط بين العرب جميعاً وبينهم وبين المسلمين رأسياً بواسطة التراث وأفقيّاً بواسطة العلاقات الحاضرة. وسيتوقف فهم اللغة العربية فهماً تاماً على الانتفاع بالأمور التالية:

* معرفة المعانى الوظيفية (أى معانى الحروف والأدوات والعلاقات)، لأن ذلك ضرورى لفهم مواقع المفردات فى سياق الكلام.

* معرفة المعانى المعجمية والمقابلات بين الكلمات، لأن الجهل بذلك يؤدى إلى اللغو.

* معرفة الحقول المعجمية فى اللغة وتجارب البيئة ونواحي الاتفاق والاختلاف المتصلة بذلك.

* معرفة المصطلحات إن كان المقام خطاباً علمياً أو فنياً.

* معرفة الفروق بين الأساليب المختلفة وارتباط ذلك بسياق النص وسياق الموقف.

* معرفة التراكيب المسكوكة (التي تجرى مجرى الأمثال) التي لا تتغير فيها رتبة ولا تضام مع اختلاف الاستعمال.

* معرفة العادات والتقاليد السائدة في مواقع الاتصال

تلك هي مطالب الاتصال بواسطة اللغة العربية. دعنا الآن نلق نظرة على مدى رعايتها في التعليم:

١- بالنسبة لمعرفة المعانى الوظيفية يحضرنى شيوع الخطأ فى فهم معانى الحروف ومعانى الصيغ الصرفية ونحو ذلك من قبيل ما يراه كثير من المفسرين أن لفظى طه ويس أسماء أعلام يقصد بها النبى ﷺ. ولكن الأوضح فىهما أنها من فواتح السور على غرار (حم، طس). ومثله أيضاً الخلط فى المعنى بين موة (بفتح الميم وسكون الواو) وميته (بكسر الميم)، فالأول منهما اسم مرة والثانى اسم هيثة. فالإنسان يموت موة واحدة ولكنه يتمنى أن تكون مثل ميتة الأبطال. ولقد تعودنا فى السنوات الأخيرة أن نسمع فى خطب زعماء الثورة لحنا صرفياً فى نطق كلمات مثل بدء (بكسر الباء) ونفق (بضم النون والفاء)، وهلم جرا.

٢- الأعراف جمع عرف ومن معانيها العادات والتقاليد الاجتماعية ومنها عرف الديك وعرف الحصان ولكن لها معنى آخر مستعملاً فى سورة الأعراف من سور القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾، والمقصود بالأعراف هنا زوائد البناء فى قمة الحجاب الذى بين الجنة والنار وهو كالذى نراه فى أسوار القلاع والحصون. وتقول الآية الكريمة إن الرجال الذين على الأعراف يميزون أهل الجنة من أهل النار بسيماهم. فيخاطبون أهل الجنة حيناً وأهل النار حيناً آخر، وأنهم يطعمون فى دخول الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف، ٤٦]. ولست أجد لهذا المعنى الأخير جهوراً.

٣- معجم اللغة مركب مما يسمى الحقول المعجمية، فهناك على سبيل المثال حقل

مكون من ألفاظ القرابة وآخر مكون من ألفاظ الألوان وحقل لألفاظ من يعقل وآخر لألفاظ الوحوش، وهلم جرا. وتتمثل قيمة هذا التوزيع في دراسة علم البيان وما يشتمل عليه من النظر إلى وجه الشبه وإسناد اللفظ إلى من هو له أو إلى غير من هو له وفي دراسة الأساليب النحوية وصلاحيات الألفاظ للتضام ونحو ذلك. إذا تأمل المرء الأساليب العربية الحاضرة لم يجد لها حرصاً واضحاً على رعاية هذه الأصول وبخاصة في الأساليب البيانية كما في الكتابة والاستعارة. ومن الصعب ضرب أمثلة لذلك في هذه العجالة. ولعل في مألوف أساليب البيان ما يغنى عن التمثيل.

٤- أما من حيث استعمال المصطلحات في النشاط الاجتماعي وفي التعليم فهناك أيضاً ما يدعو إلى الأسف إذ يشيع في الكلام العادى أن يستعمل المتكلمون ألفاظاً من قبيل "البتاع" و"البتاعة" في كثير من وقائع التخاطب إما لعدم معرفة المصطلح وإما لعدم تذكره. وفي حقل التعليم نجد من يريدون في إصرار أن يشتمل التعريف على ذكر المعنى اللغوي في سياق التعريف جنباً إلى جنب مع المعنى الاصطلاحي "لغة كذا واصطلاحاً كذا" مما يضيف إلى التعريف حملاً لا ضرورة له.

٥- أما من جهة الأساليب المستعملة في الخطاب العربي في الوقت الحاضر فإن الطابع الغالب عليها هو طابع الأسلوب الصحفي الإعلامي فلا هو الأسلوب التراثي المغرم بالتزويق ولا هو بالأسلوب الذي يتسم بالمساواة، وإنما تتفاوت المعايير فيه بين الصحة والخطأ وبين الجمال والقبح وبين الفصيح والعامي فلا تجد له انتساباً إلى جانب من ذلك دون الآخر. هذا هو الغالب في وصف الأسلوب الحاضر.

٦- يحدث عند مراقبة الأداء اللغوي أن تسمع أحياناً عبارات مسكوكة، أى مركبة بطريقة تتحدى قواعد النحو أحياناً ويغلب عليها طابع النحت أحياناً أخرى

فلا تستطيع أن تنسبها إلى قاعدة ما. مثل هذه الألفاظ يوجد في العربية الفصحى منذ العصور الأولى مثل البسملة والتعوذ والتهليل وقصار الأمثال والأقوال نحو سبحان الله وما شاء الله في العامية المعاصرة "كله على الله" ويستاهل وعُقبى لك، والملاحظ أن عدد المسكوكات في العربية المعاصرة أكبر من عددها في التراث.

٧- من شروط الاتصال اللغوى التى سجلها العلم الحديث رعاية نوعين من أنواع السياق: سياق الموقف وسياق النص. ولقد رعاها العلماء فى الماضى دون أن يضبطوهما بالدراسة التى تكشف عن أصول استعمالهما ويمكن معرفة ذلك من عنايتهم بأسباب نزول القرآن إذ بدا لهم أن سبب النزول هو سياق الموقف أما سياق النص فقد كان موضع عناية الشعراء والأدباء والفصحاء. وأما فى وقتنا الحاضر فإن رعاية ذلك على الرغم من شهرة السياقين بالدرس لا يبدو منه أن الخطاب الحاضر يصل إلى مستوى عناية الترائين بهما.



بهذا نصل إلى الكلام عن اللغة الأجنبية. والمفروض أن اللغة الأجنبية ينظر إليها من خلال الازدواج اللغوى لدى الفرد. أى أن اللغة الأجنبية هنا واحدة من اثنتين وأن الثانية هى اللغة الأصلية. ومن ثم يصبح من المطلوب أن يكون صاحب اللغتين مزدوج العناية بهما وأن ما ذكر من المطالب فى حال الأولى ينبغى أن يتحقق للثانية، وبخاصة فيما يقع من الترجمة من إحداها للأخرى. فلنعد إذن إلى ما سبق أن رصدناه من أمور مهمة لفهم اللغة لنرى ضرورة أن يتحقق ذلك للغة الأجنبية.

١- من الواضح أن المترجم إذا لم يكن له قدرة على تمييز أصوات اللغة الأجنبية بعضها من بعض فإنه لابد من أن يقع فى ورطة الخلط بين الصوتين وبين المعنى المراد. وهكذا يخلط بين Pin و bin كما أن من لا يدرك الفرق بين f و v سيخلط بين fan و van ومن الواضح أيضاً أن المعانى الصرفية لا تقل خطراً عن المعانى

الصوتية. فالذى يقوم بالترجمة إلى العربية وهو لا يفرق بين معانى صيغة "فعل" لا يدرك الفرق بين معنى الفاعلية في "قدیر" بمعنى قادر و"قتیل" بمعنى مقتول. ولا بين هذين وبين معنى المصدرية في "زئیر" و"خریر". فإن كان يترجم إلى الإنجليزية فقد يخفى عليه الفرق بين er في singer ومثلها في finger. أضف إلى ذلك أن المعانى النحوية من الأهمية بما يزيد عما نسبناه إلى الأصوات والصرف. فإذا لم يعرف المتكلم الفرق بين الاستفهام المحض أو الاستفهام الإنكارى مثلاً عندما يصلح تركيب الجملة لكل منهما كما في قولنا: بارك الله فيك، وأين كنت، أو معنى الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة، ١١٠] أو بين ذلك وبين الاستفهام التقريرى نحو ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف، ١٧٢] فإن الإنسان سيقع فريسة للغموض ويظهر ضحية الغموض عندما يحول نقل أحد هذه المعانى من إحدى اللغتين إلى الأخرى.

٢- والأمر الثانى الذى ينبغى أن يتحقق لصاحب اللغتين هو معرفة شيئين لا غنى عنهما هما المعانى المعجمية للكلمات المفردة فى كل من اللغتين والمقابلة بين الكلمة من هذه اللغة والكلمة المقابلة لها من تلك. وينبغى لصاحب اللغتين أن يضع فى الاعتبار أن هذه المقابلة ليست أمراً مطرداً ولا مضبوطاً، إذ يحدث فى كثير من الأحيان أن تشتمل إحدى اللغتين على كلمة لا مقابل لها فى الأخرى. وحين نقول ينبغى لصاحب اللغتين أن يعرف معنى المقابلات لا نعى أن هذه المعرفة كافية بمفردها للوصول إلى ترجمة جيدة لنص ما، فغاية ما تكون الفائدة التى يمكن الوصول إليها بواسطة المقابلة هو الترجمة الحرفية التى نرفضها فى العادة لعدم كفايتها ولما فيها من عيوب تتراوح بين مخالفة القواعد النحوية ومخالفة الأساليب الاستعمالية، ومنذا الذى يقبل ترجمة حرفية لمركب إضافى مثل chairman أو home fleet بعبارة مثل رجل الكرسي أو أسطول المقر؟ أو مركب إسنادى مثل to pay A visit بعبارة أن تدفع زيارة؟

٣- ولكن يحدث أحياناً أن تشتمل إحدى اللغتين على كلمة لا مقابل لها في اللغة الأخرى، فعندئذ تلجأ اللغة الأخرى عند الترجمة إلى التعبير عن معنى هذه الكلمة بعبارة مركبة إما تركيباً مزجياً وإما وصفيّاً أو إضافيّاً أو إسناديّاً، ومن الكلمات العربية التي لا مقابل لها من المفردات الإنجليزية مثل النوى والأثافي والظعينة والبحيرة والسائبة والوصيلة والعقيرة... إلخ، فلو أن مترجماً من العربية إلى الإنجليزية صادف إحدى هذه الكلمات لكان عليه أن يحتال للتعبير عنها بعبارات مركبة تجعل الشرح بديلاً من المقابلة الممتنعة.

٤- عندما يكون صاحب اللغتين في موقف الترجمة من إحداها للأخرى يجد المرء نفسه وجهاً لوجه مع المصطلحات وما يلزم من ترجمتها، وعلى المرء في هذه الحالة أن يكون ملماً بالمعنى الاصطلاحي في اللغتين كليهما، لأن العرف هنا عرف خاص مشترك بين اللغتين أو هكذا ينبغي أن يكون. فالترجمة في مجال الاصطلاح لا تقابل لفظاً بلفظ كما يحدث في ترجمة المعنى المعجمي الذي من شأنه أن يقبل التوسع والمجاز والترادف ولازم المعنى والظلال العاطفية بل يحقق عرفاً مشتركاً بين اللغتين ويبدو دليل الشركة بين العرف في اللغتين في جواز مبدأ التعريب.

٥- وينبغي لصاحب اللغتين عندما يبدأ المزاوجة بالترجمة بين إحداها والأخرى أن يسأل نفسه عن طبيعة ما ينبغي أن يكون طابع أسلوب النص المترجم، ذلك بأن نوع الأسلوب يحمل دلالة معينة على نوع النص. وقديماً حذرنا الجاحظ من أن إعراب الفكاهات السوقية والنكت العامية عند روايتها يذهب بطلاقتها ويجعلها باردة لا تضحك، وأنت إذا ذهبت بكلام الخاصة عند رواية مذهبك بكلام العامة فأغفلت ما فيه من إعراب وأسلوب فإن ذلك يستر ما فيه من معنى شريف ويسقط به عن المنزلة التي كانت له ومن المعروف أنه إذا كان الصدق الأدبي مطلوباً لأسلوب الأديب فإن الدقة العلمية لا غنى عنها لأسلوب العالم.

٦- وينبغي لصاحب اللغتين عند الترجمة من إحداهما للأخرى أن يكون على معرفة بأن الألفاظ المسكوكة تجرى مجرى الأمثال Idioms في تناولها فلا يتوقف معناها على معاني مفرداتها الداخلة في تركيبها، وأن يكون على وعى بذلك بالنسبة إلى كلتا اللغتين، فلا يجوز في ترجمة "أهلاً وسهلاً" مثلاً أن نتجاهل الرتبة بين اللفظين وأن نجعلها سهلاً وأهلاً. ولا أن ننسب معنى مختلفاً لإحدى العبارتين عن الأخرى في "السلام عليكم" و"عليكم السلام" فاختلاف الرتبة هذا لا يغير المعنى.

٧- من مشكلات الترجمة اختلاف العادات والتقاليد من مجتمع إلى مجتمع آخر، أى من لغة إلى لغة أخرى. فكثيراً ما يكون اختلاف اللغتين مصحوباً باختلاف رؤية العالم وما يكون معه من اختلاف العرف والعادات والتقاليد، ومما يترتب على هذا الاختلاف أنه يجب على من يباشر الترجمة من لغة لأخرى ألا يعتمد على نقل معنى المقال فحسب وإنما يزاوج بين المقال والمقام عند الترجمة، ولقد سبق أن أشرنا إلى عدم جدوى الاكتفاء بدلالة المقال دون المقام في ترجمة عبارة مثل: "لماذا تأخرت؟" لثلا يتحول المعنى إلى مجرد الاستفهام. وهنا نعود مرة أخرى إلى الكلام عن ترجمة الأعمال الأدبية، فهذه الأعمال ليست مجرد نصوص جميلة يمكن عزلها عن محيطها كعزل النغمة الموسيقية عن ظروف إبداعها دون أن يؤثر ذلك على إمكان تأثيرها، إن الأدب هو صدى الحياة الاجتماعية في مجتمع ما، وهو مثل الصدى يتوقف وجوده على مثير ويختلف في طبيعته عن ذلك المثير.

قد يتساءل المرء بعد ذلك: كيف نتفاضل الترجمات، وما الذى يجعل ترجمة ما تستحق الوصف بالجودة أو الرداءة؟ والجواب أن العناصر التى تستحق أن تقوم عليها المفاضلة يمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

* مدى قرب الترجمة أو بعدها عن حرفية النص، ولعل هذا أن يكون أقل الأمور أهمية كما نرى.

* مدى تمثيل الترجمة للمعنى الكلى الذى عبر عنه النص المترجم، والمعول هنا على المعنى الكلى.

* مدى وفاء الترجمة بظلال المعانى إذا كانت الترجمة لنص أدبى، والمقصود مدى نقل الترجمة لمزاج النص ومذاقه الذى كان له فى لغته الأصلية أو نطاق ثقافتها القومية.

* مدى احتفاظ النص (إن كان شعرياً) بتأثيره الموسيقى الذى كان له فى الأصل.

ومعنى ذلك أن تفضيل ترجمة على أخرى ليس أمراً بسيطاً، لأن الأسس التى تقوم عليها المفاضلة متعددة ولكل أساس منها اتجاه معيارى يصعب اعتباره متسماً بسمه الضبط القياسى التام، ومن ثم ينبغى أن يكون استعماله مرتبطاً بهذا الفهم مبنياً على الاتساع (أى على الترخص) فى الحكم.

قواعد العدول:

- ١ - إذا تحركت الواو أو الياء والفتح ما قبلها قلبت ألفاً نحو قال وباع.
- ٢ - إذا وقعت الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة نحو كساء وبناء.
- ٣ - إذا وقعت الواو لا ما لفُعلى وصفاً قلبت ياء نحو دتيا وعليا.
- ٤ - تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله نحو إقامة ومدين (يخضمون).
- ٥ - إذا كسر ما قبل الألف قلبت ياء وإذا ضم ما قبلها قلبت واواً نحو مصاييح.
- ٦ - إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف مطبق قلبت طاء نحو مصطفى.
- ٧ - إذا سكن أول المثلين وحرك ثانيهما وجب إدغامها نحو ردّ ومدّ.
- ٨ - تدغم لام التعريف فى كل حرف شمسى يتلوها نحو الصلاة.
- ٩ - إذا التقت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء نحو سيد وميت.

١٠ - إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل أعلت في فعله قلبت همزة نحو قائل وبائع.

١١ - تحذف ألف أفعل في مضارعه واسمى فاعله ومفعوله نحو يكرم - مكرم - مكرم.

١٢ - تحذف فاء المثال من مضارعه وأمره ومصدره نحو تعد - عد - عدة.

اكتساب السليقة بالممارسة

من المعروف أن الدراسات اللغوية في جملتها وفي مختلف العصور كانت أكثر عناية بتحليل الفهم منها بإنتاج الكلام أى أنها ظلت تدور حول نشاط السامع أكثر مما تدور حول نشاط المتكلم. والمعروف أن المتكلم والسامع هما قطبا الاتصال اللغوى، وبينهما واسطة لغوية تسمى "الرسالة" يصدرها المتكلم ويستقبلها السامع. وللمتكلم مقدرة على إنتاج الكلام تعرف في الدراسات الحديثة باسم Compretence، كما تعرف في التراث العربى باسم السليقة، والمعنى في كلتا الحالتين اكتساب المتكلم قدرة على إنتاج الكلام المطابق لشروط أدائية معينة، وعرف اجتماعى يحافظ على هذه الشروط، فإكتساب المهارات الأدائية هو السليقة، وهو شرط من شروط إنتاج الكلام.

ولم نجد في تراث الدراسات النحوية العربية إلا إشارات عابرة إلى عمل المتكلم مثل إشارتهم إلى بدل الغلط وبدل النسيان وإرادة التوكيد إلخ.. غير أن أحد أعلام الدرس اللغوى العربى اتجه إلى الدور الذى يقوم به المتكلم اتجاهاً مباشراً، وحاول التنظير لهذا الدور. ذلك هو عبد القاهر الجرجانى الذى قرر فى كتابه "دلائل الإعجاز" أن إنتاج الكلام يبدأ ينظم المعانى النحوية فى النفس على صورة تحمل بعض الشبه بوصف العلاقات الإعرابية الذى يكون عند إرادة الفهم.

ولقد اصطنع عبد القاهر لخطوات إنتاج الكلام مراحل أربعة هى: النظم والبناء والترتيب والتعليق.

وفيماء إلى نصوص مأخوذة من دلائل الإعجاز تكشف عن تصووره لعملية إنتاج الكلام:

١- يقول عبد القاهر (ص ٣٥): [طبعة المنار]

"ولا جهة لاستعمال هذه الخصال (يقصد البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة) غير أن يأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية".

٢- ثم يقول (ص ٣٥ أيضاً):

"وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم (أى مجموع مفردات الجملة) إخباراً وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا وتؤدّي في الجملة معنى من المعانى التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة (لاحظ فكرة التضام) وبناء لفظة إلى لفظة".

٣- ويقول (ص ٤٤):

"اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس. وإذا كان ذلك كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة بسبب من صاحبها ما معناه وما محصوله. وإذا نظرنا في ذلك أعلمنا ألا محصول لها غير أن تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرًا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسمًا على أن يكون الثانى صفة أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيًا أو استفهامًا أو تمنياً، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن نجعل أحدهما شرطاً في الآخر فتجىء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضُمَّنَتْ معنى ذلك الحرف".

"واعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نَهَجْتَ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رُسِمَتْ لك فلا تحل بشئ منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم (يقصد المتكلم) بنظمه غير أنه ينظر فى وجوه كل باب وفروقه".

هنا يبدو من كلام عبد القاهر أن المعانى التى يجرى نظمها فى النفس هى تلك المعانى المقررة فى متون النحو كالابتداء والإخبار والفعلية والفاعلية وهلم جرا ويؤيد ذلك ما سنراه بعد قليل من تطبيق نظريته على سورة فاتحة الكتاب. ولقد اتهم بعض الباحثين المحدثين عبد القاهر بأنه فى كلامه عن النظم تعلق اهتمامه بالمفردات حتى إنه لم يتناول بالتحليل نصاً كاملاً. ويؤيد هذا الادعاء بأمرين:

أ- أن مفهوم النظم يقتضى مفردات متعددة منظومة.

ب- أننا سنجد البرهان بعد قليل على أن عبد القاهر تناول بالتحليل نصوصاً كاملة.

ومن الواضح أن هؤلاء الذين يوجهون هذا الاتهام لعبد القاهر لم يحسنوا قراءة دلائل الإعجاز ولم يروا قول عبد القاهر التالى:

٥- يقول عبد القاهر (ص ٣١٤):

"ومما ينبغى أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يُتَصَوَّرُ أن يتعلق الفكر بمعانى الكلم أفراداً ومجردة من معانى النحو. فلا يقوم فى وهم ولا يصح فى عقل أن يتفكر متفكر فى معنى فعل من غير أن يريد إعماله فى اسم، ولا أن يفكر فى معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعلٍ فيه، وجَعَلَهُ فاعلاً أو مفعولاً أو يريد منه حكى سوى ذلك من الأحكام".

٦- ثم يقول (ص ٣٤٧):

"ذلك أن النظم كما بيّنا هو توخى معانى النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه وأصوله، وليست معانى النحو معانى الألفاظ فيُصَوَّر أن يكون لها تفسير".

٧- ثم يتناول بالتحليل نصّاً كاملاً هو سورة فاتحة الكتاب فيقول (ص ٣٤٧):

"وجملة القول أن النظم هو أن الحمد من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مبتدأ، و﴿لِلَّهِ﴾ خبر و﴿رَبِّ﴾ صفة لاسم الله تعالى مضاف إلى ﴿الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتان كالرَّبِّ و﴿مَلِكِ﴾ من قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ صفة أيضاً ومضاف إلى ﴿يَوْمِ﴾ و﴿يَوْمِ﴾ مضاف إلى ﴿الدِّينِ﴾ و﴿إِيَّاكَ﴾ ضمير اسم الله تعالى مما هو ضمير يقع موقع الاسم إذا كان منصوباً. معنى ذلك أنك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت: "الله نعبد" ثم إن ﴿نَعْبُدُ﴾ هو المقتضى لمعنى النصب فيه، وكذا حكم ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ثم إن جملة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معطوف بالواو على جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. و﴿الصِّرَاطَ﴾ مفعول و﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ صفة للصراط و﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ بدلاً من ﴿الصِّرَاطَ﴾ الْمُسْتَقِيمَ و﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿الَّذِينَ﴾ و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ صفة للذين و﴿الضَّالِّينَ﴾ معطوف على ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم يشير إلى أن تحليله هذا لمعانى النحو يجعل النظم من عمل المتكلم فيقول (ص ٣٤٩):

٨- "هذا وأمر النظم ليس شيئاً غير توخى معانى النحو فيما بين الكلم، وأنك (أى أيها المتكلم) ترتب المعانى أولاً فى نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ فى نطقك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعانى (أى معانى النحو) لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب فى غاية الظهور والقوة".

ولا ينبغى أن يفهم من كلام عبد القاهر المذكور تحت رقم ٤ سابقاً أن كل متكلم

لابدّ أن يتعلم النحو ليستطيع نظم معانيه في النفس. وذلك أن النحو الذى يقصده عبد القاهر جزء من السليقة لا من المتون النحوية، وإذا كان ثمة شبه بين تحليل عبد القاهر لعملية النظم وبين عمليات الإعراب التى هى جزء من الفهم فقرر عبد القاهر أنه كان بحاجة إلى مصطلحات جاهزة لم يجدها إلا فى متون النحو. بهذا يمكن أن نقول: إن نشاط المتكلم "تفعيل" ونشاط السامع "تحليل"، أى أن المتكلم ينتقل من المعنى إلى إنشاء العبارة وأن السامع ينتقل من العبارة المسموعة إلى استنباط المعنى.

أما فى الدرس الحديث فقد لقى إنتاج الكلام عناية فى فروع متعددة من البحث مثل النحو التحويلي وعلم النفس اللغوى كما عنى الاجتماع اللغوى بالازدواجية اللغوية ومواقف الاتصال وعنيت الأنثربولوجيا بأثر الحياة الشعبية فى الأداء اللغوى. وأخيرًا جاءت دراسات علم النص لتتناول النشاط الاتصالي من طرفيه طرف الإنتاج وطرف الاستقبال ويطول الكلام لو فصلنا القول فى اهتمام كل فرع من هذه الفروع بإنتاج الكلام على حدة، ذلك أننا نودّ أن نلقى نظرة على الموقف فى حدود بيتئنا العربية قديمًا وحديثًا لأن ذلك ألصق بموضوع هذا البحث وأولى باهتماماته.

كان العرب الفصحاء يكتسبون المهارات الأدائية فى استعمال اللغة دون أن يعلموا صرفها ولا نحوها وإنما كانوا يصلون إلى ذلك بالممارسة، وكانوا يسمون القدرة على صحة الأداء "السليقة"، ويرون كما رأى ذلك النحاة من بعدهم أن السليقة جزء من الطبع لا يوصل إليه بالاجتهاد فى الطلب. فلما نشأت الدولة الإسلامية ودخلت شعوب تحت لوائها لم تكن تتكلم العربية وخالط العرب أبناء هذه الشعوب وصاهروهم ضعفت السليقة فلو كانت طبعًا فيهم ما ضعفت. عندئذ كان لابد من العناية بالنص القرآنى الذى استجدّ اللحن فى قراءته حتى من أولى الأمر من أمثال الحجاج بن يوسف. فلما فشا اللحن رأى أحد القراء الأعلام وهو

أبو الأسود الدؤلى أن يضبط النص مكتوبًا فكان قوله: "إذا فتحت فمى" و"إذا ضمنت فمى" إلخ سببًا فى نشأة مصطلحات "الفتحة" و"الضمة" و"الكسرة" وإذا بالغ البعض فى الاعتداد بعمل أبى الأسود هنا ليجعله عملاً نحويًا فإن الصحيح أن عبد الله أبى اسحق هو النحوى الأول لأنه هو الذى "بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل". وكان فى الوقت نفسه قارئًا فورث القراء عنه أن من شروط صحة القراءة أن توافق العربية ولو بوجه". والمقصود بلفظ العربية فى أدب التراث هو الأداء النحوى كما قصد بلفظ اللغة موضوع فقه اللغة.

ماذا فعل النحاة رحمهم الله من أجل المحافظة على نظام اللغة العربية؟ المعروف أن الكلام المضبوط الذى يبنى على التقعيد (ويسمونه صناعة) يقوم على الاستقراء الناقص بأن يختار أهل النظر من بيانات موضوع البحث نموذجًا محدود المساحة يسمونه "العينة" وقد سماه النحاة "المسموع". ثم ينظرون فى بنية هذا المسموع بغية الكشف عن المشابه والفروق الموصلة إلى التقعيد ولقد نظر النحاة فى المسموع فراعهم منه أنه يتأبى على الاطراد إذا أخذ كما هو. رأوا مثلاً أن فعل الأمر من الثلاثى قد يشتمل على ثلاثة حروف مثل "اضرب" أو اثنين مثل "قل" أو على حرف واحد مثل "ق"، كما رأوا أن المبتدأ يكون معرفة حينًا نحو "الله أكبر" ونكرة حينًا آخر نحو "وقليل ما هم" إلخ، فلو قنعوا بذلك ما وصلوا إلى إنشاء صناعة النحو ولظل تناولهم للدرس فى نطاق فقه اللغة بحيث يكون تناولهم منصبًا على المفردات لا على القواعد. كان لابد لهم أن يحتالوا وأن يلجأوا إلى تجريد أصول مطردة يربطون بها الأمثلة المنطوقة فأنشأوا للمفردات "أصل الوضع" وللقواعد "أصل القاعدة" وللقياس على المستعمل "أصل القياس" وجعلوا ما خالف الأصل من المفردات معدولاً به عن الأصل، وهكذا وصلوا إلى الاطراد من خلال تجريد الأصول.

ولقد ربطوا العدول عن أصل الوضع كما سبق بقواعد تدور حول العلاقات

الصوتية مثل: إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء "نحو" زَيَّان"، وربطوا العدول عن أصل القاعدة بأمن اللبس بمعنى أنه لا يعدل عن القاعدة إلا إذا أمُن اللبس، وربطوا أصل القياس بالاستعمال فلا يقاس إلا على المستعمل ويمتنع القياس على الأصول المجردة ذهنيًا.

كيف كان وصول النحاة إلى أصل الوضع؟ إذا ضربنا مثلاً بالفعل "قال" وجدناهم سلكوا في سبيل ذلك طريقين: الأول مقارنة مشتقات المادة إذا وجدوا الواو تتحقق في كلمات مثل "قول" و"أقوال" و"قوال" إلخ، والثاني أن القاف تضم في المضارع والأمر فكان ذلك في اجتهدهم دليلاً على أن الألف في قال أصلها الواو وأن الأصل هو "قَ وَ لَ" ولم تنطق به العرب. وكيف وصلوا إلى أصل القاعدة وفرعها؟ وصلوا إلى ذلك اعتماداً على القلة والكثرة في مجال التراكيب. فالتركيب الأكثر وروداً ينم عن أصل القاعدة والتركيب الأقل وروداً يعد فرعاً على القاعدة على شرط أمن اللبس. فإذا أردنا أن نضرب المثل بأصل القاعدة وفرعها فلن نجد أخصر من عبارات ألفية ابن مالك التي تشير دائماً إلى الأصل ثم تستثنى منه الفرع بشرط أمن اللبس. انظر أقوال ابن مالك فيما يلي:

ولا يكون اسم زمان خبراً عن جئة - وإن يفد فأخبراً

فالقاعدة الأصلية منع الإخبار باسم الزمان عن المبتدأ الدال على أمر مادي. والقاعدة الفرعية نقول: إذا أمن اللبس فلا مانع. ومثل ذلك ما يلي من أبيات الألفية:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة	ما لم تفد - كعند زيد نمرة
والأصل في الأخبار أن نؤخرا	وجوزوا التقديم إذا لا ضررا
وحذف ما يعلم جائز كما	نقول زيد بعد من عند كما
وفي جواب كيف زيد قل دنف	فزيد استغنى عنه إذا عرف

وجائز رفعك معطوفاً على
وربما استغنى عنها إن بدا
وشاع في ذا الباب اسقاط الخبر
والحذف في نعم الفتاة استحسنوا
وقد يجاء بخلاف الأصل
وتاء تأنيث تلى الماضي إذا
وقد يبيح الفصل ترك التاء في
وأخر المفعول إن لبس حُذر
وما بإلا أو بإنما انحصر
في باب ظن وأرى المنع اشتهر
نقلاً وفي أنّ وأن يطرد
وقد يثوب عنه ما عليه دل
وحذف عامل المؤكد متنع
هذا إذا نويت معنى مِنْ وإنْ
وما من المنعوت والنعته عَقْل
وربما أسقطت الهمزة إن
والفاء قد تحذف مع ما عطف

منصوب إن بعد أن تسنكملا
ما ناطق أراده معتمدا
إذا المراد مع سقوط ظهر
لأن قصد الجنس فيه بيّن
وقد يجى المفعول قبل الفعل
كان لأنثى كأبت هذا الأذى
نحو أتى القاضى بنت الواقف
أو أضمر الفاعل غير منحصر
آخر وقد يسبق إن قصد ظهر
ولا أرى منعاً إذا قصد ظهر
مع أمن لبس كعجبت أن يدوا
كجد كل الجد وافرّح الجذل
وفي سواه للدليل متسع
لم تنو فهو طبق ما به قرن
يجوز حذفه وفي النعت يقلّ
كان خفا المعنى يحذفها أمن
والواو إذ لا لبس وهى انفردت

في هذه الأبيات نجد التعبير عن مفهوم أمن اللبس يبدو في ألفاظ مثل الإفادة
والعلم والمعرفة وإرادة المعنى وظهور المراد والقصد وحذار اللبس والدلالة ونية
المعنى وعدم خفائه وهلم جرا. وهكذا يكون وضوح المعنى عاملاً فعالاً في جواز
العدول عن قاعدة أصلية إلى قاعدة فرعية. ليس ذلك فقط. إذ يكون طلب الخفة في

النطق عن تجاوز الأصوات سبباً في كسر قاعدة أصلية أو أصل من أصول الوضع بواسطة قاعدة موقعية وأقصد بالقواعد الموقعية تلك التي ترتبط بموقع معين من السياق اللفظي كارتباط الوقف بتمام المعنى وارتباط التوصل بالهمزة عند البدء بالساكن والتخلص من التقاء الساكنين عند تواليهما وحذف بعض الأمثال عند توالى الأمثال وهلم جرا. كل ذلك إما أن يكون عدولاً عن أصل أو عن قاعدة أصلية وهو يعود إلى مبدأ طلب الخفة الذى لا يقل أهمية عن مبدأ أمن اللبس الذى قال فيه ابن مالك: "وإن بشكل خفيف لبس يجنب".

هذا هو النظام الذى استخرجه النحاة من المسموع من كلام العرب وهو يعد هيكلاً نظرياً تشابك فيه العلاقات النحوية. ولقد قال النحاة عن فائدة هذا النحو: إنه يكسبنا أن نتكلم كما كانت العرب تتكلم. غير أننا إذا وضعنا هذه العبارة في ضوء ما سبقت الإشارة إليه من انتهاء السليقة في حواضر الدولة الإسلامية أدركنا أن استعمال لفظ "يكسبنا" في هذا الصدد يحمل الكثير من المبالغة، لأن حذق النحو لا يكسبنا فإن طلبه يمثل نقلاً للمعرفة لا اكتساباً للمهارات. ذلك أن الاكتساب يؤدي إلى أن يتكلم المرء دون وعى بقواعد النحو، وذلك ما كان من شأن فصحاء العرب أصحاب السليقة.

إن اهتمام مؤتمرننا هذا يتجه إلى "التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية" ولنا أن نفهم من إيراد المهارات بصيغة الجمع أحد معنيين: الأول تعدد المهارات يتعدد فروع الدرس اللغوى فتقول إن هناك مهارة في النحو وأخرى في فقه اللغة وثالثة في النقد الأدبى وهلم جرا. والثانى أن نحصر المهارات في نطاق الجانب النحوى فنفرق بين مهارة التكلم ومهارة الفهم ومهارة التحليل الأكاديمى للنص وهلم جرا. وقد اخترت لنفسى هنا أن يكون فهم لفظ "المهارات" بالمعنى الثانى دون الأول طلباً للاختصار.

ينحصر الفرق بين المشاهد واللاعب في ملعب كرة القدم في أن المشاهد على رغم

معرفته التامة بأصول اللعب لا يحسن اللعب كما يحسنه اللاعب، فلو قيل له انزل إلى الحلبة وباشر اللعب لاعتذر بأنه لم يمارس ذلك من قبل فلا يستطيع المشاركة في المباراة. ويولد الطفل فيكون لصيقاً بأمه يتغذى بلبنها ويستمتع بحنانها ويسمع حديثها إلى من حولها كما يسمع مناغاتها له، ويظل هكذا موضعاً لرعايتها حتى إذا قضى في صحبتها ثلاث سنوات أو نحوها اكتسب لغتها دون أن يعرف لهذه اللغة صرفاً أو نحواً، وبذا يكون قد اكتسب المهارة دون أن يستوعب المعرفة، وبهذين المثليين يتضح الفرق بين اكتساب السليقة بالممارسة وبين مجرد استيعاب مسائل النحو.

وكالطفل الذى لزم صحبة أمه وكاللاعب الذى تمرن حتى وصل بالممارسة إلى مستوى المهارة كان العربى الفصيح ينشأ بين قوم فصحاء فيكتسب لغتهم كما نشأنا جميعاً بين أقوام يتكلمون لهجات عربية دارجة مختلفة فاكسب كل منا لهجة بيته بالسليقة فهو يتكلمها دون وعى بنحوها أو صرفها (والمعروف أن لكل لهجة نحوها وصرفها). أما موقف كل منا من اللغة العربية فهو موقف المرء من لغته الثانية التى يتعلمها ولا يكتسبها بهذه الطريقة على الرغم مما هذه اللغة الفصحى من خطر فى حياتنا الاجتماعية. فللفصحى جانب من حياتنا لا يمكن أن تقوم الحياة مقامها فيها. فنحن نصلى بالفصحى ونكتب رسائلنا إلى ذويها ونمارس الخطابة بها وتدعو إلى استعمالها فى قاعة الدرس وفى وسائل الإعلام فإذا رجعنا إلى حياتنا العملية فى السوق أو فى محيط الأسرة استعملنا اللهجة الدارجة. فالفصحى تقاسم الدارجة فى حياتنا ولكنها تعد لغة ثانية لأنها لم يتم اكتسابها بالسليقة لأن الوصول إلى الصواب فى استعمالها يتم بواسطة تعلم النحو.

من هنا يرد على الذهن سؤال عن طريقة يمكن من خلالها اكتساب المهارات الأدائية فى استعمال اللغة العربية بعد افتقاد السليقة كما عرفها العربى الأول. والجواب أن برامج التعليم العام فيما قبل المرحلة الجامعية تعترف بنوعين من تعليم

اللغة يخاطب كل منهم جانبًا من جوانب التنشئة: النوع الأول هو نقل المعرفة ويتمثل في درس النحو، والنوع الثانى هو السعى إلى اكتساب المهارة ويتمثل في دروس الممارسة وهى دروس المحفوظات والإنشاء والمطالعة الجهرية والمحادثة. فهذا النوع الأخير لا ينقل معرفة ما وإنما ينقل الفاعلية من جهود المعلم إلى جهد التلميذ الذى يتوقف اكتسابه للمهارة على مقدار ما يبذله من جهد فى هذا المجال.

هنا أجدنى مضطرًا إلى الاعتراف بأن النظام الجامعى فى التعليم ينظر شذراء إلى هذا النوع الثانى من الدروس فلا يضعها فى خططه ولا يجعلها من جملة أعمال النشاط. فطالب التعليم الجامعى فيما يرى المخططون لبرامج التعليم الجامعى لا حاجة به إلى أن يشغل نفسه بهذا النشاط الذى يحول دون تهيئة فكره للوصول إلى التخصص فى مجال معرفى بعينه. أما دروس المحفوظات والمطالعة الجهرية والمحادثة والإنشاء فذلك أمر سبق له أن درسه فى مرحلة التعليم العام ولا يتناسب الآن مع مستوى التعليم الجامعى.

وإذا كان لنا أن نتسامح مع هذا الفهم فيما يتصل بخطة المقررات فى المرحلة الجامعية فلا مجال للتسامح بصدد إهمال هذا الجانب إهمالاً تاماً لأن الطالب الجامعى ما يزال بحاجة إلى هذا النوع من الممارسة والفاعلية للوصول إلى اكتساب مهارة لغوية لا شك فى أنه لم يصل إليها فى مرحلة التعليم العام، بدليل عموم الشكوى من مستوى الطلاب وقدراتهم اللغوية الهابطة على مستوى عالمنا العربى كله، وهكذا ينبغى لنا أن ننظر فى إمكان الانتفاع بالنشاط المؤدى إلى اكتساب المهارة فى الأداء اللغوى، وكيفية إدماج هذا النشاط فى خطة التعليم الجامعى.

دعنا أولاً ننظر فى شأن العناية بالمحفوظات وسنرى عندئذ أنه ليس المقصود أن يكون للمحفوظات درس خاص، ولكن الانتفاع بالمحفوظات مجاله الامتحان

الشفوى إذ يرتبط نجاح الطالب فى هذا الامتحان بمقدار ما يحفظه من نصوص بعينها تحدد له من بداية العام الدراسى وتختلف فى كل مرحلة عنها فى المرحلة السابقة. وتشمل نصوصًا من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر من عصر بعينه فى كل مرحلة من مراحل التعليم الجامعى. فاكساب المهارة هنا يرتبط بنشاط يتم خارج أوقات الدروس فىمكن احتسابه ضمن الأنشطة الثقافية الجامعية.

أما مهارة الكتابة والوصول إلى الكفاءة فيها فذلك يتم بواسطة تكليف الطلاب كتابة بحوث فى موضوعات من صلب خطة الدراسة كأن يطلب من أحدهم كتابة بحث عن أحد الشعراء الذين هم ضمن الخطة المقررة أو عن أحد علماء اللغة إلخ. وواضح أن هذا النشاط تعويض عما فات الطلاب من الانتفاع بدروس الإنشاء التى توقفت بعد التعليم العام. ويرتبط تقويم الأستاذ لطلابه بما يصلون إليه من الإتقان فى تحرير هذه البحوث، ويمكن تعويض النقص الذى خلّفه غياب المطالعة الجهرية والحوار بإنشاء جمعيات ضمن النشاط الثقافى للخطابة والمناظرة مع إعطاء الطلاب فرصة للنقد والتعليق على ما يقال. هذه الجمعيات تنشئها الكلية وتعين لها مشرفين من الأساتذة خارج ساعات الدروس.

هكذا يخرج الأمر فى نظرى عن مجرد نقل المعرفة ليدخل فى نطاق اكتساب المهارات.

ملخص

المهارات اللغوية متنوعة منها مهارة التكلم ومهارة الفهم ومهارة الإبداع الأدبي والاستمتاع بالإنتاج الأدبي الراقى. والذي يهتم الدراسات اللغوية من ذلك هو مهارة التكلم ومهارة الفهم. والمعروف أن التكلم يبدأ بالمعنى وينتهى إلى المبنى ليجعل المتكلم ما يقوله رسالة موجهة إلى سامع يحل شفرتها فيفهم منها معنى العبارة أو الإشارة أو الإيحاء أو حتى مفهوم المخالفة في بعض الأحيان. والمعروف في زماننا هذا أن علم النفس اللغوى يعنى بالجانب الذهني لاكتساب هذه المهارات وأن علم الاجتماع اللغوى يعنى بالجانب العرفي والعملى من جوانب الأداء اللغوى بشقيه الكلامي والفهمي.

أما في تراث الأمم المختلفة فقد كان المعتقد أن الوصول إلى المهارات يتم من خلال تعلم قواعد اللغة ومن هنا أصبح الأمل معقوداً على تحصيل هذه القواعد للوصول إلى اكتساب المهارات المذكورة، وأصبح درس النحو قمة الدروس اللغوية في تربية النشء فكان له نصيب الأسد من ساعات جدول الدراسة.

والواقع أن النحو نوعان: نحو يَقَرُّ في نفس المتكلم بواسطة الحدس فلا يرى له المتكلم أبواباً ولا أقساماً وإنما ينشئ كلامه بحسبه، ونوع يُستخرج من المسموع من الكلام فينشئ أقساماً للكلم وأبواباً للعلاقات وأنواعاً للجمل ثم يكون موضوعاً للتلقين والتعلم. كان العرب يسمون المهارة في النوع الأول "السليقة" وكان الطفل يكتسب هذا النحو الحدسى بواسطة المخالطة والممارسة دون أن يعلم للكلم أقساماً

ولا للعلاقات أبوابًا ولا للجمل أنواعًا، وهذا ما نجده في حدسنا جميعًا بالنسبة لاكتساب المهارات في لهجاتنا الدارجة اليوم. فلما انتهى عصر الفصاحة السليقية العربية كان لابد من إنشاء النوع الثانى من النحو على زعم أنه يجعل فى قدرة غير الفصحاء "أن يتكلموا كما تكلمت العرب" كما يقول ابن جنى وغيره، فكأنهم ربطوا مهارة التكلم بهذا النحو.

وواضح أن هذا النحو ينقد الكلام الذى قيل دون أن يعين على قوله فمثله كمثل منطق أرسطو ينقد الفكر ولا يعين على التفكير. أما المهارات فطريقها الممارسة والمخالطة إما فى إطار مجتمع فصيح كالذى كان وإما فى إطار دروس استعمال اللغة كالمطالعة الجهرية والمحفوظات والإنشاء والحوار وما ينشئه النشاط الدارسى من مناسبات تشتمل على استعمال اللغة، عندئذ يكون دور النحو هو النقد والتوجيه والتصويب ورد المتكلم إلى صحة الاستعمال.

وليس فى تراثنا العربى إلا القليل من العناية بعمل المتكلم كالأشارات التى نلاحظها فى عبارات مثل "بدل الغلط" أى غلط المتكلم و"التأكيد للشاك" أى شك السامع وهلم جرا. أما العالم الوحيد الذى خصص دراسة كاملة لعمل المتكلم فهو عبد القاهر الجرجانى فى كتابه "دلائل الإعجاز" كان عبد القاهر يعرف الفرق بين النحو الحدسى والنحو التجريبي بدليل كونه يتكلم عن الكلام فيجعله "نظم المعانى فى النفس" فكونه فى النفس يجعله حدسًا أما كونه تجريدًا فيخيل فى الذهن وفى المنهج وفى معاناة التفكير لاستخراج القواعد. غير أن عبد القاهر كان معنيًا بفكر عن الحدس فكان لابد له من استعمال مصطلحات النحاة مما جعل كلامه عن مهارة الكلام فى النهاية أشبه بالتحليل الإعرابى كما يبدو من تناوله للتطبيق على سورة فاتحة الكتاب معنى هذا أن الحدس وإن أدى إلى نظم الكلام المتصل فإنه لا يعى أسماء الأبواب ولا التبويب والنقد وإنما ينطلق فى ذلك من آلية غير واعية اكتسبها من المخالطة والممارسة.

والمعروف أن النظم الجامعية وخطط الدراسة بالجامعات تفترض دائماً أن المطالعة الجهرية والإنشاء ونحوهما لا تناسب التعليم الجامعى ولكن نجد هذه الخطط تخصص ساعات لدروس النحو فتجعلها نقلاً للمعرفة لا يؤدى إلى كسب المهارة وإنما يعين على نقد الكلام وعلى الصواب والخطأ فى تراكيبه. وكم من عالم بالنحو يعرف أصوله وفروعه ويفلسف القول ويحصى مواطن الخلاف بين مدارسہ وعلمائه فإذا أراد الكلام عما يعرفه من هذه الأمور ارتكب الأخطاء النحوية والصرفية، أما إذا كتب ما عز عليه الصواب فيه عند الكلام فإن زمن الكتابة يملهه لكى يصحح كلامه فيبدو عندئذ وكأنه صاحب مهارة مع أنه فى الحقيقة كان كاتباً — فى الوقت نفسه بمعونة فسحة الزمن الذى أنفقه فى الكتابة.

على النظم الجامعية إذاً أن تحتال لإدماج الممارسة العملية للأداء اللغوى فى برامج العمل ولو فى ظل النشاط الثقافى وشروط النجاح فى الامتحان. فيمكن للمطالعة الجهرية والحوار أن يكون نطاق النشاط خارج خطة الدراسة وأن يكون أداء الطلاب فيهما تحت إشراف أحد الأساتذة أما المحفوظات فيمكن أن يكلف الطلاب بحفظ نصوص من عصر أدبى معين لكل فرقة حتى يمكن الحفظ من عصور مختلفة باختلاف الفرق على أن يمتحن الطلاب شفويًا فى الحفظ امتحانًا يبنى عليه نجاح ورسوب. ومثل ذلك فى الإنشاء إذ يكلف الطلاب كتابة بحوث فى موضوعات ذات صلة بالمقررات على أن يكون تقدير النجاح والرسوب فى هذه البحوث جزءًا من الامتحان السنوى هكذا يمكن أن نصل إلى فاعلية الطلاب ودفعهم إلى ممارسة استعمال اللغة مما يؤدى إلى اكتساب المهارات لا مجرد الاعتماد على التلقين ونقل المعرفة.

اكتساب السليقة بالتعليم

المقصود بالدراسات اللغوية الحديثة أعم من أن يكون مقصوراً على الدراسة النظرية للتركيب اللغوى فإذا كان المعنى هو ضالة الدراسات اللغوية، فإن ذلك لا يتنافى مع كونه ذا علاقات أخرى متنوعة، بعضها غير لغوى، ذلك أن له علاقة بالإدراك ومظاهره كالتعرف والتذكر والفهم، وهذه العلاقات موضع اهتمام فرع من فروع الدراسات الجانية كعلم اللغة النفسى مثلاً. وهناك علاقة بين المعنى وموقف الاستعمال اللغوى (وما به من الظروف والأوضاع السائدة بجميع جوانبها) وهذا الجانب يتناوله فرع آخر من علم اللغة الحديث يسمى "علم اللغة الاجتماعى" وهو غير "علم الاجتماع اللغوى" الذى يعنى بتقسيم اللهجات الجغرافية والاجتماعية. ونصل أخيراً إلى العلاقة بين المعنى واللفظ وهى العلاقة التى يدرسها "علم اللغة النظرى" الذى يتبادر إلى الذهن عند قولنا "الدراسات اللغوية الحديثة" ولقد نشأ منذ عشرات السنين فرع تطبيقى للدراسات اللغوية الحديثة مستعيناً بنتائج الدراسات السابقة كلها وجعل موضوع تداوله شاملاً لعدد من الحقول المختلفة كما يلى:

١- التخطيط اللغوى.

٢- الترجمة الآلية.

٣- هندسة الاتصال.

٤- علاج العيوب النطقية.

- ٥- تعليم اللغة.
- ٦- محاربة الأمية.
- ٧- تصميم النظم الكتابية.
- ٨- جغرافيا اللهجات.
- ٩- المعاجم.
- ١٠- التحليل النفسى.
- ١١- لغة الدعاية.
- ١٢- الإعلان التجارى.
- ١٣- الترجمة الحاسوبية.

ولقد حرص "تعليم اللغة" من بين ما سبق ذكره على أن ينتفع بكافة الدراسات اللغوية الحديثة كما سيتضح فى الفقرات التالية:

إن تعليم اللغة العربية الفصحى (بل تعليم أية لغة على الإطلاق) يقوم على أبعاد ثلاثة: المتعلم، والعلم، والجهد التعليمى. فأما المتعلم فأن التفكير فى شأنه ينبغى أن يشتمل على عدة أمور ترتبط فى جملتها بالدراسات اللغوية النفسية (أو علم اللغة النفسى). إذ ينبغى عند الإعداد لتعليمه أن نفكر فى أمور تتعلق بتكوينه النفسى. ومن ذلك ضرورة التفكير فى درجة إقباله على التعليم وعوامل هذا الإقبال، وهذا هو ما يسمونه "الحافز"، ثم التفكير فى معلوماته السابقة فى المادة المراد تعلمها وذلك لأن برنامج تعليمه السابق يحسن أن يكون نقطة الابتداء للبرنامج المقبل، وينبغى كذلك أن نراعى استعدادته الفردية وما يلقاه من معلومات خارج المدرسة من خلال الأسرة والدروس الخصوصية ووسائل الإعلام والنشاط الثقافى بعامة. ومما يتصل بذلك أيضًا أن نفكر فى نوعية المعلم الذى يؤتمن على تنمية تفكير هذا المتعلم وشحن قدرته على الخلق وإنشاء العلاقات بين الأشياء، ثم أن نفكر فى الغاية التى من أجلها كان خضوع التلميذ للتعليم، أنعلمه ليكون مواطنًا عاديًا قادرًا على

المشاركة في شئون الحياة الاجتماعية من خلال طائفة من المهارات اللغوية الأساسية، كالقدرة على الأداء (نطقًا وكتابة) وعلى الفهم (استماعًا وقراءة) أم نعلمه لغرض خاص يقتضى تأهيلًا معينًا، كأن نعهده ليكون في المستقبل معلمًا للغة العربية ذاتها مثلاً.

وأما المعلم فإن عمله يتصل اتصالاً خاصًا بالدراسات التربوية البداغوجية من جهة ويعلم الاجتماع اللغوى من جهة أخرى، إذ إن الأمر يختلف في تكوينه وتأهيله بحسب اعتبارات اجتماعية كطبيعة اللغة التى يتصدى لتعليمها: أهو معلم للغة القومية أم للغة أخرى أجنبية، وفي نطاق اللغة القومية أهى لغة المنشأ والأسرة (أو كما يسمونها لغة الأم) التى اكتسبها بالمعيشة منذ الطفولة الأولى بواسطة المحاكاة، أم هى لغة أخرى مشتركة لم يتكلمها فى البيت فى أيام طفولته وإن كان المجتمع يستعملها فى أغراضه العامة، فإذا كانت هذه اللغة العامة المشتركة أو الرسمية هى موضوع التعليم فما مقدار قوة العلاقة بينها وبين لغة المنشأ؟ أهى وثيقة كالتى تربط اللغة الفصحى باللهجات العربية أم هى غريبة عن لغة المنشأ كما يبدو الأمر فى العلاقة بين لغة الهوسا واللهجات المحلية فى غرب أفريقيا أو التى بين اللغة السواحلية ولهجات شرق أفريقيا. أو بين اللغة الإنجليزية وبين لهجات الهنود. فالمعلم فى كل حالة من هذه الحالات يفتقر إلى تأهيل خاص وإلى استعمال برنامج خاص، ويصطنع فى مباشرة التعليم طريقة خاصة. والأمر بالنسبة لمعلم اللغة العربية واضح من هذه الناحية فله الحمد أن الفصحى هى لغتنا الثانية؛ هكذا كانت فى الجاهلية وهكذا ظلت فى تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا. وينبغى أن نطبق على تعليمها وإعداد البرامج لها ما يتناسب من المناهج مع اللغة الثانية.

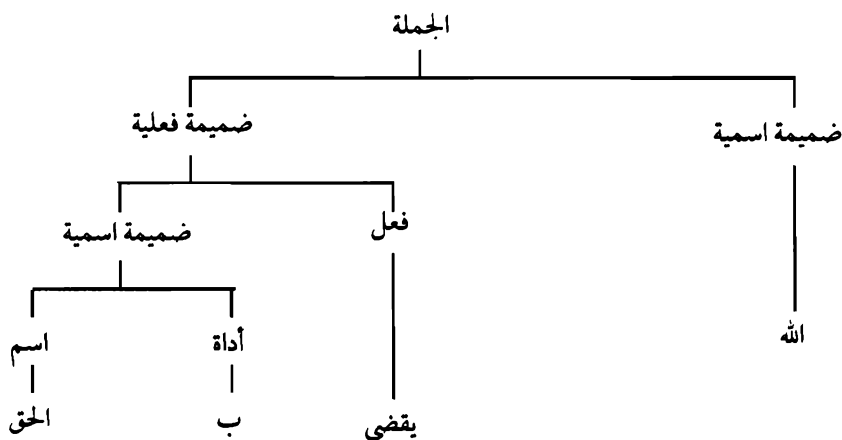
وأما الجهد التعليمى فهو الصق الأبعاد الثلاثة بما نسميه "علم اللغة"، سواء فى ذلك الجانبان: النظرى والتطبيقى، فأما الجانب النظرى من علم اللغة فشأنه أن يصف اللغة التى يراد تعليمها ويحدد بهذا الوصف ما يعرف بجانب السليقة منها،

كالذى صنعه النحاة العرب عند نشأة النحو (أقصد الدؤل وتلاميذه حتى سيبويه).
والمطلوب لهذا الوصف أن يقوم على الاستقراء الناقص للظواهر اللغوية من خلال
نصوص منتقاة. ولقد وصل النحاة إلى هذه النصوص إما بواسطة الرحلة وإما عن
طريق الوفادة وبعد ملاحظة الظواهر فى النصوص تجرى مقارنتها وتصنيفها
واستنباط قواعدها. وليست القواعد هى المقصود بالسليقة وإنما هى وصف
السليقة. والسليقة ليست سليقة فرد بعينه، ولكنها سليقة شخص مثالى مجرد فى
الذهن يعيش فى مجتمع متجانس. وهذا الشخص المثالى هو الذى نقصده عند ما
تقول "العربى"، وذلك المجتمع المتجانس هو المقصود بلفظ "العرب" وينبغى عند
هذا الحد أن نفرق بين الوصف العلمى النظرى للغة إذ يقوم به الباحث وبين النحو
التعليمى التطبيقى إذ يبدو الفرق بينهما فى منهج التفكير وفى عرض المادة. فالنحو
التعليمى وصف لبنية اللغة فى ضوء نظرية يلتزم بها الباحث، وهذا النحو يرفض
المعيارية والقياس حين يلتزم بالاستقراء الناقص فينتقل من الخاص وهو المفردات
المتفرقة إلى العام وهو القاعدة التى تصنف هذه المفردات فى أبواب دون أن يسمح
لنفسه باستعمال ألفاظ مثل "يجب" و"يجوز" وهو يستعمل العلل الصورية فيجعل
نشاطه كله إجابات عن "كيف" لأنه يحاول أن يصف كيفيات التعبير اللغوى
ويرفض العلل الغائية فلا يطرح على نفسه سؤالاً يبدأ بلمذا لأن ذلك لا يدخل فى
السؤال عن الوصف. ثم يلتزم بالبنية اللغوية التى يراها فى البيانات المعروضة
للملاحظة كما هى، فيرفض تأويلها من خلال التقدير أو التضمنين أو السبك أو
الفك، فإذا قال بأصول ثابتة فهى عنده مناط الاطراد وأساس السليقة وليست
معياراً للصواب والخطأ. فيرفض الحركة المقدرة فى إعراب "موسى" وتقدير فعل
محذوف وجوباً لनावب اللفظ فى "أهلاً وسهلاً" ولا يرتضى تقدير المصدر من أن
والفعل ولا يعترف بأن "مهماً" أصلها "ماما" ولا بأن لفظ مغربى مضمن معنى
"منسوب إلى المغرب". وأما النحو بمفهوم التعليم أى بمفهوم علم اللغة التطبيقى
فإنه يتسلم النظرية مكتملة من الباحث ثم يبدأ بدوره فى إخضاعها لمطالب التطبيق،

لأن كل همهم أن يصل بالمتعلم إلى استضمار السليقة فالباحث هو الذى يصف السليقة ويحددها ويجعلها فى متناول التطبيق لكن منهج التعليم غير منهج البحث، ومن حق المعلم أن يختلف تفكيره عن تفكير الباحث. ويبدأ النحو التعليمى من نقطة الأصل المجرد الذى يسميه علم اللغة idealization ويسميه النحاة العرب "الأصول الثابتة" ويجعلونه مرجعاً لتعليل الترخيص، ومعياراً لتفسير حالات العدول عن الاستصحاب. فإذا لم تطابق الكلمة صورة الأصل ردت إليه بالتأويل فى ظل الوجوب والجواز والتعليل الغائى على نحو يخضع لمبدأ طرد القاعدة، وفكرة الطرد أكبر عون لجهد المعلم ولاستيعاب المتعلم على حد سواء.

ولقد التزم علماء اللغة التطبيقيون بهذه الأصول ولكنهم اختلفوا فى طريقة التحليل اللغوى النحوى إلى عدة اتجاهات، منها الاتجاه "السياقى" أو النسقى الذى ينظر إلى الجملة بوصفها سلسلة من المواقع النحوية ذات العلاقات المتبادلة على طريقة الإعراب فى النحو العربى. فتبدو الجملة بحسب هذا التحليل كالعقد وتبدو الأبواب كحبات هذا العقد التى يتنظمها خيط واحد، أو كأنها نسق من الفجوات يمتلئ بالفاعل أو نائبه مثلاً، وفى الجملة الاسمية تملأ الفجوة الأولى باسم ثم تتعدد احتمالات ما تملأ به الفجوة الثانية، وهلم جرا.

ومن هذه الاتجاهات الاتجاه "التوليدي" وهو بدوره يتفرع إلى فرعين: أولهما البنىوى الذى يقطع الجملة إلى ضائيم أكبر من الكلمات المفردة يسمونها phrases ويكون ذلك بحسب ما يلمح بين الكلمات من تضام ويطلقون على هذه الضائيم اسم (العناصر المباشرة للجملة)، ويسمون التحليل بحسبها (تحليل العناصر المباشرة) وبالإنجليزية تسمى: immediate constituent analysis وبحسب هذا التحليل نجد الموصول وصلته قطعة واحدة، وكذلك المضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع والفعل وما يكمله من المنصوبات أو يتعلق به من جار ومجرور وهكذا. فإذا أردنا أن نحلل جملة عربية بهذه الطريقة بدت على الصورة الآتية:



وكل مرحلة من هذه المراحل يمكن أن يعبر عنها بوصف محدد، فيمكن أن نصف هذه الجملة على النحو الآتي:

١- تتكون هذه الجملة من ضميمة اسمية أولى وضميمة فعلية.

٢- تتكون الضميمة الفعلية من فعل وضميمة اسمية ثانية.

٣- تتكون الضميمة الاسمية الأولى من اسم.

٤- تتكون الضميمة الاسمية الثانية من أداة واسم.

٥- مثال الأسماء: الله - الحق.

٦- مثال الفعل: يقضى.

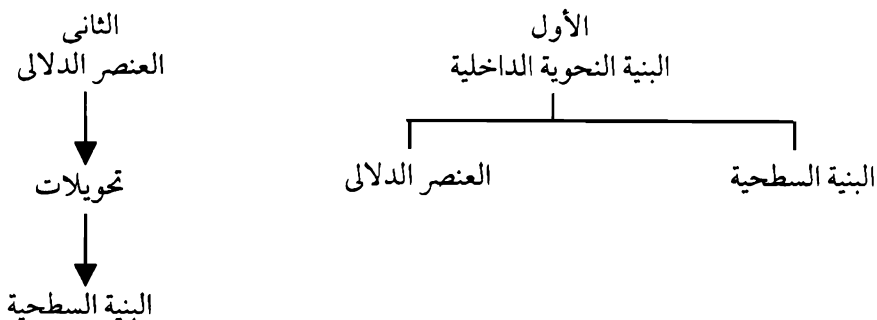
٧- الباء.

وقد عد النقاد هذا التحليل متفوقاً على سابقه لأنه يهيء الفرصة للوصول إلى درجة من التعميم أعلى مما سبق، إذ يوحد النظرة إلى الضمائم المتشابهة الوظيفية في الجملة حتى لو اختلفت في بنيتها الداخلية من حيث الكلمات ونحوها. فالاسم يبقى اسماً سواء أكان مفرداً أو مثني أو مجموعاً، والفعل يظل فعلاً وإن كان ماضياً أو مضارعاً أو أمراً، وهلم جرا. وبهذا نرى أن هذا النوع من التحليل لا يهتم

بالتمييز بين المبنى والمعنى، ولا يهتم بالقرائن على مستوى الأبواب المفردة. فما دام المعنى واحدًا فكل مبنى صالح للتعبير عنه مهما اختلفت أشكال المباني. وينبنى هذا في رأيهم على أساس أن هناك عملية نفسية تختفى وراء تأويل الجمل لدى أصحاب السليقة في اللغة، أى أن الجمل المختلفة المؤدية إلى نفس المعنى مترابطة في نفس صاحب السليقة، وهذا هو أساس التوليد.

وأما الثانى من اتجاهى التوليد فهو الاتجاه التحويلي وهو يعتمد على إدعاء نوعين من أنواع البنية: أولهما البنية الداخلية العميقة (وهى تذكرنا بما زعمه البنيويون منذ قليل من وجود ترابط نفسى بين الجمل المؤدية إلى نفس المعنى فى نفس صاحب السليقة). والثانية البنية الخارجية السطحية، وهى صورة كل جملة من هذه الجمل على حدة. وهكذا تكون الأولى هى معنى الجملة (سواء كان نحويًا أم دلاليًا) والثانية هى النسق السياقى الذى يتعاقب فى الزمان قولاً وفى المكان كتابة، وبين البنيتين ترابط منظم ووظيفة التحليل النحوى أن يعبر عن كل منهما ويشرح ترابطهما بواسطة قواعد التحويل.

وهناك مدارس مختلفة فى هذا الاتجاه التحويلي فى يومنا هذا تتناول النقد فيما بينها، ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين: أصحاب المعنى النحوى وأصحاب المعنى الدلالى. فأما الأولون فيرون البنية العميقة بنية نحوية، ثم يرون لها وجهين أحدهما سطحي والثانى دلالى وهو الأهم منهما، ولكل من الوجهين قوانينه. وإذا كان علم اللغة المظهرى يجرى التحويل من البنية الداخلية العميقة إلى الخارجية السطحية فإن الذى يجرى عليه العمل فى التعليم الآن هو إجراء التحويل من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى تشترك معها فى بنيتها الداخلية، وأما الآخرون (أصحاب المعنى الدلالى) فيبدأون بالمعنى الدلالى ويصلون منه بالتحليل والتأويل إلى بنىات سطحية نحوية من الأبواب والعلاقات ولم يتقدم أحد حتى الآن بوصف مفصل من هذا النوع الأخير ويبدو الفرق بين الاتجاهين كما يلى:



فالتحليل عندهم فرع المعنى في الحالتين، ولكن المعنى في الأولى نحوى وفي الثانية دلالي. ويذكرنا هذا بقول النحاة العرب: "الإعراب فرع المعنى"، وقولهم: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب".

ويتكلم التحويليون في التصويب والتخطئة فينشئون للسليقة مقياسين أحدهما نحوى يسمى الصواب والثاني دلالي يسمى المناسبة، إذ قد يكون الكلام صواباً من الناحية النحوية غير مناسب من الناحية الدلالية، كما يبدو في قول المجنون بن جندب:

محكوكة العينين معطاء القفا كأنها قدت على متن الصفا
 ترنو إلى متن شراك أعجفا كأنها ينشر فيه مصحفاً

إذ نرى الكلام مستقيماً نحوياً ولكنه لا معنى له من الناحية الدلالية، أو كقول علي بن الجهم للخليفة:

أنت كالكلب في الحفاظ على الو ذكالتيس في قراع الخطوب

إذا أراد مدحه فشتمه بتشبيهه بالكلب وبالتيس فلم يراع مطالب المقام الاجتماعي. وهم يجعلون وظيفة تعليم اللغة أن يصل بالمتعلم إلى تحقيق الأمرين جميعاً ولعل من الواضح بعد كل هذا أن النحو العربي يحمل جرثومة من كل مذهب من هذه المذاهب. ففي الإعراب نظرة إلى الجملة كأنها مجرد كلمات متتابعة مترابطة، وفي اعتراف النحاة بالتلازم بين الكلمات في تحليل الجملة كما في اعترافهم

بالمطابقات موقف بنيوى لا نخطئه العين. وأخيرًا ترى القول بأن الجملة المنسوخة أصلها المبتدأ والخبر (سواء كان فى باب كان أو باب إن أو فى مفعولى ظن أو فى الثانى والثالث من مفاعيل أعلم وأرى) وفى القول بأن الإعراب فرع المعنى وأن بعض التمييز محول عن الفاعل أو عن المفعول فسوف نرى فى ذلك موقفًا تحويليًا واضحًا، إلا أن تحويل النحاة كان من قبيل الوسائل التعليمية فى الغالب لأنه يحول جملة سطحية عن جملة سطحية أخرى هى المبتدأ والخبر. ولكن نحاتنا بالطبع لم يعوا هذه الاتجاهات فلم تتوزعهم، فكان مذهبهم جامعًا لها جنبًا إلى جنب فى منهج تعليمى متجانس على الرغم من ذلك.

بعد أن فرقنا بين الجانب النظرى والجانب التطبيقى من "الجهد التعليمى" أود أن أتناول الخطوة الأولى من خطوات التطبيق وهى "إعداد البرنامج"، والبرامج (كطرق التحليل التى سبق ذكرها) قد تختار التابع التنسيق فتعطى التلميذ قسطًا من المادة فى الشهر الأول من العام وقسطًا آخر غيره فى الشهر الثانى ثم فى الثالث، وهكذا. وقد تختار خطوات دائرية حلزونية غير متتابعة على الطريقة السابقة، فتذكر التلميذ وهى فى مرحلة (ب) بما مر به فى مرحلة (أ)، وتبنى مرحلة (ج) على فاعلية استيعاب (أ، ب)، ومن الواضح أن النوع الثانى من البرامج أفضل، لأن الذكرى تنفع المؤمنين من جهة ولأن اللغة إذا كان تعليمها يتم من خلال استعمالها فإن نصوص اللغة إذ تقدم للتلاميذ لا تقتصر على موضوع الدرس فقط، وإنما تعرض من حقائق النحو ما ينبغى أن يعود بذاكرة التلميذ إلى ما سبق.

وينبغى لوضع البرنامج أن يكون فى سياقه الصحيح، فليس يكفى أن يجلس واضعوا البرنامج معًا ثم يقولوا فليأت كل واحد منا بما يعن له من أفكار واجتهادات، ثم يتضح فى النهاية أن هذه الأفكار لم تكن مبنية على منهج متفق عليه، ذلك بأن اختيار عناصر البرامج وترتيبها إنما يأتى نتيجة لمقدمات موضوعية وبناء على منهج موضوعى كذلك، وتبدو هذه المقدمات وهذا المنهج على النحو التالى:

١ - أولاً لقد سبق أنه لابد من نظرية لغوية يبدأ منها سياق الاختيار. وهذه النظرية بالنسبة للنحو العربى هى ما يعرف باسم: أصول النحو "كما يبدو عند ابن جنى وعند السيوطى مثلاً، وهذه النظرية العربية تصادف فى الفكر العربى المعاصر مناقشة من نظريات أخرى أنتجها الفكر الغربى المعاصر أيضاً وطبقها على اللغات الغربية، وسنلقى عليها نظرة بعد قليل لنرى مقدار صلاحها للتطبيق على اللغة العربية.

٢ - هذه النظرية توصل إليها منشئها باستعمال البيانات data المستخرجة من الاستعمال اللغوى ذاته ولقد كانت بيانات النحو العربى كما ذكرنا نتيجة الرحلة والوفادة، وفى كلتا الحالتين كان استخراجها يتم من كلام طائفة من القبائل يسمونها "قبائل وسط الجزيرة" (وهى قيس وتميم وأسد ثم هذئل وبعض كنانة وبعض الطائيين) وهذه القبائل اتفقت جميعاً فى مستوى الفصاحة واختلفت بينها اللهجات. وعلى هذا الوضع نقد كثير لمستوى النظرية لا داعى للخوض فيه الآن.

٣ - فإذا طبقت النظرية على البيانات المأخوذة من لغة بعينها نشأ عن ذلك وصف للسليقة competence التى يقوم استعمال اللغة على شروطها، ووصف هذه السليقة بالنسبة للغة العربية هو ما يعرف باسم النحو العربى.

٤ - وهناك منهج تطبيقي خاص لإنشاء البرامج يبنى على استعمال المقارنة والانتقاء لمعرفة أى الأبواب نختار وكيف يتم ترتيبها فى البرنامج، وما الذى يكون منها للسنة الأولى أو الثانية، وما الحقائق التى نعرضها على التلاميذ من باب بعينه وما الذى نؤخره لمستوى أعلى لأنه فوق قدرتهم على الاستيعاب، وهلم جرا. وهذا هو المقصود من عبارتى المقارنة والانتقاء. وهكذا نصل إلى العناصر المادية فى تكوين البرنامج.

٥ - فإذا وصلنا إلى هذه العناصر كان علينا، قبل أن نصوغها فى صورة برنامج، أن

نكون على وعى بأمرين: أولهما أسلوب تركيب البرنامج، كأن يكون مفصلاً أو مجملاً بحيث يتيح الحرية في تكيف التفاصيل للمنفذين، والثاني طريقة العرض التي تتسم بها هذه العناصر؛ هل يكون عرض المحتويات تتابعياً أو حلزونياً دائرياً.

٦ - فإذا تم لنا ذلك وصلنا إلى تركيب برنامج ذي أسلوب محدد، وطريقة عرض معينة، ووصلنا من خلال كل ذلك إلى ما يعرف باسم "أبواب المقرر".

نصل من ذلك إلى طريقة عرض المادة على التلاميذ: أتكون قياسية أم تكون استقرائية، وهل تكون وصفية أو معيارية، وأول ما أحب أن أشير إليه هنا أن النحو ليس غاية في ذاته، وأن مما يثير الاشمئزاز والسخط أن ترى أحداً من الناس قديراً في التحليل والإعراب، فإذا قرأ أو كتب أو تكلم وجدنا كلامه مجافياً للصواب النحوي، أو منافياً للمناسبة الدلالية، وكثير ما هم في بلادنا العربية، ويذكر بعضهم في عداد السادة العلماء، فالنحو ليس غاية كما يراه هؤلاء وإنما هو وسيلة إلى "استثمار السليقة" بنوعها "الصواب والمناسبة". ولا ينبغي للمعلم أن يقف من الطريقة موقف الباحث من المنهج؛ فالباحث يلتزم بخطوات منهج البحث التي أشرنا إليها من قبل ويفرض عليه البحث دائماً أن ينتقل من الخاص إلى العام بواسطة الاستقراء الناقص، والفرض أو التجربة أو المقارنة حتى يصل إلى القاعدة، ويرى هذا الترتيب للخطوات عصمة لفكره أن يزيغ. والأمر مختلف بالنسبة للمعلم؛ إذ ليس من همه أن يصحح النتائج العلمية؛ فالنتائج حاضرة في يده وقد كفاه الباحث جهد السعى إليها. ليس من هم المعلم أن يصحح النتائج وإنما همه أن ينقل النتائج التي صححها غيره.

ولقد ثار نقاش بين أنصار الطريقة القياسية في التعليم وأنصار الطريقة الاستقرائية، قال أصحاب الاستقراء إن عملية التعلم (في كل صورها سواء داخل المدرسة وخارجها) لا تتم في الحقيقة إلا بواسطة الاستقراء، وإن الذهن الإنساني

بحكم طبعه مهياً للاتجاه من الخاص إلى العام وليس العكس. ويحاول المرء منذ طفولته المبكرة أن يصنف مدركاته أصنافاً لكل منها عنوان عام، فيجرد من أفراد الرجال الذين رأهم فكرة "رجل" ومن النساء فكرة "امرأة" ومن الأشجار فكرة "شجرة". وهكذا تصبح حياته العقلية نسقاً من الملاحظة والتصنيف، ومما ينبغى لطريقة التعلم ألا تخالف طبائع الأشياء وأن تعتمد أساساً على الاستقراء.

وقال أصحاب القياس إننا لو فرضنا على الطفل أن يحصل على حقائق المادة التي يتعلمها (والمواد المقررة متعددة بنفس الطريقة التي يصل بها الباحث إلى هذه الحقائق لكلناه شططاً من أمره، وحملنا عليه من مشقة التعليم عبثاً لا قبل له به، فإذا كان الطفل يعتمد في كسب مدركاته الأولى على الاستقراء (وهذا حقيقى) فإن الأمر يختلف بين الدراسة والتعلم، فمدركاته الأولى ضيقة المجال وهى من قبيل التعرف على البيئة الطبيعية والاجتماعية الضيقة أما في التعلم فالمجال غير المجال، والبيئة الضيقة تصبح من الاتساع بحيث تشمل كل ما يمكن تعليمه، سواء في حقل المحسوسات أم في حقل المجردات ولو وضعنا الطفل حيال مواد الدراسة في ظروف الاستقراء العادية ما وصل إلى نتيجة ما حتى لو أعانه المعلم، لأن الأمر هنا أشبه بطبيعة عمل الباحث منه بعمل المعلم. ومن هنا يرى هؤلاء أن الطريقة المناسبة للتعليم هى الطريقة القياسية التى تشرح القاعدة أولاً ثم تأتى لها بالأمثلة لتوضحها، ثم تدرب التلاميذ على مطابقتها في الاستعمال، وتطالبهم بالمطابقة.

ويرد أنصار الاستقراء على ذلك بقولهم: إن هناك فارقاً بين استقراء الباحث واستقراء المعلم، لأن استقراء الباحث استقراء "ناقص" في خضم "الحياة الطبيعية" ينتهى إلى وصف علمى، لكن استقراء المعلم "تام" في مجال نص محدود ينتهى إلى "فرض معيار" على الاستعمال. فلا ينبغى أن نخلط بين استقراء واستقراء ولا بين ظروف وظروف فأفضل الطرق فيما يرى هؤلاء أن يقدم المعلم النحو واللغة من

خلال النص يعرضه على التلاميذ ويشرحه ويضع أيديهم على البيانات التي تعين على استخراج القاعدة، ثم يصل بهم في النهاية إلى القاعدة ذاتها.

وعلى الرغم من أن عمل المعلم ليس مصارعة حرة مع عقل التلميذ لا تخضع للقواعد والطرق المنهجية ينبغي أن نشير إلى أن علماء اللغة التطبيقيين يمنحون المعلم قسطاً ملحوظاً من الحرية في مجال المزج بين الطريقتين بحسب ظروفه وتقديره، بل يرون مزج إحدى الطريقتين بالأخرى في التعليم أمراً لا مفر منه، فلو فرضنا أننا استخدمنا النص وجعلناه وسيلة إلى استنباط القاعدة فوصلنا إلى هذه القاعدة بعد استقراء النص فلن يتوقف بنا الأمر عند هذا الحد، لأن التدريب وهو أهم وسيلة من وسائل استظهار السليقة لا يتم إلا بواسطة القياس على القاعدة، سواء في الأمثلة التي يقدمها المعلم للتحليل أو في الجمل التي يكونها التلاميذ أثناء التدريب.

وللطريقة وجه آخر لا بد من مناقشته، وهو إلى أي حد يستطيع معلم اللغة العربية أن يفيد من معطيات علم اللغة الحديث، وبخاصة في مجال علم اللغة التطبيقى؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نوضح الفارق التركيبى بين اللغات التى نشأت هذه الفلسفات فى أحضانها وبين لغتنا العربية. فلقد جعل علم اللغة المقارن لغات الإنسان أسراً؛ فقسمها بحسب القرابة، ثم قسمها تقسيماً آخر من حيث البنية وهذا التقسيم من حيث البنية هو الذى يتصل بموضوعنا الحاضر. لقد جعل طوائفها ثلاثاً هى: عازلة، ولاصقة، ومتصرفة فاللغات العازلة كالصينية مثلاً تعد كلماتها وحدات غير قابلة للتحليل، وإنما هى عناصر أولية يوضع أحدها إلى جانب الآخر دون وصل أو إدغام، واللغات اللاصقة كلغات الهنود الحمر مثلاً تختلف تراكيبها بحسب التصاق عناصرها الصرفية بعضها ببعض كالذى يحدث فى اللغة العربية فى مجال الضمائر المتصلة ونون التوكيد وياء النسب. واللغات المتصرفة تختلف تراكيبها من حيث الاشتقاق والتصنيف؛ فنجعل الصيغ المختلفة فروعاً من

أصل اشتقاقى واحد، ويسرى على تغير الصيغ قانون صرفى معين، وأوضح الأمثلة على ذلك لغتنا العربية الفصحى، ولقد مثلنا لكل قسم بأوضح الأمثلة عليه ولكن أية لغة مهما كانت لا يمكن أن توصف بأنها عازلة فقط، أو لاصقة فحسب، أو متصرفة لا غير، وإنما تختلف درجات اللغات بأخذ نصيب من هذا الطابع أو ذاك.

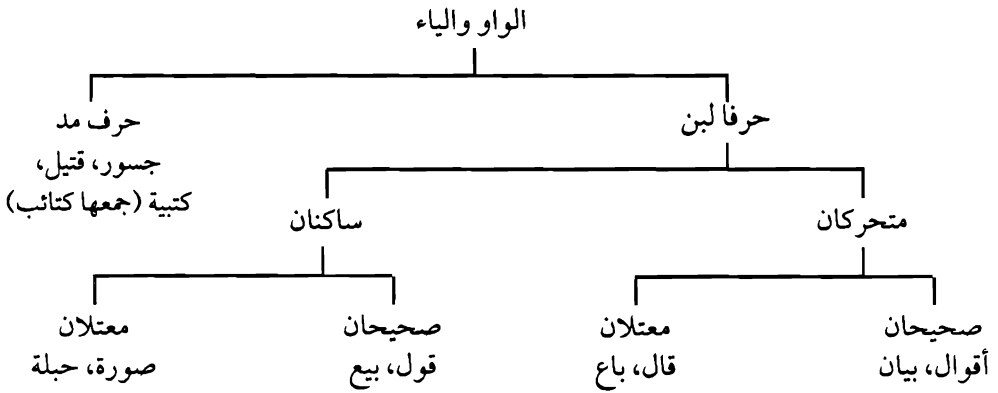
ولقد نشأت الدراسات التطبيقية الحديثة باللغة الإنجليزية، وفي ضوءها، ومع التطبيق عليها. ومع أن اللغة الإنجليزية تعتبر من اللغات التصريفية على وجه العموم، لا بد من أن نشير إلى أن هذه اللغة المذكورة قد مرت بمراحل تطور في طرق تركيبها حتى صارت أقرب اللغات المتصرفة إلى طبيعة العزل واللتصق؛ ويتضح ذلك من عدة أمور منها: اتحاد صيغة الاسم والفعل في جمهور عظيم من كلماتها، واتحاد صيغة الماضى واسم المفعول باطراد، واتحاد صيغة المصدر واسم الفاعل في كثير من الحالات، واطراد إلصاق العناصر الصرفية في أول الكلمة وآخرها أو إقحامها على وسط الكلمة، وهلم جرا. ولقد ساعد على اتسامها بسمة اللصق خلوها من الإعراب خلوا تاما واختصار الفروق في الصور الإسنادية للفعل إلى صورتين إحدهما للمفرد والثانية لما عداه مع خلو كل الإسنادات من علامة تميز الفعل غير الضمير الذى يصاحبه.

أما اللغة العربية فإنها غنية بالمعانى التصريفية المعبر عنها باختلاف الصيغ، وليس من خلال اللصق. وذلك كاختلاف صيغ الماضى والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة والتفضيل والمرة والهيئة والزمان والمكان والآلة والتعجب مع تعدد الصيغ من أصل اشتقاقى واحد يجمع مفردات كل معنى من هذه المعانى. إذ إن المادة الاشتقاقية الواحدة تحتل إمكان التعبير عن معان تشترك فيها صيغ الأفعال والفاعلين والمفعولين كالتعددية والمطاوعة والصيرورة والتكلف والاتخاذ، وهلم جرا، مما لا يتحقق مثله في اللغة الإنجليزية التى أنتجت هذه الدراسات، أضف إلى ذلك أن اللغة العربية نظاما غنيا من المطابقات في التكلم والخطاب والغيبة، أو في الإفراد والثنية والجمع، أو في

التعريف والتنكير، أو فى التذكير والتأنيث، أو فى العلامات الإعرابية. ولها فوق كل أولئك نظام إعراب يحتمل العلامة الإعرابية نصيبها من الدلالة على المعنى، مع العلم أنها عنصر لا يمكن عزله من الكلمة عند محاولة التحليل على الطريقة التحويلية، وهى لا تستقل بالمعنى حتى لو صح عزلها وإنما تتصافر مع غيرها فى سبيل أدائه، وفوق ذلك كله نجد فى العربية حرية للرتبة لا نظير لها فى الإنجليزية، وهذا فى رأى يمثل صعوبة كبرى فى سبيل التحليل على الطريقة الحديثة، وباختصار نجد اللغة العربية مثلاً أعلى فى المرونة والغنى بوسائل التعبير الصرفى عن أدق الخلجات والمعانى.

ولقد ذكرت من قبل أن التحويل الذى يجريه المعلمون إنما هو تحويل من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى تاركين التحويل من المعنى النحوى أو الدلالى إلى البنيات السطحية ليكون من عمل أصحاب البحث النظرى. وهذا التحويل من المعنى إلى المبانى الممكنة هو ألصق بدراسة الأساليب منه بدراسة النحو على أى حال. ومعنى هذا أن تحويلات المعلمين تتناول المبنى دون المعنى. فإذا علمنا أن تحليل اللغة العربية لا يتم بمعزل عن اعتبار المعنى حتى لدى أدنى درجات التحليل، أدركنا الصعوبة التى يصادفها تعميم هذا النوع من التحليل الحديث فى اللغة العربية. ففى جملة "الله يقضى بالحق" التى جرى تحليلها فيما سبق نجد أن المفعول فى التحليل قد اعتبر من متمات الفعل إلى الدرجة التى ساغ بها أن نطلق عليهما معاً اسم "ضميمة فعلية"، ولا بد أن يرتبك هذا التحليل حين تمارس اللغة العربية حقها فى حرية الرتبة، فتصبح الجملة "يقضى الله بالحق" أو "بالحق يقضى الله" يفصل بين الفعل ومكملاته (وهو أمر لا يحدث فى الإنجليزية إذ تبدأ الجملة دائماً بالاسم ويتقدم الفعل فيها دائماً على المفعول أى أن بنية الجملة الإنجليزية ذات رتبة ثابتة ولكن الجملة العربية تتسم بحرية الرتبة. وحتى لو تغلبنا على مشكلة الرتبة باختراع تفريع يناسب اللغة العربية فى حدود هذه الطريقة فلن نستطيع أن نستغنى عن المعنى والإعراب فى التحليل العربى كما يفعلون بلغتهم، ولقد ناقشنا

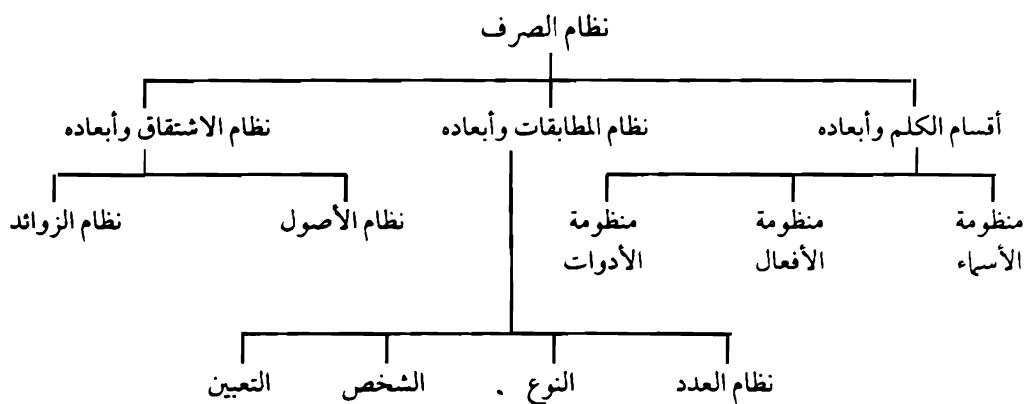
أحد المصريين الذين يعملون في إحدى الجامعات الأمريكية ويباهون بتطبيق هذه الطريقة على اللغة العربية، وكان نقاشنا حول ضرورة الاعتماد على المعنى في تحليل اللغة العربية فحين أصر على عدم اعتبار المعنى طلبت إليه أن يحلل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ على طريقة التحويل ولكن تحليله في النهاية عجز عن بيان الفرق بين ثلاثة احتمالات في معنى الآية: أحدها "قالوا: تقاسموا بالله"، والثاني: "قالوا، تقاسموا: بالله، قالوا، تقاسموا: بالله لنبيته وأهله". إذ يكون "تقاسموا" فعل أمر في الأول، وفعلًا ماضيًا بدلاً من "قالوا" في الثاني والثالث. ولكن بعض أبواب النحو العربى كما ذكرنا من قبل لا تأبى هذه الطريقة كما في النواسخ والتمييز فلا بأس عند تدريسها أن يشار إلى هذه الطريقة دون إقحامها على الموقف، وذلك كما يلي:



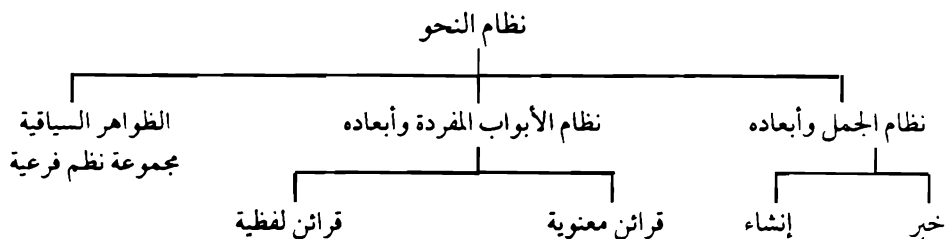
وفي داخل نظام الصحاح يقوم النظام على المخارج العشرة من حيث مكان النطق، وعلى الصفات الأربع من حيث طريقة النطق، وعلى الجهر والهمس من حيث حركة الأوتار الصوتية، وعلى التفخيم والترقيق من حيث شكل الرنين، فكل من هذه نظام داخل نظام داخل نظام داخل نظام اللغة العام. وكذلك يقوم نظام العلل على التفريق الكمي بين الحركات والمدود، وعلى التفريق الكيفي بين قيم ثلاث: إحداها تشمل الياء والكسرة، والثانية تشمل الألف والفتحة، والثالثة تشمل الواو والضمة.

والنظام المقطعى ينبنى على ستة مقاطع يحكمها توزيع نمطى، فيرتبط بعضها ببداية الكلمة، وبعضها بالوقف، ويظل بعضها الآخر حرًا من الناحية المكانية ولكنه مشروط من الناحية التركيبية الصرفية والسياقية، ونظام النبر يقوم على بعدين، أحدهما المنبور والثانى غير المنبور، ويمكن أن يعبر عنه ببضع قواعد قصيرة؛ وهو مرتبط ارتباطًا عضويًا بانتظام التنغيم فى اللغة المنطوقة، فلا يدرك المعنى النحوى للجملة المنطوقة إلا بالتنغيم. كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ﴾ بتشديد لام "إلا" والمعنى للتوبيخ بمعنى "ألا" بدليل ما بعده من قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

وأما النظام الصرفى فيضم أيضًا درجىة من الأنظمة تتمثل فى الشكل الآتى:



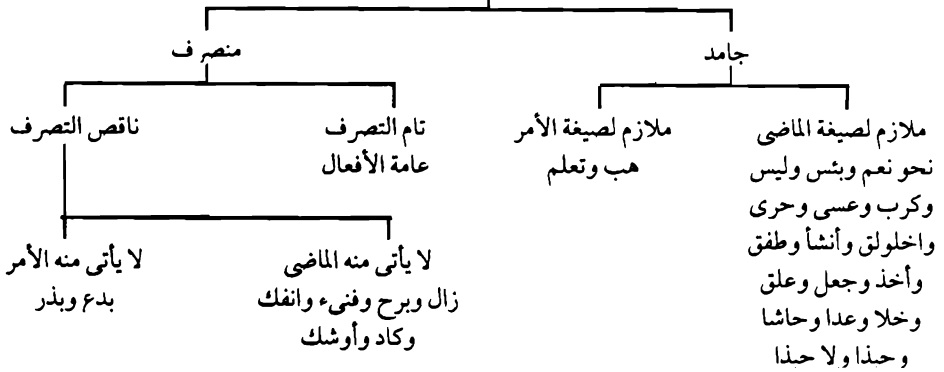
ويبدو نظام النحو على الصورة التالية



تلك صورة شديدة التركيز والاختصار لتفرع الأنظمة بعضها من بعض، حتى إن المسألة المفردة من مسائل النحو قد تشتمل على توزيع نمطى تصير به نظامًا فرعيًا فى داخل بابها النحوى المعين، كما يبدو الأمر فى الأمثلة التالية:

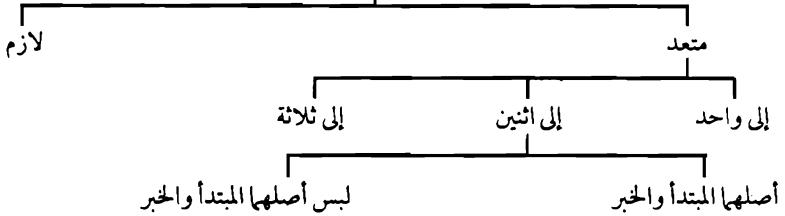
المثال الأول:

نظام الفعل من حيث الجمود والتصرف



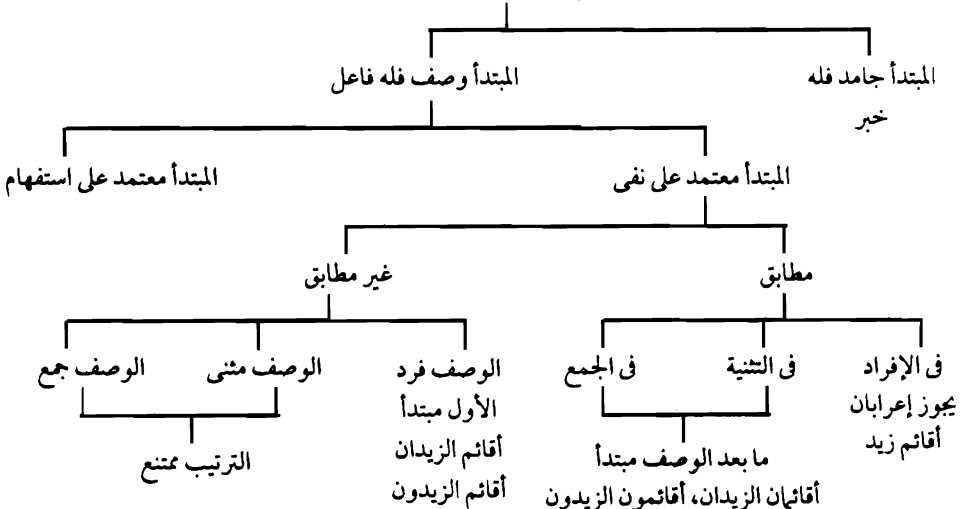
المثال الثاني:

نظام الفعل من حيث التعدى واللزوم

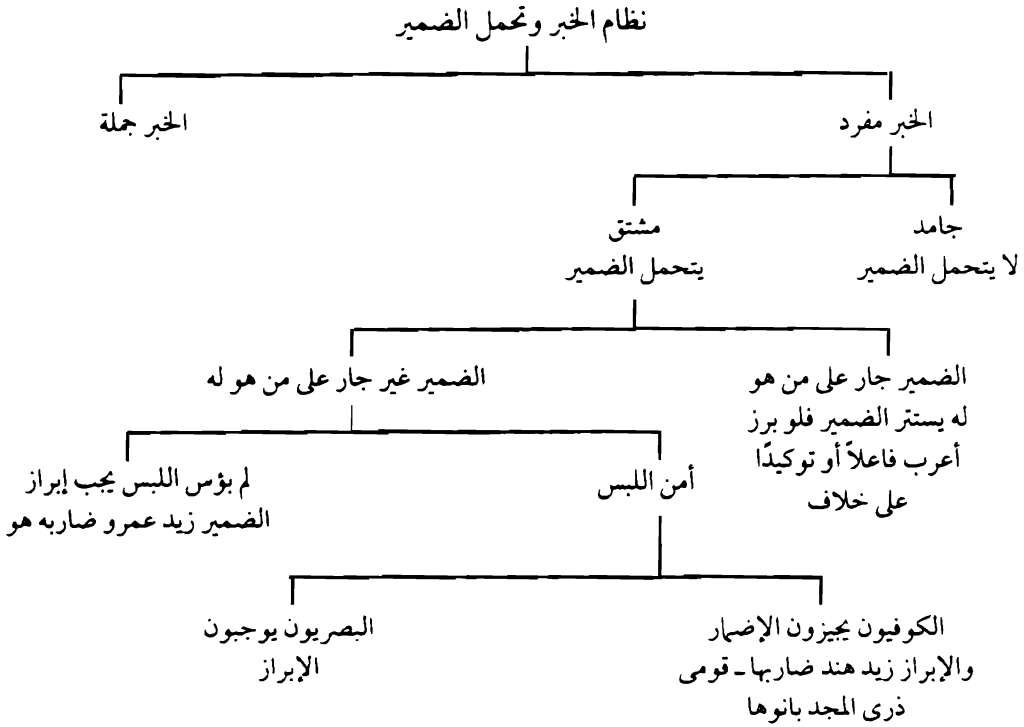


المثال الثالث:

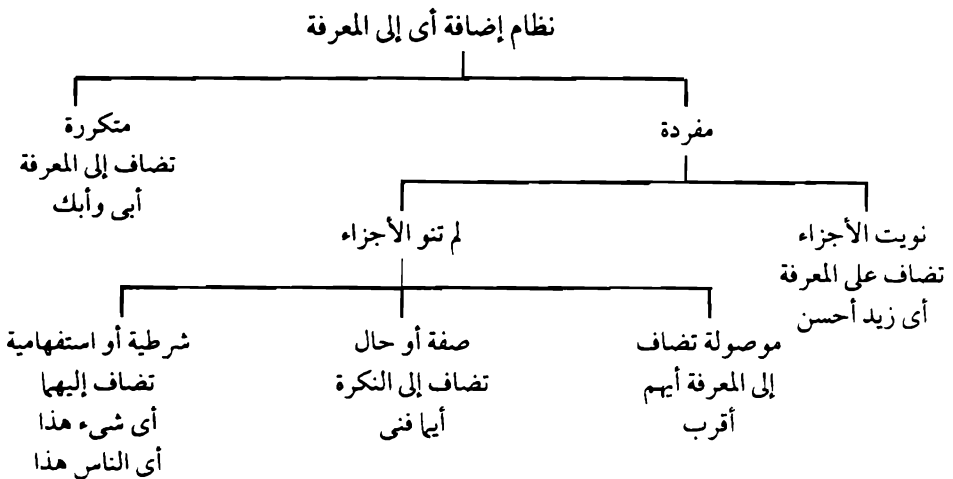
نظام الإخبار عن المبتدأ



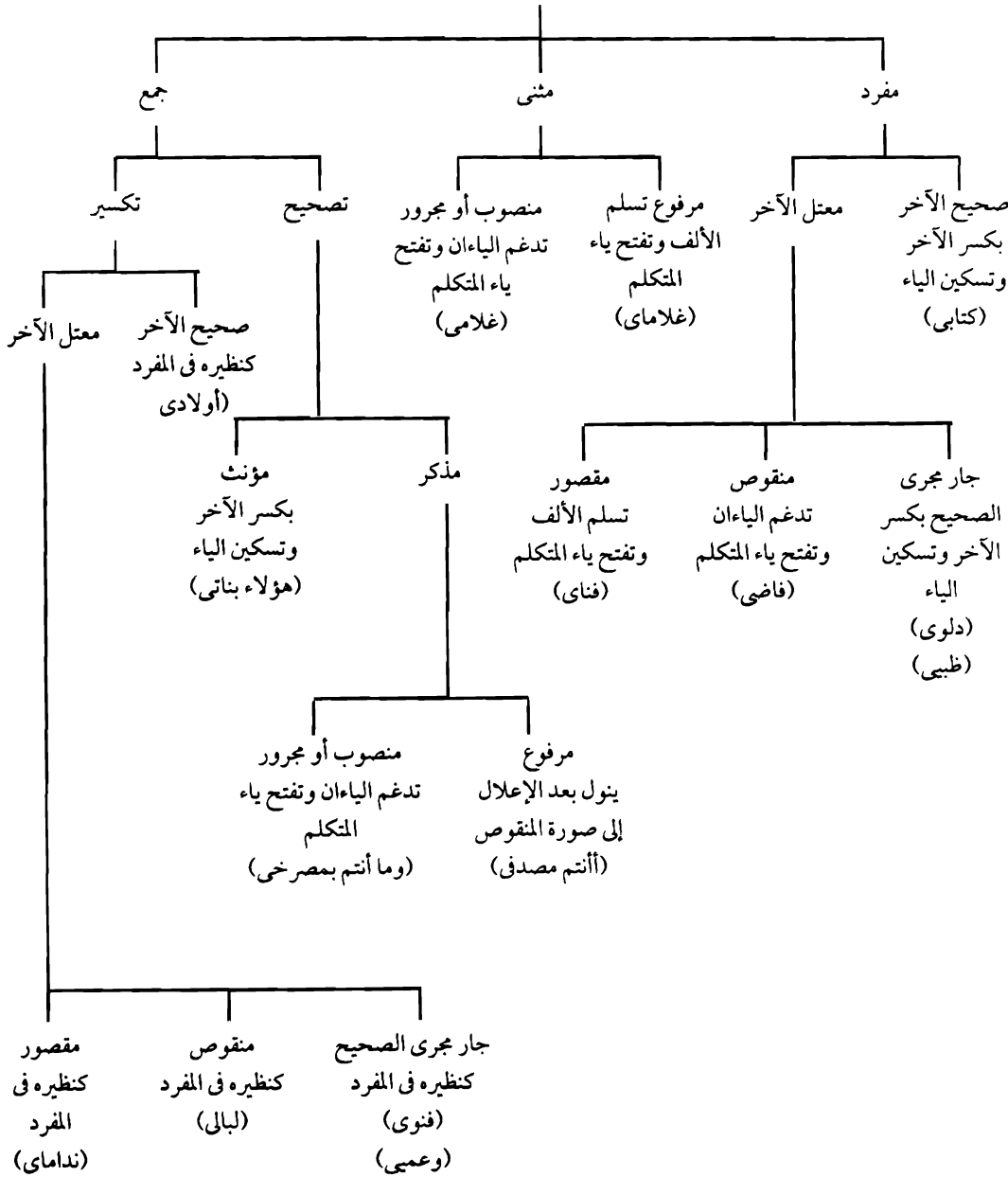
المثال الرابع:



المثال الخامس:



نظام المضاف إلى ياء المتكلم



هذا ما قصدت إليه بدعوى درجة التنظيم اللغوى، والذي يخلق النظام إنما هو التوزيع النمطى للاستعمال، والسليقة هى آلية المطابقة للنظام فى الاستعمال. وكلما كان المعلم على ذكر من هذه الطبيعة من طبائع اللغة كان أقدر على الشرح. ويحسن دائماً أن يكون الشرح بعبارات بسيطة غير فلسفية، فلا يلجأ المعلم إلى الأفكار المجردة إلا أن يضطر إليها؛ كحين يسأل عن علة، فإن ذكر العلة فلتكن علة تعليمية لا جدلية كما قال ابن مضاء.

قلت فيما سبق إن الضبط والتوجيه من مطالب التعليم، وقد يكون الضبط والتوجيه فى صورة العبارة المعيارية أو القاعدة القياسية، كما يكونان فى صورة استعمال الوسائل الإيضاحية السمعية والبصرية. ولعل أقل الوسائل نفقة وأكثرها نفعاً ضبط الموضوع وإحكام التوجيه إلى السليقة هو التعبير عن الأنظمة الفرعية الصغرى للغة (اقصد تفريع المسائل فى داخل الأبواب) مثل ما تقدم من عرض الجداول. فليس ادعى للإحاطة بالقاعدة من أن تراها ماثلة أمامك فى صورة جدول تتضح به العلاقات بين الأنماط، فلا يثبت من المعلومات إلا ما كان منظوماً فى علاقات. أما وسائل الإيضاح الأخرى فلعل أحقها بالعناية الأشرطة السينمائية التى تشتمل على حوار باللغة الفصحى فتقدم للتلميذ الصواب والمناسبة فى وقت معاً، وتخرج اللغة الفصحى من محبسها فى المكتبات وفصول الدراسة إلى فسحة الحياة التابضة، فيقف التلميذ منها (ولو لفترة واحدة كل أسبوع) موقفه الذى تهيأ له فى طفولته الأولى بالنسبة للغة المنشأ؛ ومن ثم يكون وصوله إلى استضمار السليقة أسرع وأكفاً، غير أن هذه الوسيلة باهظة التكاليف حين يكون لكل فرقة فى كل مدرسة نسختها منها. أما معامل اللغات فهى دون ذلك فى النفع؛ لأن مجرد الاستماع بغير الرؤية إن أدى إلى الصواب فلن يعين على الوصول إلى المناسبة. أضف إلى ذلك أن العين أبلغ فى التعليم من الأذن.

وينبغى أن تكون للمعلم عناية كبرى بالتدريب والتمرين؛ لأن عرض القواعد

بمفرده لا يؤدي إلى نتيجة إلا إجادة التحليل مع العجز عن صحة الأداء فلا يتأتى كسب المهارة في الاستعمال إلا من خلال الممارسة. وما دامت اللغة الفصحى ليست لغة البيت ولا لغة السوق فإن الطريق الوحيد إلى الممارسة هو ما يشتمل عليه برنامج الدراسة من ساعات التدريب، فهناك دروس المحادثة، والإنشاء الكتابي، والمطالعة الجهرية أمام التلاميذ، ثم النشاط المدرسي في صورة التمرين على المناظرة، والخطابة، والمحاضرة. كل ذلك من شأنه أن يعين على استظهار السليقة، وأن يكسر حاجز الخوف من صعوبة العربية التي اهتمت بها ظلماً وعدواناً. كل ما هنالك أننا بحاجة إلى المعلم الواعي بدوره والفخور بمهنته والمتحمس لعمله بغية الوصول إلى هذه الغاية. أما الاختبار والامتحان فينبغي أن نبتعد بهما عن طابع الحفظ والاستظهار إلى طابع شحذ فاعلية التلميذ والكشف عن مدى استظهاره للسليقة ولا ينبغي للامتحان أن ينصب على القواعد والأحكام، كما لا ينبغي أن تكون الأسئلة لطلب الإجابة بنعم أو بلا؛ توقيا لحكم الصدفة في التقييم، وإنما ينبغي أن يطالب التلميذ بتعيين التركيب الصحيح وغير الصحيح، وأن يضبط بالشكل، وأن يكون العبارة من كلمات مبثورة، وأن يملأ المسافات البيضاء في السياق بكلمات مناسبة، وأن يحوّل العبارة من المفرد المذكر إلى غيره ويصف التعبير الذي تم، وغير ذلك من اختبارات السليقة لا الذاكرة.

وقد يسأل البعض عند تكوين البرنامج؛ بأى الأبواب نبدأ؟ وكل إجابة على هذا السؤال مهما كانت لا بد من أن تحمل عنصراً من الصدق والصلاحية، ذلك بأن النحو نظام كما سبق أن ذكرنا، وكل نظام يصدق عليه أنه لا يعرف جزؤه إلا إذا عرف كله. ولذا فمهما بدأت بالجزء الذى تظنه أولى بأن تبدأ به فإن النتيجة ستكون هى هى. فلن يكون تعلم النحو إلا من خلال تناول النحو كله. ومع ذلك نجد الناس مغرمين بالمفاضلة بين الاختيارات المختلفة، ولا شك أننى أفاضل أيضاً بين الاختيارات ولا سيما فى هذا المجال المهم. وإذا كان لى أن أقترح ترتيباً لحقائق النحو فإن أفضل ما أفكر فيه أن أبدأ أولاً بالتفريق بين أنواع الجمل؛ فأقسم الكلام

إلى خبر وإنشاء، ثم أقسم الخبر إلى إثبات ونفى وتوكيد، ثم أقسم الإنشاء إلى طلب وغير طلب، ولكننى لا أدعو إلى مواجهة التلميذ بهذا التقسيم المضبوط من البداية، وإنما أدعه أولاً يتعرف من النصوص على أنواع الجمل تحت العنوان الجذاب (أى بلفظ "الأساليب"). ثم أدخل بعد ذلك فى تقسيم الكلم والتعرف على الأقسام ووظائفها من خلال الأمثلة والنصوص المختارة، فإذا فرغ التلميذ من معرفتها تقدمنا إليه بمفهوم الجملتين: الاسمية والفعلية ثم الجملة الأصلية والجملة الفرعية، ثم اختار من أبواب النحو تلك الأبواب التى تشتمل على إسناد كالمبتدأ والخبر وكالفعل والفاعل ونائب الفاعل، ثم أختتم البرنامج بالمنصوبات والمجرورات والتوابع، ثم انتهى أخيراً بالعبارات ذات الحذف الواجب كالاختصاص والمصدر النائب عن فعله والتحذير والإغراء، أما الزمن فيدرس من خلال الأفعال، وأما الظواهر السياقية كالتوصل للنطق بالسكان وكسرة التخلص من التقاء الساكنين والوقف والإعلال والإبدال، وهلم جرا فكل ذلك يستنبط من سياق النص؛ لأنه لا يكون إلا فى السياق، وفلسفة هذا الاختيار كما تبدو واضحة هى الاتجاه من التركيب إلى التحليل، على عكس اتجاه عمل الباحث تماماً.

بهذا كله يمكن فى رأى أن نصل بالتلميذ إلى استضمار السليقة، ولكن هذه السليقة نفسها تختلف من فرد إلى فرد؛ فليس لها مقياس كمى ثابت، وحين نشير إليها بالنسبة إلى اللغة فى عمومها لا نستطيع أن ننسبها إلا إلى شخص مثالى فى مجتمع متجانس، والشرطان كما نرى من الأمور المجردة، وهذه السليقة تمنح صاحبها قدرات خاصة على التعرف على الصواب والخطأ بمجرد سماعه، وتعطيه نظرة نافذة إلى تمييز اللبس والوضوح، وإلى إدراك العلاقات بين الجمل فى السياق بحيث يدرك الأصل منها والفرعى، وأخيراً تجعل استطاعة صاحبها أن يدرك وحدة المعنى مع تعدد الأساليب الموصلة إليه. وهذه القدرة الأخيرة هى التى بنى عليها النحو التوليدى بنوعيه، وحدها كما سبق أن أشرت أنها استضمار للأصول التى يتم

بحسبها الاستعمال، والتي يعبر عنها النحاة بقواعدهم، وذلك للوصول إلى آلية الأداء وتلقائية الصواب والمناسبة، فالسليقة ليست هي القواعد وإنما القواعد هي التي تعبر عنها، والأداء الذي ينتفع بالسليقة ويعين أيضًا على استضمارها يتحقق في صورة الكلام كما يتحقق في صورة الاستماع المصحوب بالتعرف. فأما الكلام فالذي ينسبه المحدثون إلى أدائه كبير الشبه بكلام عبد القاهر في دلائل الإعجاز إذ يتكلمون عن عوامل يرتبونها كما يلي:

١ - Ideation والمقصود به مفهوم البنية العميقة قبل الأداء.

٢ - Storage والمقصود به اختزان العناصر التي يمكن أن تبنى عليها الجملة.

٣ - Planning والمقصود به تخطيط أبواب الجملة قبل النطق بها.

٤ - Execution والمقصود به تنفيذ الأداء بحسب التخطيط السابق.

٥ - Monitoring والمقصود به مراقبة النفس أثناء الكلام حتى لا يخطئ المتكلم.

والأول شبيه بما يسميه عبد القاهر "النظم"، والثالث شبيه بالترتيب، والرابع شبيه بالبناء، والمعروف عندهم أن المهارة في الاستماع والتعرف تؤدي بدورها إلى المهارة في الكلام؛ يشهد لذلك اكتساب الطفل للغة. كما أن المعروف أن المدد البصرى للكلام أكثر من السمعى وهذا هو السبب في تفضيل الأشرطة السينمائية على معامل الاستماع اللغوى،

هذا، ويقوم تحليل الأغلاط بدور مهم في تعليم اللغة. ولقد ذكرنا من قبل أن السليقة تنسب إلى متكلم مثالى في مجتمع متجانس، أما على مستوى الأفراد العاديين المثاليين فلكل واحد منهم لهجة خاصة به (idiosyncratic dialect) تبنى على سليقة تختلف قريبًا وبعدًا عن سليقة المتكلم المثالى بحسب الوضع الذى يحيط بالفرد. فإذا كان الفرد تلميذًا في مرحلة التعلم كانت سليقته الفردية أكثر بعدًا من السليقة الفصحى المثالية. فكل منهما نظام متكامل، ولكنهما يتطابقان في بعض النواحي (ويسمى مجال المطابقة common core ويختلف كل منهما عن الآخر في نواح أخرى.

وهذه النواحي التي تختلف فيها اللهجة الفردية للتلميذ عن السليقة المثالية يجب اكتشافها وجعلها مناط الجهد التعليمي كله.

فالجهد التعليمي أولاً وآخرًا هو رأب هذا الصدع بين السليقة الفردية والسليقة المثالية. ومن هنا يتحتم على المعلم أن يتعرف على طرفي المعادلة، وأكبر وسيلة من وسائل هذا التعرف مراقبة أخطاء التلميذ؛ لأن هذه الأخطاء هي الأعراض الظاهرة لجهات الاختلاف غير الظاهرة، هذه الأخطاء على أنواع: فمنها الهفوات التي يقع فيها الإنسان بسبب التعب أو القلق أو التردد، والوقوع تحت ضغط ما، وتمثل هذه الأمور في الإبدال والنقل والحذف للعناصر اللغوية في الجملة. وهذه يمكن أن تحدث حتى للمعلمين أنفسهم فقد يجوز على أحدهما أن يقول: "معون التعاهد" وهو يريد أن يقول: "معهد التعاون" أو يقول: "رسالة القراءة" وهو يريد "قراءة الرسالة". ومن ثم لا تفيد في خطة التعليم؛ لأن صاحبها يعرف أنه أخطأ، ويستطيع أن يشير إلى العبارة الصحيحة. ومنها الأغلاط التي يسببها الجهل بنظام اللغة، كالحذف والإضافة وسوء التضام وتشويش الرتبة، وهذه تصدق على المتكلم وعلى السامع كليهما. فكما يغلط المتكلم في كلامه يغلط السامع في سماعه والقارئ فيما يقرأ؛ ومن هنا يصعب عليه الفهم، ومن هذا القبيل تعذر فهم التركيب مع وضوح معاني المفردات، كما أن الأخطاء قد تتعلق بالمفردات كما تتعلق بالنظام؛ فمن ذلك إطلاق اللفظ على غير من هو له دون قصد المجاز كأن تسمى القارب الصغير سفينة أو تسمى البغل فرسًا أو تسمى الحقل بستانًا، ومنه أيضًا استعمال اللفظ استعمالاً أسلوبياً خاصاً، وقد يكون الخطأ مقصوداً في هذا النوع فيكون مداراً للفكاهات اللفظية، كأن يقال مثلاً "من يضبط متلبساً بالتبول في الطريق يعاقب بغرامة مائة جنيه مع مصادرة الجهاز". فالفكاهة هنا في كلمة الجهاز، وفي نسبة المصادرة إلى مفهوم اللفظ لا إلى اللفظ نفسه، لأن كلمتي المصادرة والجهاز كثيرًا ما تاتيان في تركيب إضافي.

ويستطيع المعلم أن ينتفع بهذه الأخطاء في توجيه التلميذ وتدريبه على الصواب فيما يتصل بنقط الخلاف بين لهجته الفردية والسليقة المثالية، كما يستطيع واضع البرنامج أن ينص على التدريب في هذا المجال، والله ولى التوفيق.

١ - مواقع أساسها التضام والترتبة :

قد تحذف كان بعد إن ويبقى خبرها.
يندر الإخبار بغير المضارع عن كاد
وعسى.

اقتران الخبر بأن غالب بعد عسى
وأوشك ونادر بعد كاد وكرب وواجب
بعد حرى واخلولق ممتنع مع أفعال
الشروع.

إذا سبقت عسى باسم تجردت من
الضمير استفتاء عنه بأن وما بعدها أو
قدر فيها ضمير.

يتقدم اسم إن وأخواتها وجوباً إلا
أن يكون الخبر ظرف أو جاراً ومجروراً.
يكسر همز إن في مواضع معينة.

إذا كسرت همزة إن جاز اقتران
خبرها باللام.

لا تدخل اللام بعد إن إلا على
الموجب.

المضاف والمضاف إليه.

نون الوقاية.

تقديم الاسم على اللقب.

ذا بعدما = ماذا.

الموصول وصلته.

امتناع تقديم الخبر الجملة الفعلية.

وجوب تقديم الخبر في حالات

خاصة.

حذف الخبر بعد لولا وواو المعية

وقبل الحال التى تسد مسده.

تقدم النفى أو شبهه على فتىء

وأنفك.

تقدم "ما" على دام.

لا يتقدم الخبر على ما دام وليس.

يمتنع إبلاء الخبر لكان أو إحدى

أخواتها.

وتدخل على معمول الخبر المتوسطين
لاسم والخبر كما تدخل على ضمير
الفصل.

قد يعطف بالرفع على محل اسم إنَّ
وما اشتمل على النون من أخواتها.

يبطل عمل إنَّ إذا لحقتها ما
إذا أهملت إنَّ المحققة وجبت اللام
الفارقة.

وإذا خففت أنْ اضمير اسمها
وجوباً وجاء خبرها جملة.

إذا كان الخبر فعلاً متصرفاً لغير دعاء
حسن الفصل بقدر أو بالنفى أو
بالتنفيص.

تعمل "لا" النافية للجنس في الاسم
النكرة ويبنى اسمها المفرد على الفتح في
"لا حول ولا قوة" يجوز في الثانى البناء
الرفع والنصب أيضاً إلا عند رفع الأول
فعندئذ يمتنع النصب.

يعطف على اسم "لا" غير المكررة
بالنصب والرفع دون البناء والنعت
كالمعطوف في هذا الحكم.

ينصب المبتدأ والخبر على المفعولية
بعد ظن وأخواتها.

قد يعلق الفعل عن نصب المفعول

عن نصب المفعولين لمانع كاللام في نحو
ظننت لا زيد قائم وما زيد قائم وكذلك
إنَّ والقسم والاستفهام.

لا يكون الإلغاء عند تقديم المفعول
لأن المفعول يصير حينئذ مبتدأ.

إذا جاء فعل القول بعد حرف
الاستفهام عومل معاملة ظن وأخواتها.
تلزم تاء التانيث الفعل الماضى المسند
إلى ضمير المؤنث المتصل أو المؤنث
الحقيقى.

يجوز حذف التاء المذكورة عند
الفصل بإلا وفي نحو نعم الفتاة.

الأصل في الفاعل أن بلى الفعل
مباشرة.

يجب تأخير المفعول لأمن اللبس أو
الإضمار الفاعل.

إذا اشتغل الفعل بضمير منصوب
سابق قدر للسابق ناصب.

إذا ولى السابق ما يختص بالدخول
على المبتدأ كان حكمه الرفع والحكم
أيضاً إذا ولمنادة لا يعمل ما بعدها فيما
قبلها والنصب أرجع قبل الفعل الطلبى
وبعد حرف بلا فصل.

يحذف حرف الجر قبل أنْ وأنْ
باطراد (تحت عنوان نزع الخافض).

يسبق الفاعل في المعنى من مفعولى
أعطى المفعول الثانى.

ينصب المصدر بالفعل أو بالوصف
أو بالمصدر الآخر.

المصدر المؤكد لفعله لا يحذف عامله
ولا يجوز جمعه هو.

يتحتم حذف العامل إذا ناب عنه
المصدر أو جاء المصدر للتفصيل بعد
إمّا.

إذا دل المصدر على تعليل واتحد مع
الفعل زمناً وفاعلاً نصب على المفعول
لأجله.

إذا فقد المصدر أحد هذين الشرطين
جر باللام.

ينصب الظرف بالفعل ونحوه طاهرًا
أو مقدّرًا وبعدهما وكيف الاستفهام
ميثين.

كل وقت يصلح للظرفية ولا يصلح
لها من المكان إلا المبهم كالجهاث
والمقادير إلخ.

قد ينوب المصدر عن الزمان كثيرًا
وتقل نيابته عن المكان.

قد يكون الاستثناء مثبتًا أو منفيًا.

قد يذكر المستثنى منه فيكون
الاستثناء تامًا وقد يحذف فيكون
الاستثناء ناقصًا أو مفرغًا.

تقع الحال وصفًا منكرًا فضلة
منصوبًا.

صاحب الحال رتبته التقديم على
الحال إلا إذا نفى أو خُصّص أو نصب
بفعل متصرف أو وصف.

لا تأتى الحال من المضاف إليه إلا في
حالات خاصة.

قد تكون الحال مؤكدة لعاملها.

قد تأتى الحال جملة في محل نصب
فإذا سبقت بالواو قدر لها مبتدأ وكانت
خيرًا.

قد يحذف عامل الحال.

التمييز اسم نكرة منصوب بمعنى
من (نزع الخافض) يفر اسما سابقًا
ويجب بعينه بعد المضاف.

قد يجر التمييز بعد ما يدل على
مقدار.

ينصب التمييز بأفعل إذا كان فالللا
في المعنى.

يلزم التمييز دائمًا بعد التعجب.

يتقدم عامل التمييز على التمييز دائماً.
من حروف الجر ما يختص بالدخول
على الاسم الظاهر ومنها ما يختص
بالدخول على الزمان.

تزداد من بعد النفي.
قد تزداد ما بعد من وعن والباء فيبقى
عملها بالجر.

وقد تزداد الباء بعد رب والكاف
فتكفها عن العمل.

قد تحذف رب بعد بل والفاء الواو
فيبقى الجر.

لا تجتمع الإضافة والتنوين.
لا تلحق إلى المضاف إلا إذا ألحقت
المضاف إليه أو ما أضيف إليه المضاف
إليه.

لا يضاف الاسم إلى ما في معناه.
بعض الأسماء يلزم الإضافة مطلقاً،
بعض الأسماء يلزم الإضافة إلى الضمير
حين وإذا تضافان إلى الجمل.

تضاف إذا إلى الجملة الفعلية.
لا تضاف أى إلى المفرد المعرفة.
من الأسماء ما يقطع عن الإضافة
فيبنى على الضم.

قد يحذف المضاف إليه فيبقى المضاف
على حالة بشرط العطف.
قد يضاف المصدر إلى فاعله أو إلى
مفعوله.

يعمل اسم الفاعل عمل فعله إذا
سبقه استفهام أو حرف نداء أو نفي
ومخبر عنه أو موصوف ويعمل مطلقاً إذا
لحقته أل.

يجوز فيما يلي اسم الفاعل العامل
النصب والجر ويجوز في تابع المجرور
النصب والجر أيضاً.

اسم المفعول فيما معنى كاسم
الفاعل.
تضاف الصفة المشبهة إلى فاعلها في
المعنى.

تعمل الصفة المشبهة عمل اسم
الفاعل المتعدى.
رتبة الصفة المشبهة التقدم على
معمولها.

إذا اتصلت الصفة المشبهة بأل جاز
في ما بعدها الرفع والنصب والجر إلا أن
يكون ما بعدها مجرداً من أل فلا يجوز
جره.

إذا كانت الصفة المشبهة مجردة من أل
ففى تاليها الإعرابات الثلاثة مطلقاً.

ما التعجبية لها الصدارة.

حكم ما بعد فعل التعجب نصب.

قد يحذف المتعجب منه.

إذا فقد الفعل فى التعجب شروط
صياغته نصب مصدره بعد أشد
وأشدد.

لا يتقدم معمول التعجب على فعله
ولا يفصل عنه إلا بظرف أو مجرور.

نعم وبئس ترفعان فاعلاً مقترناً بأل
أو مضافاً إلى مقترن بها.

وقد يرفعان ضميراً له تمييز يفسره.

يأتى المخصوص بعد ذلك مرفوعاً
على الابتداء أو الإخبار.

إذا دل دليل على المخصوص جاز
حذفه.

إذا تجرد أفعال التفضيل من أل لحقته
من.

رفع التفضيل للاسم الظاهر قليل.

النعته تابع للمنعوت إلا فى الإضافة
الوصفية.

يحذف النعت إذا دل عليه دليل.

يتم التوكيد المعنوى بالنفس أو
بالعين وكلا كلاتا وكل وأجمع.

إذا أكد الضمير المتصل بالنفس
والعين إلخ فبعد المتفضل.

يتم التوكيد اللفظى بتكرار اللفظ.

لا يؤكد الضمير المتصل لفظياً إلا مع
تكرار ما اتصل به.

تؤكد الضمائر المتصلة جميعاً توكيد
لفظياً بضمير الرفع المنفصل.

يعطف بأمر بعد همز التسوية أو
التعين.

يعطف على المضير المتصل بعد
الفصل بالمنفصل ونحوه.

يعطف الضمير على المجرور بالحرف
بتكرار الحرف.

قد تحذف الواو أو الفاء مع
معطوفهما عند أمن اللبس.

يعطف الفعل على الوصف
والعكس.

لا يبدل الظاهر من ضمير الحاضر
إلا إذا دل على إحاطة أو بعضية إلخ.

إذا جاء البدل مع إرادة التعيين كان
بعد الهمزة.

يبدل الفعل من الفعل.

يبنى المنادى المفرد المعرفة على ما يرفع به لفظ أو محلاً وينصب المضاف والنكرة غير المقصودة.

إذا ورد لفظ ابن بين علمين ثانيهما أب للأول المفرد دون فصل جاز في المنادى النصب والبناء على الضم.

ينصب تابع المنادى المبنى على الضم (كلفظ ابن مثلاً) إذا كان مضافاً مجرداً من أل ويجوز في غيره النصب أو الرفع. إلا إذا كان التابع منسوقاً أو بدلاً فتعامل معاملة المنادى المستقل فإذا اتصل النسق والبدل بأل ففيه النصب أو الرفع.

لا توصف أى في النداء إلا باسم جنس محلى بأل أو باسم إشارة.

يجر المستغاث به باللام المفتوحة مفرداً أو معطوفاً وتكسر اللام في غير ذلك.

لا يكون المندوب نكرة ولا اسماً مبهماً كالإشارة والموصول إلا إذا خلا الموصول مأل مثل من وما وأى.

حكم المخصوص كحكم المنادى بغير حرف النداء نحوه أيها العرب

يكون النصب في الإغراء والتحذير بوجود الحذف.

تسبق إياً التحذير دون الإغراء.

يرفع المضار إذا تجرد من الناصب والجازم.

يجب إظهار أن بين اللام ولا ويجوز إظهارها إذا لم ترد "لا".

تضمّر أن وجوباً بعد كان المنفية وأو إذا صح أن تعاقبها حتى أو إلّا وكذلك بعد حتى والفاء وجواب النفي والطلب وبعد واو المعية.

يجزم الفعل في جواب الطلب المثبت وبعد لا ولام الأمر ولم ولما وأين وإذا ما وحيثما وآتى.

يجوز رفع المضارع في الجزاء إذا كان الشرط ما حيناً.

المضارع المعطوف على الجواب بالفاء أو الواو يرفع أو ينصب أو يجزم.

إذا اجتمع شرط وقسم حذف جواب ما تأخر منهما والأرجح إجابة الشرط وكذلك إذا تقدمهما مبتدأ فالأولى إجابة الشرط.

تأتى لو قبل الماضي وقد تليها أن

إذا جاء المضارع بعد لو صرف
معناها إلى المضى.

جواب أما يقترن دائماً بالفاء.

إذا دلت لولا ولا ما على امتناع
لوجود دخلتا على المبتدأ فقط.

يقترن جواب لولا ولا ما باللام إذا
كان مثبتاً ويجرد منها إذا كان منفيًا.

رتبة الخبر مع الذى والألف واللام
التأخر وحكم التعريف.

يخبر بالألف واللام عن اسم واقع
فى جملة فعلية يصلح فعلها أن تصاغ منه
صلة لأل.

تميز كم الاستفهامية مفرد منصوب
وإذا جرت كم جاز يحجر التمييز.

تميز كم الخبرية مفرد أو جمع مجرور.

تميز كآين وكذا فيه النصب والجر
بتقدير من.

عناصر معجمية فى التركيب النحوى

دراسة المعجم فرع من فقه اللغة. وبين النحو وقفة اللغة اختلاف فى المبدأ والغاية، أو بعبارة أخرى: فى الموضوع والمطلب. وإذا اختلف الموضوع وتباين المطلب وقع البون الشاسع فى المنهج بالضرورة. فأما موضوع النحو فهو المسموع من كلام العرب. وعلى الرغم مما يوحى به المصطلح مخصصاً بقيود منها الكثرة والفصاحة بل بصحة السند فى كثير من الأحيان. وغاية النحو أن يستخرج من المسموع الضوابط التى تحكم صياغة المقررات فى جمل، أى أن مطلبه هو أن يصل إلى تجريد الأنماط والقواعد، وأن يعتمد فى منهجه على الاطراد أينما تحقق الاطراد، وموضوع فقه اللغة هو المفردات ذاتها وليس موضوعه رصف المفردات^(١) فى جمل. ومن هنا لا تكون من قيود موضوعه الكثرة لأنه يتناول الغريب ولا الفصاحة لأنه يتناول الحوشى والدخيل ولا صحة السند لأنه يدرس الارتجال والنحت والاشتقاق ونحوها من ظواهر إبداع المفردات وإذا كانت المفردات حال أفرادها موضوع فقه اللغة فإن المعجم وموضوعه المفردات لابد أن يكون من فروع فقه اللغة، وأن يكون بينه وبين النحو من البون الشاسع ما ذكرنا، ومن ثم لا يتوقع المرء لقواعد النحو أن تختلط بحقائق المعجم.

وأحب أن أشير قبل الدخول فى عمق الموضوع إلى أن النحاة كثيراً ما أخذوا من فقه اللغة ما لا حاجة بهم إليه وذلك حين يشيرون إلى أن العرب تصرفت فى كلمة مفردة بعينها على نحو معين كقولهم مثلاً^(٢):

(١) انظر هذه الكلمات فى نطاقها من كتاب الجنى الدانى للمرادى.

١- لحقت تاء التأنيث ثلاثة من الحروف هي "رتبت" و"ثمت" و"لات".

٢- مُ الله مثلثة الميم.

٣- "أمي" التي تسبق المنادى قد تمد ألفها. حكاها الكسائي.

٤- قد يرد "عن" بمعنى "أن" بقلب العين همزة.

٥- في "رب" سبع عشرة لغة^(١).

وهلم جرا.

ولكنني لا أقصد ذلك ولا أتجه إليه بهذا المقال ولا أراه من النحو لأنه يتناول المفردات دون القواعد. فالذي يجري محاولة عرضه هنا طائفة من الحقائق التي تعود إلى العلاقات بين مكونات المعجم وإلى خصائص للمفردات من ظواهر الذكر والحذف والإظهار والاضمار ونحوه حين يعود ذلك إلى عبارات معجمية على نحو ما سيتضح بعد قليل: وسنحاول أن تبرز علاقة كل هذه الحقائق المعجمية بالتحليل النحوي واعتماد هذا التحليل على تلك الحقائق.

المعجم معنى مفرد لمبنى مفرد والمبنى المفرد اشتقاق وصيغة وتنظم المفردات في طوائف من زوايا مختلفة فقد يربط بين أفراد الطائفة من المفردات اشتراكها في المادة الاشتقاقية (أصل الاشتقاق) وقد يربط بينها وزنها أو صيغتها أو وقوعها في قسم واحد من أقسام الكلام أو استعمالها على زوائد بعينها وقد يربط بينها المعنى إيجاباً أو سلباً. وهلم جرا.

فأما ارتباط الكلمتين إحداهما بالأخرى من حيث المادة الاشتقاقية فأشهر ما في النحو منه ما يقوم بين الفعل ومفعوله المطلق. فالمعلوم أن اشتراك المصدر مع الفعل في مادته شرط لإعرابه مفعولاً مطلقاً فإن لم تكن بينهما شركة في ذلك فإن دل المصدر على ملابسة أعرب حالاً وإن دل على غائية أعرب مفعولاً لأجله وإن دل

(١) أوضحها المرادى في الجنى الدانى ص ٤٤٧.

على ما يدل عليه المفعول المطلق أعرب نائباً عن المفعول المطلق، فالأول نحو ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ والثاني نحو ﴿ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وكذلك ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ والثالث نحو "جرى هرولة". ثم هناك ما يكون بين عنصرى التوكيد اللفظى من وحدة اللفظ ثم بالضرورة اتحاد أصل الاشتقاق وذلك نحو "أخاك أخاك" وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ هذا ويقوم تقسيم المفردات إلى مشتق وجامد على أساس الانتماء إلى طائفة تشترك فى الأصول أو انفراد اللفظ واعتزاله عن الكلمات فلا يشارك واحدة منها فى أصولها. ذلك مع ما يترتب على هذا التفسير فى التحليل النحوى من حيث الافتقار وعدمه والرتبة وعرفها والتعدى واللزوم والإضافة المحضة واللفظية إلخ.

وتتوقف الإفادة وعدمها فى الكثير من الحالات على الروابط المعجمية فى استقامة المعنى بين المفردات الداخلة فى تكوين الجملة مما يشير إلى أن الكلمات المفردة تقع فى طوائف من حيث المعنى، وعلى الرغم من أن النحاة جعلوا الإفادة شرطاً فى الكلام لم يجعلوها شرطاً فى الصياغة أى أنك إذا قلت "نزلت إلى فوق" فلن يستعصى عليك أن تعرب هذا التلفيق فعلاً وفاعلاً وجاراً ومجروراً متعلقاً بالفعل فتمنحه اعترافاً صناعياً بصلاحه للتحليل. غير أنك إذا رمت الوصول إلى الإفادة فطنت إلى أن الفعل هنا ينتمى إلى طائفة من المفردات لا تلتقى مع الطائفة التى ينتمى إليها المجرور، لأن معنى كل منهما يتناقض مع معنى الآخر^(*). ولكن الاختلاف بين

(*) وهذا السبب ذاته هو الذى دعا إلى تعليق الجار والمجرور فى البيتين الآتين بأبعد الفعلين منها وذلك فى قول الشاعر الذى لم تكن له حيلة إلا التلهى والعجز:

عشية مالى حيلة غير أنسى بلفظ الحصى والحظ فى الترب يولع
أخط وأحمو الحظ ثم أعيده يكفى والغربان فى الدار وقع

فأقرب الفعلين إلى الجار والمجرور (يكفى) هو "أعيده" ولكن الحظ لا يعاد ولا يخط بالكف وإنما يمعى بالكف. وذلك تعلق الجار والمجرور بالفعل "أحمو" مع تجاوز "أعيده" لعدم الملاءمة وليس مثل ذلك قول الشاعر:

طائفتي الكلمتين لا يصل في كل الحالات إلى حد التناقص، لأن إحدى الكلمتين قد تصلح للتخفي والتنكر في زى يجعل الكلمة الأخرى تصالحها وتضامها. يحدث ذلك بواسطة إنشاء علاقة بين الكلمتين يخترعها المتكلم إما عقلية كاللزوم ونحوه أو فنية كالتشبيه ونحوه ثم يقيم المتكلم هذه العلاقة مقام العلاقة العرفية التي كانت بين اللفظ مدلوله الذي كان له بأصل الوضع، عندئذ ينشأ أحد الأساليب البيانية فتتحقق الإفادة والإبداع في وقت معاً.

ومن قبيل ما يفرضه المعجم على التركيب النحوي أن الشيء لا يضاف إلى ما في معناه فلا يقال كتاب السفر ولا جسم الجسد ولا حصان الجواد لأن الإضافة إنما تكون على معنى حرف الجر وحروف الجر تعبر عن علاقات بين المجرور وعنصر آخر من عناصر الجملة والعلاقات كما تكون اقتراناً ذهنياً بين أمرين تقتضي أن يكون الأمران متغايرين فلا يقال إن هناك علاقة بين الشيء ونفسه ومن ثم لا يضاف الشيء إلى نفسه أو بعبارة أخرى إلى ما في معناه.

فإذا ورد في الكلام الفصيح المسموع عن العرب ما ظاهرة إضافة الشيء إلى ما في معناه لم يستطع النحاة رفضه ومن ثم يصبح عليهم أن يفسحوا له مجال التأويل فيجعلوه على حذف مضاف.. كذلك فعلوا بتركيب مثل: صلاة الأولى ومسجد

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
ولا تحسبن الله يفتل ساعة

خلوت ولكن قل على رقيب
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فتعلق الجار والمجرور يتعين فيه لأسباب غير معجمية أن يكون بالفعل "يغيب" وليس بالفعل "يخفى" لأن "لا تحسبن" مسلط على "يغيب" أى لا تحسبن المعجمية أن يكون بالفعل "يغيب" وليس بالفعل "يخفى" والمجرور من الناحية المعجمية فيجوز أن نقول: "يخفى عليه" و"يغيب عليه" ولكن قرينة السياق تأبى تعليق الجار والمجرور يأخذ الفعلين وتحتمه للآخر. ولولا هذه القرينة لنسب البيت إلى اللبس. ومعنى قرينة السياق أن البيت الأول يثبت الرقابة لله على ضمائر عباده وهذا يتنافى مع عبارة "يخفى عليه" إذا علقنا الجار والمجرور بالفعل "يخفى". أضف إلى ذلك أن في البيت الأول من رنة التقوى ما يتنافى مع الكفر الذى يكمن في اعتقاد خفاء شيء على الله. وهو ما قد يفهم من تعليق الجار والمجرور بالفعل "يخفى". وهكذا تجاوز الجار والمجرور التعلق بالفعل المتقدم وهو أكثر الفعلين احتمالاً لذلك بحكم الرتبة وتعلقاً بالفعل المتأخر ليستقيم المعنى.

الجامع ونحوهما حين فطنوا إلى أن الصلاة هي الأولى والمسجد هو الجامع فقدروها: صلاة الساعة الأولى ومسجد المكان الجامع وهكذا أصبح المضاف غير المضاف إليه من حيث معناه المعجمي.

ومن ذلك أيضًا أن الحال لا تكون من مادة اشتقاق فعلها لثلاث تكون هناك مطابقة في المعنى بين حدثين يلبس أحدهما الآخر فلا يقال سرى ساريًا ولا ركب راكبًا إلا أن تخصص الحال بإحدى صور التخصيص فيضيق بالتخصيص معنى الحدث الذي نسبها فتنتفى عندئذ المطابقة في المعنى بين الحدث الذي في الحال والحدث الذي في الفعل فيقال مثلاً "سرى ساريًا لا يخاف" أو "سعى ساعيًا إلى حتفه" أو "ركب راكبًا رأسه" أو "جهل جاهلاً أنه يجهل". ذلك أن في الفعل والحال حدثين بينهما علاقة الملابس فإذا اتحد معنى الحدثين ولم يخصص الثاني منهما آلت المسألة إلى دعوى أن الفعل (أو الحدث الذي هو بجزء من معناه) إنما يلبس نفسه فتنتهى المسألة على ما انتهت إليه إضافة الشيء إلى نفسه وبذلك تتسم بالإحالة.

والنفس والعين والذات كلمات معجمية ذوات معان مفردة كبقية الكلمات أى أن لكل منها مفهومًا يدل عليه هذا اللفظ ولكن هذه الكلمات على الرغم دلالتها المعجمية (وربما بسببها أيضًا) لا تصلح أن تكون ركائز تعدد الصلاحية للضمائر المتصلة حين يراد أن يؤكد بها الاسم الظاهر أو الضمير المنفصل فيقال جاء محمد نفسه أو عينة أو ذاته وجاء هو نفسه أو عينه أو ذاته فيستفاد نفى الغيرية من الضمير ويرتكز الضمير لتكثير حروفه على النفس أو العين أو الذات. ولربما وقعنا أحيانًا على عبارة مثل: "سلبت زيدًا نفسه" فنقع في حيرة فلا ندري وقد أعطى المعجم للنفس هذين المعنيين أى إعراب لتعرب النفس: إعراب الكلمة المقررة فتجعلها مفعولاً به ثانيًا وتكون النفس عندئذ هي السلبية، أم إعراب ركيزة الضمير فتجعلها توكيدًا معنويًا لزيد ويكون المسلوب شيئًا آخر غير النفس يملكه زيد وقد حذف المفعول به الثاني من الكلام. عندئذ يحتاج تحديد المعنى (ومن ثم الإعراب) إلى

قرينة إما لفظية نحو "سلبت زيدًا نفسه كل ما يملك" أو خارجية لو كان يعلم السامع أن سلبًا قد حدث ولكنه شك في أنه وقع على زيد فساق إليه المتكلم هذه الجملة.

والمفعول معه ذو شرط معجمي هو أن تدل الكلمة المعربة مفعولا معه على شيء يمكن ملازمته أو مصاحبته صحبة مكانية أو زمانية ولذا لا تقول: رأيت زيدًا وعمراً وأنت تقصد المفعول معه لأن عمراً من شأنه أن يساوى زيدًا في إمكان حركته وسكونه فليس أحدهما أولى بأن يلتزمه الآخر أو يصحبه ولو ادعى أحد - معنى الصحبة لواحد منهما لكانت دعوى بلا دليل من شأنها أن تؤدي إلى اللبس (وإن يشكل خيف لبس يجتنب). وإنما أشرت إلى فكرتي الملازمة أو المكانية أو الزمانية المصاحبة لأنك إذا استعملت الفعل من واحدة منهما وجدت احتمال اللبس أكبر حتى مع الألفاظ التي تستوفي شرط المفعول معه السابق. انظر اللبس في نحو "لزمت زيدًا ويمين الطريق" وسترى أنك ما دمت تستطيع أن تقول: "لزمت يمينا الطريق" فلا مانع يمنع من أن يكون يمينا الطريق معطوفاً على زيد. وكذلك يرد اللبس في "صحبت زيدًا وموكب الاحتفال" ولعل ارتفاع نسبة اللبس عند استعمال هذين الفعلين يأتي عند فهم أن كلا من هذين الفعلين بدلالته على معنى الاصطحاب قد سلب الواو قدرًا لا بأس به من معنى المعية جعل احتمال المعية فيها مساويًا لاحتمال مطلق الجمع.

والظروف المتصرفة كلمات معجمية بحقها لأنها "تُرى ظرفًا وغير ظرف" ومعظمها من الأسماء المبهمة التي تدل على الأحداث والجهات والأزمنة والأعداد ونحوها ولكن هذه الأسماء تخلت عن أشراط الاسمية التي تميزها ونقلت إلى استعمال الظرف. وإذا كان الأمر كذلك فإن بعض مواقع هذه الأسماء قد يجعل المقصود منها ملتبسًا فلا يدرى إن كان المقصود بها المفعول به (على زعم استصحاب الاسمية) أو المفعول فيه (على زعم النقل إلى الظرفية). فمن ذلك تراكيب مثل: أحبيت أول الربيع - تذكرت ساعة الأصيل - تأملت صباح الخميس.

ومما يفرضه المعجم على التركيب النحوى أيضًا ما يعرفه النحاة من امتناع الإخبار بالزمان عن الجثة ذلك بأنه إذا وسع المكان المعانى والأجرام فإن الزمان يسع المعانى دون الأجرام فإذا صمت رمضان فى القاهرة فالقاهرة ظرف لشخصى ورمضان ظرف لصيامى. وهكذا نجد من الصواب أن يقال:

الفضيلة بين رذيلتين (بين ظرف مكان أخبر عن معنى)

أو أن يقال: المؤمن بين مخافتين (بين ظرف مكان أخبر عن جثة)

وكذلك: أنا بين صديقين (بين ظرف مكان أخبر عن جثة)

ولكن يمتنع أنا ساعة الأصيل (ساعة ظرف زمان امتنع أن يخبر به عن جثة)

مرة أخرى نقول إذا ورد عن العرب الفصحاء ما ظاهره الإخبار بالزمان عن الجثة لجأوا إلى ما لجأوا إليه فى المسألة السابقة فقالوا بحذف مضاف وجعلوا المضاف معنى يصلح الزمان أن يكون له ظرفاً فأولوا قولهم: الرطب شهرى ربيع فجعلوه: ظهور الرطب شهرى ربيع وهلم جرا.

لقد رأينا أن للإفادة عقبة تكمن فى التناقض الذى قد يكون بين طوائف المفردات وإن لها لآفة أخرى تسمى اللبس ينفر منها اللسان من الناس ويأبأها النحاة وحسبنا أن نذكر قول ابن مالك: "وإن بشكل خيف لبس يجنب". ومعنى هذا أن أمن اللبس مطلب ضرورى ونهاية من غايات الإفادة وأن السياق يرصد القرائن للوصول إلى هذه الغاية سواء أكانت هذه القرائن لفظية أم معنوية. ومن القرائن المعنوية قرائن تتصل بالمعنى المعجمى لبعض المفردات الداخلة فى تركيب الجملة. ومن ذلك قرينة انتقال الفعل وعدمه. فالفعل المتعدى قد يكون منتقلاً أو غير منتقل (*) فالمنتقل هو الذى يصح أن يتحول فاعله إلى مفعول ومفعوله إلى فاعل نحو ضرب زيد عمراً إذ يجوز أن نقول ضرب عمرو زيداً وغير المنتقل ما لا يصلح مفعوله أن يكون فاعلاً نحو أكل الغلام التفاحة فعدم انتقال الفعل قرينة معجمية معنوية جاز معها للعرب القدماء أن يرفعوا المفعول مقدماً وينصبوا الفاعل مؤخرًا

(*) يكتب السبب عدم الانتقال وكونه إما من مادة الفعل أو من علاقة الفاعل بالمفعول.

في قولهم: خرق الثوب المسمار دون عدوان على الإفادة بسبب أمن اللبس. واللبس مأمون أيضًا لهذا السبب في نحو قولنا استشعرت التقوى سلمى على رغم عدم ظهور الإعراب وتشويش الرتبة. وفي هذا إشارة إلى أهمية الحقائق المعجمية في التركيب النحوي.

ومن الصفات ما يصلح للكثير من الموصوفين كالطول والقصر والألوان والأحجام والحركة والسكون ونحوها فنقول: هذا رجل طويل وطريق طويل ويوم طويل وحبل طويل وإطراق طويل وكلام طويل إلخ كما يتعدد احتمال الوصف بالقصير والأحمر والكبير والسارى والراسخ إلخ فيكون الموصوف حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا. ومن الصفات ما يتعين به موصوفه لاختصاص الموصوف بهذه الصفات فلا يكون العالم إلا رجلاً ولا البتار إلا سيفًا ولا الغادة إلا امرأة ولا الرؤوم إلا أماً ولا الهصور إلا أسدًا إلخ. فإذا تعين الموصوف بصفته صح أن تكون الصفة مغنية عن ذكره فيجوز عندئذ حذفه وأن يكون الحذف اختصارًا أسلوبياً يلجأ إليه المتكلم. من هنا رأينا تراكيب مثل:

وقد اغتدى والطير وكناتها
مكرّ مفر مقبل مدبر معا
وقوله:

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفنا كواسب ما يفل عصامها
فلحقن واعتكرت لها مديرية كالسّمهورية حدها وقوامها

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾. وقد أغنت الصفات عن ذكر الحصان أولاً ثم الكلاب والقرون والرماح ثانياً ثم السفينة ثالثاً.

ومثل ذلك حذف المفعول إذا كان في الفعل دليل عليه أو عموم يشمله. ففى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ

مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذَوْدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ﴿[القصص: ٢٣ - ٢٤].

حذف المفعول من كل فعل لأن السقى والذود والأصدار أفهمنا أن المقصود
الماشية. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿[النجم: ٤٣ - ٤٤]. وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨] دخل الإنسان
وهو المقصود بالكلام في عموم الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء
والإقناء فحذف المفعول وهو الإنسان. وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
[العلق: ٤] حذف المفعول وهو الإنسان للعلم به ولذكره بعد ذلك مباشرة في قوله
تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [القلم: ٥] فعوض عن حذفه أولاً وإن كان له ما
يبرره وذلك بذكره ليعيد عليه الضمير المستتر في الفعل ﴿يَعْلَمْ﴾ ولثلا يعود الضمير
على لفظ "ربك" المذكور سابقاً. ومنعاً للإحالة والتناقض اللذين يردان على "عَلَّمَ
ما لم يعلم". ومغزى كل ذلك أنه إذا قام دليل على المحذوف (وهذا الدليل في معظم
أحواله حقيقة معجمية) جاز الحذف ولا حذف إلا بدليل. ومن ذلك أن الصفة قد
تخذف مع وجود الدليل. وذلك كحذف صفة السفينة في قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلُّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] لوجود الدليل عليها في قوله:
﴿فَازْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا﴾ لأن الملك لم يكن يأخذ أو يغتصب سفينة معينة وبذا تكون
الصفة التي دل عليها الدليل هي "غير معينة" أو "صالحة".

قد تتحد الصيغة الصرفية للفظين المختلفين من حيث الاشتقاق فتختلف نظرة
النحو إليهما لاختلاف مادتهما (أى لسبب معجمى لا صرفى) وبذا يكون المعجم قد
رفع لبساً صرفياً فاللفظان: جهاد. وغلاف كلاهما على وزن "فعال" ولكن اتحاد
الصيغة لم يقد النحو إلى رؤيتهما شيئاً واحداً وإنما جعل الكلمة الأولى مصدرًا وجعل
الثانية اسماً غير مصدر ثم رتب على ذلك فصلاً بينهما في طبيعة تحليل التركيب الذى
يشتمل على كل منهما وفي الوظائف النحوية التى يؤديها كل منهما مثل: الإعمال

وعدمه - الإضافة على نية الإعمال والإضافة المحضة. الصلاحية للمفعول المطلق والمفعول لأجله والحال وعدم الصلاحية لذلك ومثل ذلك يقال فيما تشترك فيه الأسماء والصفات من الأوزان الثلاثية وفي قوالب صرفية أخرى مثل فاعل وأفعِل وغيرهما من الصيغ المشتركة.

والقصد عنصر معجمي من عناصر فهم العلمية لأن العلم يدل على معين ومقصود بواسطة العهد ومعنى العهد سبق المعرفة وذلك لا يمنع أن كل اسم علم ربما اشترك فيه طائفة من الناس ممن يعرفهم المتكلم والسامع كلاهما فإذا ذكر المتكلم هذا الاسم كان السامع عرضة للبس لو لم تساعد قرائن المقال على تعيينه بالعهد الذكرى أو قرائن الحال على تعيينه بالعهد الذهني. وهذا القصد الذي هو عنصر من عناصر العلمية إذا أدخل على معنى النكرة في النداء أخذت حكم العلم فبنيت مثله على الضم في محل نصب فأصبحت معرفة فإذا نودى العلم أو النكرة المقصودة فالعهد حضوري في الحالتين والعهد هنا فهم للمقصود بالنداء يشترك فيه المتكلم والسامع الذي قد يكون المنادى وقد لا يكون.

وحين يفقد العلم مفهوم القصد يتحول إلى نكرة يصدق عليها كل ما يصدق على النكرة من الناحية النحوية كأن تضاف إلى معرفة فيصيبها التعريف وكأن توصف بها النكرة وهكذا فالرشيد والمأمون والمعتصم من عظماء خلفاء العباسيين وهم أعلام بكل مقاييس العلمية ولكن أسماءهم تحولت إلى نكرات في قول شوقي:

دار الشرائع روما كلما ذكرت	دار السلام لها ألفت يد السلم
فما حكمتها بياناً حين مختصم	ولا حكمتها قضاء حين محنتكم
ولا احتوت في طراز من قياصرها	على رشيد ومأمون ومعتصم

ولم يأت التنكير من نزع "أل" من هذه الأعلام بل من دلالتها على حاكم ماله

مميزات الرشيد وحاكم آخر له مميزات المأمون وحاكم ثالث له مميزات المعتصم، أى أن نفى الأعلام دل على نفى وجود حكام نكرات من الرومان لهم هذه المميزات. أو بعبارة أخرى يكون "الرشيد" خليفة عباسياً ويكون "رشيد" فى بيت شوقى حاكماً رومانياً مضاهياً للرشيد ولكن لم يتحقق وجوده.

أى أن الرشيد = مثيل للرشيد.

من الأحداث ما يقتضى العطف كالمشاركة والتسوية ونحوهما فإذا قلنا تقاتل أو اختصم فلا يكفى فرد واحد لا يقاع الحدث ومن ثم نأتى بعده بالفاعل وبعده شريك له معطوف عليه أو نأتى بضمير المثنى أو الجمع دالا على الفاعل والشركاء. ولقد نسب الصرفيون المشاركة إلى الصيغة فقالوا إن المشاركة هى المعنى الذى يفهم من فاعل وتفاعل وافتعل وقد علموا أن كل صيغة من هذه لا تدل دائماً على معنى واحد بدليل "سافر" و"تمادى" و"اختتم" فكان عليهم أن ينسبوا المعنى إلى المادة الاشتقاقية أى إلى المعجم لا إلى القالب الصرفى. أما المساواة (وهى تأتى على هذه الصيغ أيضاً) فيقال "ساوى" و"تساوى" و"استوى" فلا يكفى فيها إلا أن تعطف على الفاعل لأنه لا يمكن أن نتصور تركيب مثل "تساوى زيد" إلا أن يقال بعده "وعمره" فيذكر الطرفان وبينهما الواو. غير أن القرآن الكريم قد تصرف فى التسوية بطرق أسلوبية مختلفة فحذف الواو أحياناً دون حذف المعطوف كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١٠]. فالمعطوف هو الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ولكن الواو حذفت. وقد يغير مكان الواو كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨] وقد ترد الواو فقط كما فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤] أى كالأعمى الأصم والبصير السميع وقد تزداد لا فقط كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

وَلَا السَّيِّئَةُ ﴿١٨﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا
النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩ -
٢٢].

ولقد فطن اللغوي الأمريكي تشومسكى إلى مبدا هام بحكم اختيار مفردات
الجملة أطلق عليه اسم "قيود الانتقاء" selection restrictions جعل تشومسكى
هذا المبدأ معجمياً فقط ولكن لهذا المقال الحاضر نظرة تركيبيه كذلك لأن الفعل
اللازم قد يضام حرفاً بعينه دون حرف آخر مثلاً في النحو لأن الأمر يدور حول
معانى المفردات لا حول الأبواب النحوية ومعنى قيود الانتقاء أننا عندما تبدأ
الجملة بكلمة يضيق مجال الاختيار بالنسبة لتالياتها فإذا جئنا بتاليها ضاق مجال
الاختيار بالنسبة للتى تتلوها وهكذا حتى تكاد الكلمة الأخيرة في الجملة أن تفرض
نفسها فرضنا على المتكلم. دعنا نلقِ نظرة في بيت المتنبي الذى يقول:

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنناً

فإذا قلنا "كلما" توقعنا بعدها فعلين على غير تعيين لمنطوقهما ولكن هذين
الفعلين يغلب أن يكونا ماضيين ويمتنع فيهما أن يكونا فعلى أمر. فإذا قلنا "أنبت"
ازداد مجال الاختيار ضيقاً وأصبحت المفردات الصالحة معدودة مثل: الله - الفلاح
- الربيع - المطر إلخ وقد اختار المتنبي لفظ "الزمان" بدل "الربيع" ليجعل مزاج بيته
هذا متشائماً ولأن الزمان هو الدهر والكلام حول ربط الدهر بالتشاؤم كثير. كان
ذلك بالنسبة للفاعل أما بالنسبة إلى المفعول فإن الفعل "أنبت" يتطلب مفعولاً من
قبيل النبات على سبيل الحقيقة ومن قبيل الأشياء النامية على سبيل المجاز وقد
اختار المتنبي الحقيقة لأن المجاز لحق بالفاعل. ويمكن لجملة الجواب بعد ذلك
أن تأتى بعدد محدود من الأفعال مثل: حصد - جنى - أكل إلخ مما يناسب الفعل
"أنبت" أو بفعل يناسب "قناة" مثل: حمل - شذب - ركب إلخ ويضيق مجال
الاختيار بعد الفعل "ركب" فيكون "المرء" أوضح مرشح لاحتلال موقع

الفاعل ثم ماذا عسى المرء أن يُركب في القنّاة إلا أن يركب "اسنّانًا" حتى إن الشاعر لو توقف عن القول دون السنّان لكان خليقًا بالسامع أن يقولها بنفسه ليتم البيت. وهكذا نرى علاقات المفردات في المعجم تفرض على الجملة النحوية قيودًا لانتقاء المفردات.

الفعل العلاجي ما اشتمل إيقاع حدثه على قدر من الجهد نحو ضرب ومشى وكتب إلخ. وغير علاجي ما خلا من الجهد نحو كرم وشرف وحسن وساء إلخ. والعلاج وعدمه معنيان معجميان ذوا أثر في التركيب النحوي في بعض الأحيان. مثال ذلك أنه يندر في المفعول لأجله أن يأتي مصدرًا علاجيًا فلا يقال "أمسكت بالعصى ضربًا للمذنب" ولا "خرجت مشيًا إلى بيتي" ولا "أمسكت بالقلم كتابة إلى صديقي". ذلك بأن المفعول لأجله غاية من الغايات وهذه الغاية من قبيل النوايا ليست من العلاج في شيء. وهكذا يصبح من المناسب للمفعول لأجله أن يأتي مصدرًا غير علاجي إلا أن تقوم قرينة على إرادة المجاز نحو "إنما فعلت ذلك سعيًا إلى كسب رضاك" فيدخل المصدر في معنى النية والتوق إلى الغاية ومن ثم يصلح أن يكون مفعولاً لأجله. أما ما لا يصلح فسبيله أن يأتي على صورة لام التعليل والفعل المضارع فيقال: "للسعى".

المعجم يشتمل على المعانى كما يشتمل على ظلال المعانى ومعنى اشتماله على ظلال المعانى أن المعجم قد يسمى المفهوم الواحد بأسماء مختلفة باعتبارات مختلفة فمن نظر إلى وحدة المفهوم أثبت استعمال اللغة لفكرة الترادف ومن نظر إلى اختلاف الاعتبارات نفى الترادف واعتد بالفروق وقد أُلّف رجال في الترادف وأُلّف رجال آخرون في الفروق. ما علاقة ذلك بالنحو؟ الجواب أن المطابقة النحوية تعتمد أحيانًا على اختلاف الاعتبار. فالعرب مثلاً باعتبار توحدهم وتميزهم "قوم" وباعتبار تعددهم "جماعة" وهكذا تعدد اللفظ والمفهوم واحد فإذا رأيناهم قومًا قلنا: "العرب يقولون" وإذا رأيناهم جماعة قلنا: "العرب تقول" والله تعالى عدّ

الطائفة جمعًا فقال: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ وقال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ كما أعاد الضمير على الفئة مؤنثًا مرة ومذكرًا مرة أخرى فقال: ﴿فَعَةً تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾.

ليس البناء للمعلوم دليلاً على إيقاع الفاعل للحدث في كل الحالات لأن بعض المبني للمعلوم مطاوع مثل انكسر وهذا يقال في تعريف فاعله إنه قام به الفعل أى تم وقوع الحدث بواسطته وليس البناء للمجهول دليلاً على معاناة الحدث دائماً لأن بعض النائب عن الفاعل ظرف أو جار أو مجرور مثل: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» وكذلك ولما سقط في أيديهم فهناك مشابهة في المعنى بين المبني للمجهول والمطاوع تجعل من الممكن أن يحل أحدهما محل الآخر. فإذا أردت الإخبار عن كسر الزجاج صح لك أن تقول: انكسر الزجاج أى قام به الكسر كما يصح لك أن تقول كُسِرَ الزجاج أى وقع عليه الكسر فالمعنى السلبي سمة للصيغتين جميعاً ولكن بينهما فروقاً من حيث علاقة كل منهما بمأخذه (أى بالمبنى للمعلوم من مادته). فالعلاقة بين المبني للمجهول ومأخذه علاقة صرفية تحويلية فقط بمعنى أنك إذا أردت أن تبني للمجهول من فعل مبنى للمعلوم فإن الوسيلة إلى ذلك صرفية بحتة فما عليك إلا أن تضم الأول وتكسر ما قبل الآخر فإن فعلت فقد حصلت على الفعل المبني للمجهول. أما المطاوع فقد تكون العلاقة بينه وبين مأخذه صرفية تحويلية تتمثل في تحويل المبني للمعلوم إلى صيغة انفعل أو افعل أو تفعل أو استفعل إلخ نحو كسرتك فانكسر وحبسته فاحتبس وعلمته فتعلم وأطلته فاستطال واعتته فاستعان إلخ وقد تكون هذه العلاقة معجمية تأويلية لا تتوقف على إجراء صرفي معين وإنما تتحكم فيها سمات وارتباطات في المعنى حتى ليصح أن نسمى المطاوع الذى سبق ذكره مطاوَعًا صرفيًا وأن نسمى هذا المطاوع مطاوَعًا معجميًا مثال ذلك: أعطيته فأخذ - بعته فاشترى - قهرته فذل - سقيته فشرب - صرفته فذهب (قارن: صرفته فانصرف) - رقيته فعلا (قارن: رقيته فارتقى) - أنزلته فهبط (قارن: أنزلته فنزل) - دعمته فقر

أو فاستقر - أعديته فمرض - قتلته فمات والمقصود بسمات المعنى وارتباطاته أن الأول يقتضى وقوع الثانى دائماً ولكن الثانى لا يتوقف وقوعه فى كل الحالات على الأول. فلا يتوقف الأخذ على الإعطاء ولا الشرب على السقيا ولا الذهاب على الصرف ولا العلو على الترقية ولا الهبوط على الإنزال ولا القرار أو الاستقرار على الدعم ولا المرض على العدوى ولا الموت على القتل بخلاف الشراء فإنه لا يتم إلا متوقفاً على البيع.

والتضمن معجمى البداية نحوى النهاية أيضاً فهو يبدأ بإسباغ معنى إحدى الكلمتين على الأخرى ثم يترتب على ذلك قيام الكلمة الثانية بالوظائف النحوية للكلمة الأولى وارتباطها بما تستحقه الأولى من محيط لفظى. فالفعل استحَب مثلاً فعل متعدٍ يكتفى بمفعوله ثم لا يتطلب بعده شيئاً. فتقول مثلاً: أنا استحَب الصدقة الخفية وتبنيه للمجهول فتقول تُستحَب الصدقة الخفية فهى مستحبة. وتقول: أنا أفضّل الصدقة الخفية على الصدقة المعلنة فتأتى بحرف الجر "على" مع الفعل الدال على التفضيل. ولكن الآية الكريمة ضَمَّت "استحَب" معنى "فضل" ثم أعطته بيئته اللفظية المشتملة على الجار والمجرور فجاء فيها "فاستحسنوا العمى على الهدى". أى "فضلوا العمى على الهدى". والفعل "نقض" يتعدى إلى مفعول واحد تقول: "نقضت القرار" أى أبطلته بعد إبرامه. ولا نقول: "نقضت القرار باطلاً" لأنه لم يكن باطلاً حال النقض. ولكنك تقول: "جعلت القرار باطلاً" لأنه "جعل" ينصب مفعولين فإذا ضمنت "نقض" معنى "جعل" أدخلتها على ما تدخل عليه وهذا هو الذى تجدد فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ فيكون "أنكاثاً" مفعولاً ثانياً ولا يصلح حالاً لأن الغزل لم يكن أنكاثاً حال النقض أى أنه لا تقوم علاقة الملابس بين النقض والأنكاث بل يترتب أحدهما على تمام الآخر فيكون نتيجة له وصائرًا عنه والضرورة كامنة فى معنى "جعل".

ومما كشف عنه التحويليون أيضًا أنه لا يجوز الإضمار إلا إذا تطابق الضمير ومرجعه لفظًا ومعنى وفي رأى أن الأصل في الربط إعادة اللفظ وهذا الأصل يستصحب في حالتين: الأولى أمن اللبس وذلك أن تكرم أخا زيد لأن زيدًا أحسن إليك فيمتنع أن تقول: "أكرمت أخا زيد لأنه أحسن إليّ" ويجب الإظهار فتقول: "لأن زيدًا أحسن إليّ" وكذلك إذا رأيت رجلًا يضرب رجلًا آخر فإن اتفقا الأسمية لفظًا لا يشفع لاختلافهما في القصد ومن هنا يجب الإظهار فتقول: "ضرب الرجل الرجل".

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ فالملك الأول غير الثانى وكل منهما غير الثالث والذى شاء الله أن يؤتیه الملك غير الذى شاء أن ينزعه منه والذى أعذه غير الذى أذله وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ أى قال لهم المنافقون إن المشركين قد جمعوا فاختلف القصد أدى إلى استصحاب الربط بإعادة الذكر. والحالة الثانية الاختيار الأسلوبى لنكتة رأى المتكلم إبرازها. كأن تقول لرجل جاء يعلن الزيارة ويخفى سعيه إلى لقاء من يجب: "إن جئت لترى حبيبة القلب فحبيبة القلب على سفر طويل" وكذلك قوله تعالى: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقوله: "واتقوا الله".

فإذا تطابق لفظ المرجع وما يراد إضماره وتطابق معناهما أمكن الإضمار نحو "وظن داود أنها قتناه" أى وظن داود أنها فتنا داود ولكن الإضمار ليس الطريقة الوحيدة للربط عند إمكانه إذ يمكن أن يكون الربط لواحدة من الطرق الآتية:

١- إعادة المعنى نحو: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

٢- الإشارة إلى المرجع نحو: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

٣- أل نحو: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ.

٤- من الموصولة نحو: ﴿قَالَ إِنِّ فِيهَا لَأَوْطًا قَالُوا خُنُّ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ﴾.

٥- الموصولات الأخرى نحو: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أى لكنهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتْرَةٍ لَّفَئَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

٦- الوصف نحو: ﴿وَإِنْ نَكُتُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلْتُمْ أَيْمَةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أى فقاتلوهم.

هذا وقد يعود الضمير على متأخر فى مواضع ذكر بعضها النحاة ولم يذكرها الاختيار الأسلوبى لأنه ليس من النحو ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾. وقد يعود الضمير على أقرب مذكور أو على غير الأقرب إذا أمن اللبس لما فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أما إذا لم يؤمن اللبس فالعود إلى أقرب مذكور.

إنما يصاغ من الفعل مصدر مؤول إذا صح أن يأتى منه مصدر صريح أما مالا مصدر له كالأفعال الجامدة مثل عسى وليس وحبذا ونعم وبئس ومثل حروف التنفيس فإذا دخلت عليه "أن" فلا ينبغى أن تعدّ مصدرية وإنما هى المخففة من الثقيلة مثل "وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم"، "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"، "علم أن سيكون منكم مرضى"، "توقعت أن سوف يحدث ذلك". أما إذا كان الفعل غير جامد فإن كان تام التصرف فلا يمتنع دخول الحرف المصدرى عليه والشواهد على ذلك لا تحصى وإن كان ناقص التصرف كيدع ويذر وكاد ونحو ذلك

فإن الحرف المصدرى يدخل عليه إما لفظًا أو تقديرًا نحو "ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب". ونحو "من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم". ولا شك أن التصرف والجمود من قضايا الاشتقاق والاشتقاق من قضايا المعجم.

تأتى الحال من المضاف فتقول حييت صاحب الحصان مزمنًا سفرًا ولكن لا يجوز أن تقول حييت صاحب الحصان مسرجًا لأن الحال لا تأتى من المضاف إليه إلا إذا تحقق فيه أحد شرطين أولهما نحوى والثانى معجمى. أما النحوى فأن يكون المضاف صالحًا لأن ينتصب المضاف إليه فى حيز فلو جعلنا فى مكان "صاحب الحصان" راكب الحصان لصح أن نقول "حييت راكب الحصان مسرجًا" كجواز أن تقول: هذا راكب الحصان مسرجًا بنصب الحسان على المفعولية لراكب وأما المعجمى فهو أن يكون المضاف من حيث المعنى بعض المضاف إليه أو مثل بعضه. ففى قوله تعالى: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّٰٓٔٓ إِخْوَانًا﴾ جاءت الحال من الضمير الذى فى "صدورهم" وهو مضاف إليه وإنما صح ذلك لأن الصدور أجزاء من مدلول الضمير أى أبعاء من هذا المدلول.

والتعدية من القرائن الهامة فى النحو وهى تبنى على تقسيم الفعل إلى متعد ولازم. غير أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يقتصر على الفعل فقط وإنما يتناول المصدر والصفات أيضًا ومن هنا يحسن أن ينسب التعدى واللزوم إلى مادة الاشتقاق فى عمومها. والذى يبدو أن مفهوم التعدى واللزوم يتوقف على ما إذا كان الحدث بحكم المعنى المعجمى صالحًا لأن يقع لفاعل أو أن يقع على مفعول وربما صح أيضًا أن تقول إن اللزوم يدل على صيرورة الفاعل ومن هنا يمكن أن تضع فى مكان اللازم: "صار + الصفة" نحو.

كرم = صار كريمًا اقشعر = صار مقشعرًا

دَنَسَ = صار دنسًا مرض = صار مريضًا

احمرَّ = صار أحمر انكسر = صار منكسرًا

فصيرورة الفاعل هي المعنى القائم في مختلف أنواع الفعل اللازم كما تبدو هنا. ومن هنا جاء في تعريف النحاة للفاعل عبارة "أو قام به الفعل" لأن الحدث هنا تحقق للفاعل لا على المفعول. أما التعدية فمفهومها أن يصيب الحدث المفعول ويتعلق به سواء أكان الحدث علاجياً كما في ضرب زيد عمرا وزيد ضارب عمرا والمبنى ضربُ زيد عمراً أو غير علاجى نحو أعجب زيد هندا لأنه على الرغم من إمكان حدوث الإعجاب في نفس هند دون أن يدرى زيد بما وقع (وهذا ربما تعارض منطقيًا مع كونه فاعلاً) أرى أن زيدًا بمظهره أو بمخبره هو الذى أثار إعجاب هند فهو فاعل وإن لم يعالج إيقاع الحدث. ولكون الفاعل لم يوقع الحدث قلنا إن الحدث في التعدية متعلق بالمفعول حتى إذا حذف المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذِينٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ۝ [القصص ٢٣ - ٢٤] وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ [النجم ٤٣ - ٤٤] وإنما حذف المفعول في الشاهدين لأن الحدث مختص به فلا يقع غلا عليه. فنحن نعلم علام يقع السقى والذود والإصدار وعلى من يقع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء في الآيات.

وبعد الاستثناء مفرغاً إذا كان منفياً ناقصاً ويتحقق النفى بإحدى صورتين:

أ - أن يكون معنى الفعل إيجابياً فيسبق بأداة نفى نحو "ما قام إلا زيد".

ب - أن يكون معنى الفعل سلبياً فيكفى هذا السلب المعجمى عن الأداة النحوية نحو قوله تعالى: ﴿وَيَأْتَى اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ أى ما يرضى الله إلا أن يتم نوره.

وفي كلتا الحالتين يعرف ما بعد "إلا" بحسب ما قبلها. ولكن يبدو أن ما بعد إلا في الحالة الثانية (السلب المعجمي) لا يكون فاعلاً أبداً لأن حصر الفاعل بإلاً يتطلب النص على النفي بالأداة لئلا يظن السامع استتار الفاعل قبل "إلا" وهو أمر غير وارد مع ذكر الأداة لشدة ارتباط "ما" و"إلا".

ثانياً: أفكار بحثية

- ٨- أنواع الدلالة.
- ٩- درجات في سلم البحث
- ١٠- تكرار النفي في السيافر القرآنى
- ١١- الفكر الحديث فى دراسة اللغة
- ١٢- الفكر الحديث فى النقد

أنواع الدلالة

١ - المعنى العرفي:

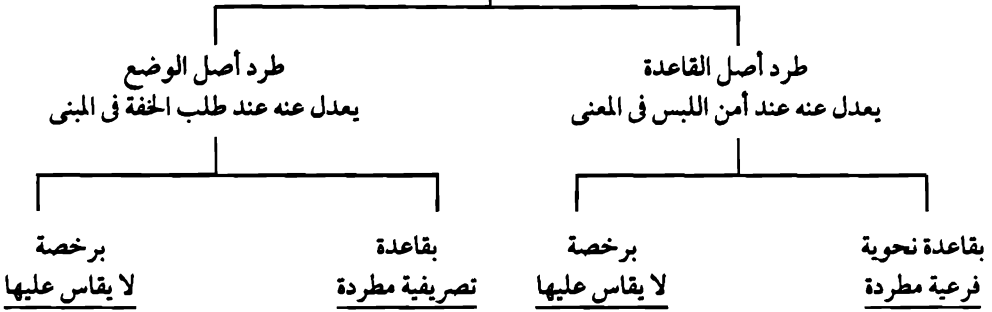
اللغة وسيلة حياة في المجتمع ومن ثم كانت أداة اتصال بين أفراد هذا المجتمع. ثم هي نظام يربط بوسائله المعينة بين ما يقال وما يفهم سواء كان القول سعيًا إلى إظهار المقصود أو إخفائه. وكأني بإظهار المقصود يبدو ألصق بالترام الطابع العرفي في الأداء اللغوي كما يبدو إخفاء القصد ألصق بالوسائل الأسلوبية الفردية. ذلك فيما يبدو طابع كل منهما فإظهار القصد ألصق بالالتزام بالأصل وإخفاؤه ألصق بالعدول عن الأصل. أما مجال كل منهما فإن إظهار القصد يتضح في لغة العلم والتعليم والشرح والدعاء ونحوها من وسائل الإبلاغ كما يكون إخفاء المقصود مرتبطًا بالمفاوضات السياسية والترويج للسلع والإعلام السياسي ولغة الأدب والمدح والغزل والتعمية والإلغاز وهلم جرا إذ يقوم الأداء على المهارة الفردية والمؤشرات الأسلوبية والسعي إلى غاية تختفى وراء ظاهر النص.

قلنا إن اللغة نظام. ومن شأن النظام أن يقوم على وحدات متكافلة متضافرة في أداء وظائفها فشان كل وحدة في علاقتها مع الأخرى هو كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى". ولهذا التكافل والثبات في تكوين النظام كان الاطراد من ثوابت النظام بل في الدرجة العليا بين الثوابت يدعمها ثابتان آخران أحدهما أمن اللبس في المعنى وثانيهما طلب الخفة في المبني. فتبدو العلاقة بين الثوابت الثلاثة على النحو التالي:

ثوابت النظام



الطرْد



وهكذا نرى إمكان الطرد في القواعد النحوية الفرعية وفي القواعد التصريفية وذلك عند أمن اللبس في الحالة الأولى وطلب الخفة في الحالة الثانية. دعنا إذاً نلق نظرة على أنواع القواعد لترى تحكم مبدأ الطرد في أصل القاعدة وفرعها وفي أصل الوضع والعدول عنه.

عندما عقد نحاة العربية العزم على اسنباط قواعد النحو رأوا أمامهم طريقتين لاستقراء ما قالته العرب: الاستقراء التام والاستقراء الناقص. الأول يحصى مقررات المادة المدروسة لا يغادر منها شيئاً ومثاله ما نراه في التعداد العام للسكان وصور الإحصاء الشامل وإثبات مفردات اللغة في المعاجم وإحصاء المعرب والدخيل والحوشى إلخ، والثاني لم يتخذ المفردات غاية له في ذاتها وإنما يسعى من خلالها إلى رصد سلوكها وأقسامها وتحولاتها وطرق التقائها ودلالات تراكيبيها والعلامات الدالة على معانيها العامة في نطاق هذه التراكيب. ومن المعلوم ما يوصل إليه بواسطة الاستقراء التام فيقال له: "علم غير مضبوط" ومنها ما يوصل إليه بالاستقراء الناقص من خلال اختبار نماذج معينة تكشف عن قواعد السلوك فيسمى: "علمًا مضبوطًا" أو كما يسميه التراث العربي: "صناعة" كصناعة النحو مثلاً.

وأول ما جذب انتباه النحاة العرب ما يطرأ من تغير على المفردات في بيئة السياق وما يرتبط بهذا التغير من اختلاف في الوظيفة التي تؤديها الكلمة المفردة. فلقد لاحظوا ما يلي:

- ١- ارتباط وظيفة الكلمة في السياق بما يكون من حركات الإعراب على آخرها.
 - ٢- وبما تفيد من دلالة على مسمى أو حدث وزمن أو على مجرد علاقة بين عنصرين من دونها كدلالة حرف العطف على علاقة بين المتعاطفين.
 - ٣- أو كون الكلمة على قالب صوري بعينه يمنحها معنى عامًا إذ تدل على فاعل أو مفعول أو مبالغة أو تفضيل إلخ.
 - ٤- لاحظ النحاة أن بعض الألفاظ لا يستعمل إلا مقترنًا بلفظ آخر وأن ألفاظًا تختص بالدخول على أقسام من الكلم دون غيرها وأن اللفظ المفرد في السياق من شأنه نحوياً أن يصاحب من هو له معجمياً.
 - ٥- ولاحظوا أن لأقسام الكلم رتباً بعضها لا يختلف أبداً والبعض يجوز أن يتقدم أو يتأخر.
 - ٦- ووجدوا أن أواصر العلاقة الرابطة بين كلمة وأخرى في السياق في تحقق بعود الضمير ونحوه أى بالمطابقة في التكلم وفرعيه والإفراد وفرعية وفي التذكير والتأنيث وفي التعريف والتكثير وفي العلاقة الإعرابية.
- وهكذا فهم النحاة مما لاحظوه أن للمعنى النحوي قرائن تدل عليه وجعلوا من تحقق القرينة شرطاً للدلالة على المعنى وربطوا بين وجود القرائن وأمن اللبس الذي سبق أن جعلناه أحد الثوابت الثلاثة للنحو العربي منذ قليل.

لم يكن هذا الكشف كافياً لأن يزعم النحاة لأنفسهم الوصول إلى غايتهم، فلقد كان عليهم أولاً أن يفسروا اختفاء نون الرفع من "لَتَبْلُؤَنَّ" وأن يبرروا اختلاف صيغة المضارع والأمر بين: يضرب - يعد - يقى واضرب - عد - ق وأن يشرحوا سبب الخروج عن القاعدة التي تقول إن المبتدأ ينبغي أن يكون معرفة إلخ. تلك

أمر لا يمكن أن يقوم النحو إلا بها ولا يفهم الطرد إلا بعد معرفتها. فكان الوصول إلى هذا التفسير من خلال التجريد وهو إنشاء مفاهيم ليس لها وجود خارجي محسوس ولكنها تؤدي غرضاً لا يتحقق إلا بواسطتها، ومن قبيل التجريد في زماننا أسماء النظريات العلمية والتجمعات الدولية والعرقية إلخ وقد عوّدنا النقاد على قولهم: جرّد الشاعر من نفسه شخصاً وخاطبة.

من الأمور التي جردها النحاة: أصل الوضع وأصل الاشتقاق وأصل القياس وربطوا هذه الأصول الثلاثة بمبدأ عام يسمى "طلب الخفة" أو كما يسميه اللغويون المحدثون: "الاقتصاد في الجهد" "Economy of effort". ولقد نعلم في ضوء مفهوم أصل الوضع أن المثال الذي ذكرناه عند إيراد عبارة: "تبلون" له أصل وضع لا ينطق بسبب ثقله في النطق وذلك هو: "تَبْلُونَنَّ" ولا غرو أن يكون الثقل هنا داعياً إلى طلب الخفة للعدول عن الأصل غير المنطوق إلى الفرع المستعمل، وسنرى أن أسباب الثقل هي:

- ١ - توالى ثلاث نونات في آخر أصل الوضع مع أن اللغة العربية تكره توالى الأمثال.
- ٢ - النقاء الساكنين عند حذف نون الرفع.

ومن هنا كان العدول عن الأصل إلى الفرع في خطوتين:

الأولى: لما اجتمعت النونات الثالث كان لابد من حذف إحداها لطلب الخفة ولما كانت النون المشددة للتوكيد قد جاءت لأداء معنى التوكيد وكان "حذف ما لا معنى له أولى" حذفت نون الرفع المفتوحة وهى أولى النونات الثلاث عندئذ التقى ساكنان أولهما واو الفعل والثانى أول عنصرى النون المشددة للتوكيد.

الثانية: حذفت الواو لوجود الضمة قبلها لتكون دليلاً عليها لأنه "لا حذف إلا بدليل". عندئذ تحول أصل الوضع إلى "تبلون" وهكذا أعاننا أصل الوضع على طرد قاعدة للعدول إلى الفرع المستعمل.

وليس أصل الاشتقاق أقل فائدة من أصل الوضع. وهو كأصل الوضع وثيق الصلة بمبدأ طلب الخفة لأنه يعيننا على تحديد ما لم يظهر من فاء الكلمة أو عينها أو لامها بسبب الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب أو الحذف. فلو نظرنا إلى فعل الأمر من "وعى" و"وقى" لوجدناه على صورة "ع" و"ق" فإذا أردنا معرفة ما حذف من الحروف الثلاثة وما بقى منها لم نجد ما نستعين به إلا أصل الاشتقاق. وسنجد أن طريقة الوصول إلى هذا الأصل هي أن ننظر في مفردات المادة وما يصيبها من تغير صورها عند الإسناد إلى الضمائر أو عند التثنية والجمع والتصغير وغير ذلك وستجد أن المصدر من "ع" هو "الوعى" فنعلم أن فاء الكلمة واو ولاهما ياء. وستجد المصدر من "ق" هو "الوقاية" فنعلم أيضًا أن الفاء واو واللام ياء وكذلك نصل إلى هذا بواسطة "وعيت" و"وقيت".

ويختلف الأمر بالنسبة لأصل القياس لأن القياس لا يكون إلا على المستعمل من الكلام فمن أراد القياس على الماضى من فعل "القول" لم يقس على "قَوْل" وإنما يقيس على "قال" ومعنى هذا أن الصورة المستعملة من الكلمة لها وجود خارجى بخلاف الصورة المجردة. أى أن المجرد ليس هو اللفظ المقيس عليه وإنما هو مفهوم أصل القياس.

بهذا علمنا أن ثوابت النحو العربى ثلاثة وأن الطرد يقوم من الثابتين الآخرين مقام الأصل مما يجعل العدول عن الطرد بسبب أحدهما هو انتقال من طرد إلى طرد كما سنرى بعد قليل. فمن المعروف أن اللغة وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع كما سبق أن ذكرنا وأن غاية الاتصال هي الإبلاغ عن خبر ما أو شرط أو طلب أو إفصاح عن إحساس بعينه يحس به المتكلم. وإذا صرفنا النظر عن المواقف التى يحاول المتكلم فيها أن يخفى مقاصده علمنا أن الوضوح وأمن اللبس هو الغاية التى من أجلها كانت قرائن المعنى النحوى. فإذا قلنا: "ذهب محمد لحال سيبه" عرف السامع أن محمدًا فاعل بواسطة القرائن التالية:

١- أنه اسم وهذا من قبيل قرينة البنية.

٢- أنه مرفوع وذلك من قرينة الإعراب.

٣- تقدمه فعل وذلك قرينة الرتبة.

٤- وهذا الفعل مبنى للمعلوم والقرينة هي البنية مرة أخرى.

٥- أن محمدًا هو الذى فَعَلَ الذهاب أى أنه أوجد الحدث وهذا هو الإسناد ثم عرفنا أن عبارة: "لحال سبيله" اشتملت على عنصرين مفتقرين إلى ما يصاحبهما فى سياق الكلام أحدهما وهو لام الجر بحسب الأصل لأن اللام لا يكون يغير اسم مجرور يليه وأما الثانى وهو لفظ "حال" فقد جاء افتقاره لا لذاته وإنما لأنه وقع موقع المضاف فكان افتقاره غير متأصل بخلاف افتقار اللام. هذا الافتقار وذاك يعد واحدًا من مظاهر قرينة من قرائن النحو تسمى "التضام". ثم عرفنا بعد ذلك أن الجار والمجرور لا يستقلان بالإفادة وإنما يلزم ارتباطهما بعنصر يدل على الحدث كالفعل أو الوصف أو المصدر وتلك هي قرينة "الربط" وهى أيضًا القرينة الدالة على أن الهاء فى لفظ "سبيله" تعود إلى محمد. وبمثل هذه القرائن يؤمن اللبس فى الكلام.

من هنا كان العدول عن الطرد المطلق عند أمن اللبس عد ولا عن طرد مطلق إلى طرد مشروط إذ تنشأ به قاعدة فرعية لا مبرر لها إلا أمن اللبس. هذه القاعدة الفرعية المشروطة بأمن اللبس تقف جنبًا إلى جنب مع القاعدة الأصلية فى مجال الطرد، لتكون شاهداً على أن أمن اللبس أيضًا من ثوابت النحو وأنه لهذا السبب يعد مصدرًا من مصادر التقعيد النحوى وإن كانت القواعد التى تنشأ معه قواعد مشروطة به مبنية عليه.

انظر إلى أبيات ابن مالك فى الألفية وما تشتمل عليه من شرط أمن اللبس الذى تنشأ بسببه قاعدة فرعية مطردة:

- ١- ولا يكون اسم زمان خبراً
- ٢- ولا يجوز الابتداء بالنكرة
- ٣- والأصل في الأخبار أن تؤخرا
- ٤- وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر
- ٥- والحذف في نعم الفتاة استحسنوا
- ٦- وما بإلا أو بإنما انحصر
- ٧- في باب ظن وأرى المنع اشتهر
- ٨- وحذف مامنه تعجبت استبح
- ٩- وإن يقدم مسَّعربه كفى
- ١٠- وربما أسقطت الهمزة إن
- عن جثة وإن يفد فأخبرا
- ما لم تفد كمند زيد نمرة
- وجوزوا التقديم إذ لا ضرراً
- إذا المراد مع سقوط ظهر
- لأن قصد الجنس فيه بيّن
- آخر وقد يسبق إن قصد ظهر
- ولا أرى منعاً إذا قصد ظهر
- إن كان بعد الحذف معناه يضح
- كالعلم نعم المقتنى والمقتضى
- كان خفاً المعنى بحذفها أمين

وإذا كان أمن اللبس سبباً في نشوء قواعد فرعية تدور حول المعنى النحوى فإن الثابت الثالث من ثوابت النحو هو طلب الخفة الذى يدعو إلى إنشاء قواعد مطردة يعدل بحسبها عن أصل الوضع إلى قواعد تصريفية مطردة. وهذا الذى عرفه النحاة باسم "طلب الخفة" هو ملخص الذوق العربى فيما يتصل بتوالى الأصوات فى النطق. فلقد وجد النحاة من خلال الاستقراء أن الذوق العربى يكره توالى المثلين والمتقاربين مخرجاً أو صفة كما يكره توالى الأضداد ولكنه يرحب بتوالى الصوتين المختلفين مخرجاً وصفة. ومن قبيل ما ساقه اللغويون فى وصف هذا الذوق ما جاء به السيوطى فى كتابه المزهر (ص ١١٩) من وصفه لرتب الفصاحة إذ جعل المخارج أنواعاً ثلاثة هى الأقصى والأوسط والأدنى ثم رصد احتمالات توالىها فى الكلام حتى جعل أفصح الألفاظ ما توالى فيه الأعلى فالأوسط فالأدنى نحو "عدم".

أما عند النحاة فالأمر أكثر تفصيلاً من هذا لأنهم بتجريدهم لأصل الوضع

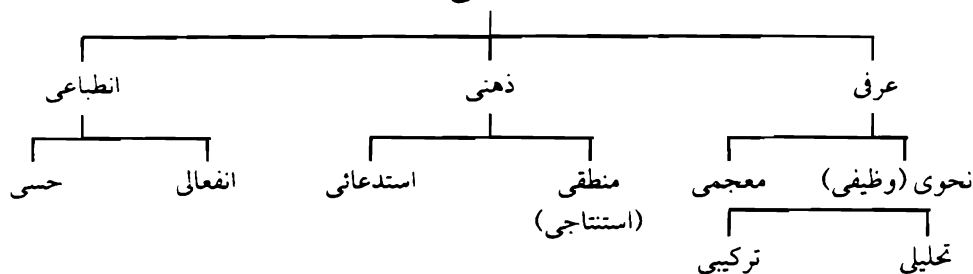
استطاعوا أن يرصدوا الطرق المؤدية إلى الخروج من دائرة الثقل وأن يكشفوا عن وسائل اللغة العربية للعدول عن هذا الأصل والوصول بطلب الخفة إلى غايته المقصودة. وهكذا كشفوا عن وسائل منها الإدغام والإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف إلخ. فأدغموا المثليين والمتقاربين لكراهية تواليهما ومنعوا توالى الصّدين (كالصاد والجيم) وأعلّوا الواو والياء في مواضع معينة وأبدلوا حرفاً من حرف (كإبدال تاء الافتعال طاء بعد حروف التفعيم) ونقلوا أحد أصول اللفظ من موقعه إلى موقع آخر كما في "جاه" وقلبوا حرفاً إلى حرف كما في "كساء" و"بناء" وحذفوا حرفاً ما لثقل النطق به كما سبق أن ذكرنا في شأن الواو من لفظ "تبلون". وأخضعوا كل ذلك لقواعد تصريفية معينة شرطها طلب الخفة كما كان أمن اللبس شرط القواعد الفرعية التي سبق ذكرها. ومن هذه القواعد التصريفية مثلاً:

- ١- إذا تحركت الواو أو الياء وفتح ما قبلها قلبتا ألفاً نحو قال وباع.
- ٢- إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء نحو سيّد وميّت.
- ٣- إذا وقعت الواو أو الياء طرفاً إثر ألف زائدة قلبتا همزة نحو كساء وبناء إلخ.

ومما رأوه مكروهًا في ذوق العربية كراهية توالى المتحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فالفعل صَرَبَ مبنى على الفتح وتاء الفاعل مبنية على الضم وقبلها ضاد وراء مفتوحتان فلو بقى كل شيء على حاله لكان الفعل المسند إلى التاء على صورة: صَرَبْتُ بتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة. ومعنى كل هذا أن طلب الخفة ينطبق على مجال المبنى كما انطبق أمن اللبس على مجال المعنى.

هذا الذي سبق هو ملخص التععيد في نظام اللغة العربية وإنما لخصنا القول فيه لاتصاله بنوع من المعنى يسمى: "المعنى الوظيفي" فالمعنى النحوي وظيفه الكلمة في السياق وفيما يلي بيان لأنواع المعاني:

المعنى



والنوع الآخر من أنواع المعنى العرفى هو المعنى المعجمى والفرق بين النوعين ما يلى:

١- المعنى الوظيفى مدلوله مفهوم عام مجرد كالنفى والاستفهام والفاعلية والتمييز والتوكيد إلخ أما المعنى المعجمى فمدلوله قد يكون مجرداً أو مادياً محسوساً نحو كتاب وشجرة وشجاعة.

٢- المعنى الوظيفى ينتمى إلى النحو والمعنى المعجمى ينتمى إلى فقه اللغة (لاحظ الفرق بين معنى اللبيب والقاموس المحيط).

٣- معنى الحروف والأدوات والتراكيب وظيفى ومعنى المفردات معجمى.

والمقصود بالمعنى التركيبى معنى نوع الجملة كالخبرية والشرطية والإنشائية والطلبية وكذلك أنواع المركبات كالمركب الإضافى والإسنادى والوصفى والعددى إلخ وواضح أن هذا المعنى التركيبى هو وظيفة نحوية شأنه شأن معانى الحروف والأدوات والضمائر إلخ.

والمعنى العرفى بأنواعه الثلاثة يخضع لنوعين من أنواع التحول هما:

١- تعدد المعنى للعنصر العرفى الواحد (وظيفياً كان أم معجمياً أم تركيبياً).

٢- معاقبة العنصر للعنصر الآخر فى موقعه مع أدائه لوظيفة العنصر المتروك.

دعنا أولاً نشرح المقصود بتعدد المعنى للعنصر الواحد ثم نتكلم بعد ذلك فى

مبدأ المعاقبة أو "النقل" كما يسمونها في العرفين النحوى والبلاغى. والعنصران معًا من مظاهر الاقتصاد فى اللغة كما سنرى بعد قليل.

نحن نعلم أن الكلم أنواع وأن أول ما سمعنا عنه من خبر نشأة النحو العربى ما نسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه من قوله لأبى الأسود: "الكلم اسم وفعل وحرف" ومع أن هذا التقسيم تعرض للنقد فى أزمنة مختلفة نجده ما زال صامدًا للنقد حتى الآن. والفرق بين تعدد المعنى وبين النقل أن تعدد المعنى يعرض للعنصر الواحد وهو ما زال بين أفراد نوعه أما إذا نسب إليه معنى قسم آخر من أقسام الكلم فإنه يقال عندئذ إنه "نقل" إلى وظيفة قسم آخر. ويتعدد المعنى للعنصر الواحد ويتسم بالاحتمال ما دام العنصر مطردًا فإذا وضع العنصر فى السياق قامت القرائن بدورها فى تحديد أحد معانيه. وستضرب أمثلة لذلك بالحروف والأدوات والمفردات المعجمية أما الجمل والتراكيب فإن انتهاءها إلى الطابع السياقى يمنعها من تعدد المعنى انظر مثلاً "ما" وسترى أنها صالحة للمعانى التالية المحتملة فى حال الأفراد.

النفى: فإذا وضعت فى سياق الجملة زال الاحتمال وتعين المعنى نحو: ما محمد إلا شاعر.

الاستفهام: ويتعين لها بواسطة السياق نحو: ماذا فعل محمد، ما هذا الذى فى يدك؟

التعجب: ويحدده السياق نحو: ما أحسن هذا المنظر.

المصدرية: ويحددها السياق نحو: ودوا ما عنتم.

والظرفية: نحو لن أزورك مابقى فلان عندك.

الشرط: نحو: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾.

وتكون كافة: نحو: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

وزائدة نحو: ﴿فَلَمَّا نَذَهَبْنَ بِكَ فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾.

فهذه الوظائف (أو المعانى الوظيفية) تؤديها "ما" عند وضعها فى السياق وتحتملها عند الأفراد. أما تعدد المعنى المعجمى بالنسبة لمفردات المعجم فمثاله ما يلى من تعدد معانى الفعل "ضرب".

١- أوقع الضرب نحو ضرب الأب ابنه.

٢- ذكر نحو ضرب الله مثلاً.

٣- حدّد نحو ضرب له موعداً.

٤- أقام نحو ضرب له قبة.

٥- حسب نحو ضرب ٥ × ٦.

٦- دقّ نحو ضرب الجرس.

٧- ارتبك نحو ضرب أخماساً فى أسداس.

٨- سعى نحو ضرب فى الأرض.

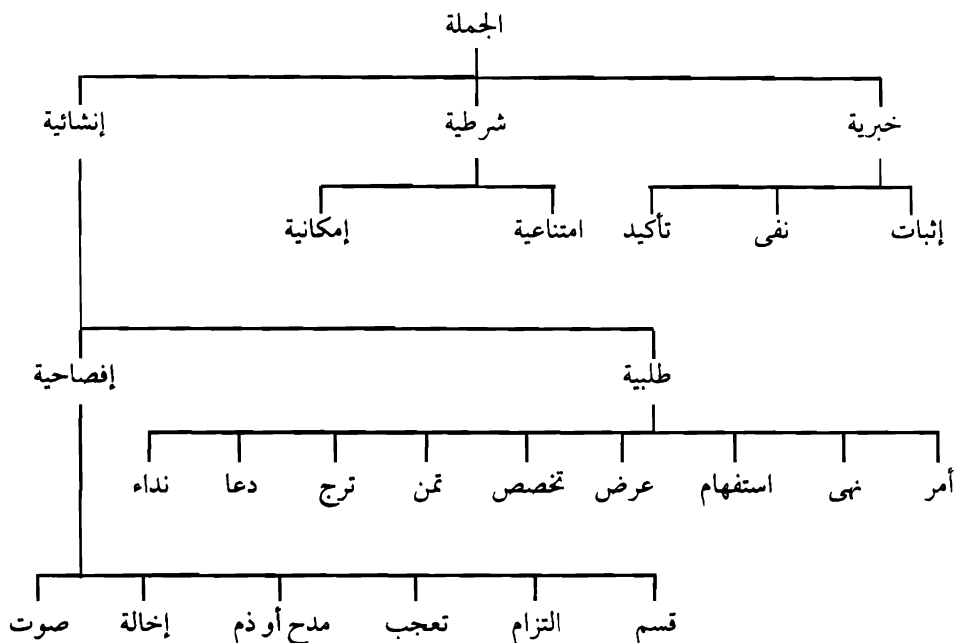
٩- فرض نحو ضرب عليه ضريبة.

أما الجملة (وهى سياق) فإن معناها لا يتعدد بسبب اشتهاها على قرائن تحدد المعنى ولكننا سنرى بعد قليل أنها صالحة للنقل وهو نوع من العدول عن أصل استعمالها إلى أن توضع موضع عنصر آخر فتؤدى وظيفته فى السياق.

وأول ما نلاحظه من صور النقل أن الأصل فى "ما" مثلاً هو الموصولية ولكننا فيها أوردناه لها من المعانى منذ قليل وجدناها تعمل عمل الحروف والأدوات ففهمنا من ذلك أنها نقلت من الموصولية إلى الحرفية فى كل ما أوردناه لها من المعانى منذ قليل. ذلك بأن القسم الذى ينتمى إليه الموصول من أقسام الكلم غير القسم الذى تنتمى إليه الحروف فالنحاة عدّوا الموصولة من الأسماء وعدّوا غيرها من الحروف والأدوات.

والنوع الآخر من النقل هو النقل المعجمي وهو لا يهم النحاة بقدر ما يهم البلاغيين ذلك أن نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر ليس له بحسب الأصل مع وجود علاقة بين المعنيين وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وذلك هو الذي يسمى "المجاز". والمعروف أن المجاز ينتمي إلى الأسلوب لا إلى العرف ومن هنا كان فرديًا مستقل بطرقه المتبعة في أدائه والتي لا توصف بأنها قواعد ولا تنسب إلى الاطراد على نحو ما تنسب القواعد.

نصل الآن إلى نقل صورة الجملة من معناها إلى معنى آخر. نحن نعلم أن صورة الجملة في العربية تقع في أحد احتمالين: اسمية وفعلية وأن لكل منهما تضامه ورتبته وصورة ربطه. ونعلم أن أساليب الجمل في العربية هي كما يلي:



فلو نظرنا إلى تركيب جملة مكونة من مبتدأ وخبر لنسبناه أولاً إلى الجملة الخبرية ولكننا في الاستعمال اللغوي نجده يستعمل للأمر نحو: "والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء" والدعاء نحو: "أولئك عليهم لعنة الله" وكذلك

نحو: "رعاك الله" كما يستعمل للدلالة على الشرط كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وكذلك يستعمل للعرض نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفِقُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ والالتزام كقول الزوج عند العقد "قبلت" وكقول الولي: "زوجتكها" وكقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ويستعمل للتعجب كما في "إن هذا الشيء عجاب".

أما النمط الخبرى المنفى فينقل إلى الدعاء نحو ﴿فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ﴾ والنهى نحو ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ كما يمكن خروج النمط الشرطى إلى التعجب نحو ﴿وَأِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾. والتمنى نحو: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ والتسوية نحو: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. ويستعمل النداء في التعجب نحو: ﴿يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾. والندبة نحو: ﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾. والاختصاص نحو: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿١٠٠﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾. والتمنى نحو: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِيَ قُرُونٌ﴾. وينقل الأمر إلى معنى الشرط نحو: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وإلى النهى نحو: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾. وإلى العرض نحو: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾. والتحدى نحو: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وينقل النهى إلى الدعاء نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا﴾. الأمر نحو: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. أى تمسكوا بالإسلام حتى الموت كما ينقل النهى أيضًا إلى الشرط نحو: ﴿وَلَا تَرْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. وينقل الاستفهام إلى الإنكار نحو: ﴿هَلْ أَمَنَّكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾. وإلى التقرير نحو: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾. وإلى النهى نحو: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ﴾. وإلى الأمر نحو: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعُلَمَاءِ﴾. بهذا يتبين أن تعدد المعنى والنقل ظاهران من ظواهر الاقتصاد اللغوى تعينان على

الوصول بالقليل من الوسائل إلى الكثير من الغابات. بهذا ينتهى الكلام فى المعنى العرفى.

٢- المعنى الذهنى:

إذا قلت وأنت طالب فى كلية الحقوق مثلاً: "أنا ذاهب إلى الكلية" علم السامعون من أفراد أسرتك أنك ذاهب إلى كلية الحقوق وذلك بحكم العهد الذهنى المشترك بينك وبينهم. وإذا قلت: رأيت اليوم فلانا فى المسجد فى صلاة الجمعة لزم عن ذلك أن فلاناً قدم من السفر بعد أن كان غائباً. وإذا قال لك أحد الجبناء إنك شديد الحرص على المال فقلت له: ولكننى لست جباناً فسيعلم من كلامك أنك تعيره بالجبن بحكم مفهوم المخالفة.

فالعهد الذهنى واللزوم والعكس ونحوها مفاهيم ذهنية غير عرفية فهى تومىء إلى المعنى وتلقى على الذهن عبء الوصول إليه بجهد منطقى غير صورى. فالمنطق إما أن يكون صورياً يفرض على مقدماته أن توضع فى صور خاصة تصلح معها للوصول إلى نتائج وإما أن يكون غير صورى كالأمثلة التى قدمناها منذ قليل. وإذا أردنا أن نشرح فكرة الصورية فإن أقرب شىء إليها صورية الحساب الذى يفرض على الآحاد أن تكون تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وهكذا ويسمح بأن يشطب من البسط والمقام كميات متساوية.

فالمنطق الصورى يقع فى ترتيب قريب الشبه بذلك كما يبدو فى الصورة التالية:

الإنسان	حيوان ناطق
محمد	إنسان
محمد	حيوان ناطق

انظر كيف حكمت الصورة بشطب الإنسان فى مقابل إنسان فبقى بعد الشطب ما صلح أن يكون نتيجة القياس وهى: محمد حيوان ناطق. هذا الترتيب

الصورى لا يصلح للاتصال اللغوى وإنما يصلح فيما يرى المنطقة لنقد صحة ما يقال.

أما فى التعبير اللغوى الحر البرىء من الصورية فأقرب شىء إلى ذلك ما نعرفه فى النحو باسم: " الشرط الامتناعى " كما فى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فهذه العبارة يمكن أن يبنى منها قياس شرطى يقول:

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

ولكنهما لم تفسدا

إذا ليس فيهما آلهة إلا الله

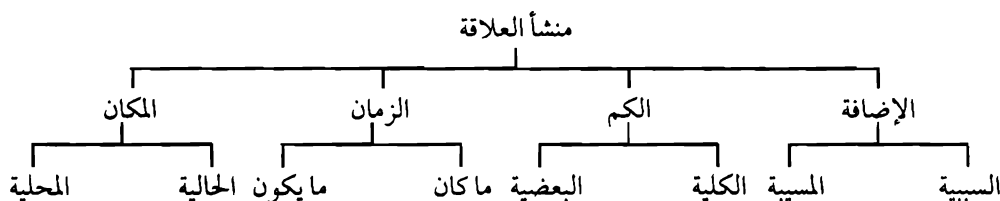
جملة القول أن المعنى الذهنى فى الاستعمال اللغوى ليس نتيجة قياس صورى منطقى وإنما هو نتيجة علاقات ذهنية متنوعة تربط المدركات بما يترتب عليها أو بما تستدعيه إلى الذهن.

تصور أن الشرطة علمت بوجود قتيل فى مكان ما فخفّ رجال المباحث الجنائية إلى المكان للكشف عن ظروف وقوع الجريمة ومحاولة معرفة الفاعل. إن أول ما يحرص عليه رجال المباحث فى هذه الحالة أن يحافظوا على إبقاء كل شىء على حالة لعلهم يجدون فيه قرينة ذهنية تدل على بعض حقائق الموقف حتى لو كان هذا الشىء خصلة شعر أو أحد أزرار قميص أو شيئاً لا قيمة له ملقى على الأرض أو نافذة مفتوحة إلخ. فإذا وجدوا شيئاً من ذلك فإما أن يكون وجوده فى رأيهم عرضاً وإما أن يجدوا له دلالة ذهنية على أمر ما ولا يزالون يجمعون الدلالات الذهنية حتى يصلوا بها إلى وصف متكامل لما كانت عليه الظروف عند وقوع الجريمة وعندها يسهل مع التحرى أن يعرفوا شخص القاتل. هذه صورة من صور المعنى الذهنى.

ومن المعانى الذهنية أيضاً ما حدده البلاغيون من علاقات الكناية والمجاز

المرسل فأما الكناية فقد جعلوا علاقتها "اللزوم" فإذا قلت: فلان طويل النجاد" فإن طول النجاد يلزم عنه طول القامة وإلا اضطر فلان هذا أن يجزّ سيقه وراءه فلا تكون العبارة مدحًا وإنما تنقلب إلى سخرية.

وأما علاقات المجاز المرسل فإنها تعود إلى أربع من المقولات العشر هي الإضافة والكم والزمان والمكان وذلك على النحو التالى:



وقد تكون العلاقة الذهنية استدعائية تفرض على المعنى ظلا من ظلاله لم يكن له من قبل فيقال عندئذ إن العبارة أشربت معنى كذا أى أن اللفظ المفرد فى النص قد يتجاوز معناه الذى رصده المعجم له ليصبح له معنى آخر منحه إياه سياق الموقف فالمعروف أن كلمة الوطن مثلا معناها الرقعة التى ولد فيها المرء ونشأ فيها ولو أن قائلاً قال: "وطنى مصر" ما أحس السامع لقوله أكثر من نسبة هذا المتكلم إلى مصر فهذا فى قوّة قوله: "أنا من مصر". ولكن نص بيت شوقى الذى يقول:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

بما فيه من مقارنة بين "الوطن" و"الخلد" أعطى الوطن ظلا من المعنى لم يكن له وهو فى صفحات المعجم وإنما جاءه عن طريق الاستدعاء. ومن المعانى الاستدعائية أيضًا المعنى الانعكاسى الذى ينعكس سلبًا على لفظ ما فيصير اللفظ غير مستحب فمن المعروف مثلاً أن لفظ "البيت" لا يسبب حرجاً فلكل منا بيته الذى يألفه ويحبه وقد يردد كل منا بيتاً من الشعر ويتوق إلى زيارة البيت الحرام وأن "الأدب" من أرقى أنواع التعبير اللغوى وأن الإنسان لو نسب إلى "قلة الأدب" لغضب غضباً شديداً ولكننا مع هذا لو ضمنا أحد اللفظين إلى الآخر فقلنا "بيت الأدب"

لأصاب العبارة معنى انعكاسي فجعلها غير مستحبة لأن معناها عندئذ هو مكان قضاء الحاجة. ومن المعاني الانعكاسية أيضًا المعنى "البؤرى" الذى يضع اللفظ في بؤرة الانتباه وهذا شبيه بما يسميه البلاغيون "الاهتمام" الداعى عندهم إلى تقديم اللفظ. انظر مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿أَبْهَكَ إِلَهَةُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وسترى أن أصل الرتبة: "أتريدون آلهة دون الله إفاكا" وهذا استفهام إنكارى في حالتى التقديم وعدمه غير أن التقديم أعطى لفظى "إفاكا" و"آلهة" ظلاً من المعنى وضعهما في بؤرة الاهتمام. وقد يأتى هذا الظل من ظلال المعنى بواسطة أخرى كالتكرار الذى في الحديث الذى نصه: "من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: "أمك" قال ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من. قال: "أمك". فأعطى للأم معنى وضعها في بؤرة الاهتمام.

المعنى الاستدعائى:

يتحقق هذا المعنى في ظل إدراك حسى أو إشارة إلى أمر غير مذكور فإذا كان الأمر كذلك كان الوصول إلى المعنى بواسطة استدعائه إلى الذهن دون بناء المقصود على نص صريح سابق، وذلك كما نرى في الشواهد الآتية:

١ - السؤال الوارد: قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

هنا يرد على ذهن السامع أن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه المشرك: "سأستغفر لك ربى" ثم روى القرآن الكريم استغفاره بقوله: ﴿وَاعْفِرْ لَأَبِي﴾ [الشعراء: ٨٦] فعلم السامع بناء على السؤال الوارد أن موقف إبراهيم كان بسبب وعد قطعه على نفسه وأنه لم يصرَّ على هذا الاستغفار.

٢ - دلالة الحذف: قال لوط لقومه وقد جاءوا يلتمسون الفسق بضيوفه: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ولم يبح بالمقصود الذى فهمه من خطابهم.

٣- اشرب الكلام معنى ملحوظاً: قال تعالى في شأن عثمان بن عفان وقد تبرع بهاله في سبيل الغزوة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢] وقال يدعو المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فاتصال الفاء بالخبر في الآية الأخيرة أشرب الكلام معنى الشرط، أى من أنفق فله أجره.

٤- مفهوم المخالفة: قال قوم صالح لصالح: ﴿يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢] ففهم صالح أنه لم يعد موضع رجاء في الوقت الحاضر.

٥- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٦- قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] ولما كان اليوم يوم حساب يود السامع أن يعرف لماذا تأجل العقاب قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

٧- تحويل معنى الأداة إلى معنى آخر كما في تحويل معنى «لو» إلى النفى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾. فالمعنى المراد هو «ما كان لقرآن أن تسير به الجبال أو نقطع به مسافات الأرض أو يكلم به الموتى». ثم إنه لم يعد جواب «لو» مطلوب بعد التحويل إلى النفى وإنما جاء ما يناسب النفى بقوله تعالى: ﴿بَلِّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾.

درجات سلم البحث فى نظام اللغة

للبحث فى نظام اللغة درجات منتظمة فى رتبة محفوظة لا يمكن تجاهلها، لأن كل درجة منها تبدأ من حيث انتهت سابقتها. غير أن أولى هذه الدرجات (وهى درس الأصوات اللغوية) لا يسبقها إلا إدراك المسموع من الكلام بلغة ما قد يجهلها السامع الذى يريد القيام بمشروع الدرس. فنحن ندرك بالسمع ما لا نعرف معناه من الأصوات فلا ندري ما يقصده المتكلم بما يقول. وعندما نفهم ما يقال بأى لغة لا يتعلق الفهم بمفردات الأصوات وإنما يتعلق بالجمل ذوات المعانى. ومع ذلك لا نصل إلى هذا الفهم إلا من خلال ما تحمله من دلالات دراسة أنظمة هذه الأصوات بواسطة منهج يتناول ما نسمع بواسطة نظام الأصوات لا من خلال مفردات الأصوات. إن أول خطوة لدراسة نظام لغة ما هى تناول أصوات هذه اللغة بالدرس، ويتطلب ذلك ثلاث وسائل لدراسة أصوات اللغة:

١- الجهاز النطقى، وهو دراسة عضوية تتناول أعضاء النطق للكشف عن المخارج والصفات وحركات هذا الجهاز.

٢- الجهاز الصوتى بدراسة صوتية تتناول موجات الأصوات التى تنتقل بين المتكلم والسامع تناولاً تركيبياً. ولكن هناك إجراءات صوتية أخرى تستعمل لأغراض تركيبية، منها مثلاً درجة الصوت والجهر والهمس والخفة والثقيل والإدغام والإعلال وفروعه والمد والقلقلة.... إلخ.

٣- الجهاز السمعى، بدراسة سمعية تتناول مقدار استعداد الأذن للسمع.

٤ - ولقد وصفت هذه العمليات الثلاث المكونة لمفهوم phonetics بأنها أجهزة لأنها مجموعة أدوات وعمليات تنتهى إلى وسيلة للتفكير فى نظام الصوتيات phonology.

فدراسة الأصوات بوسائلها الثلاث مسخرة فى طلب الوصول إلى تيسير دراسة لنظام الصوتيات ومع كونها تمهيداً لا بد منه لإنشاء نظام للصوتيات لا يمكن احتسابها واحداً من أنظمة اللغة ومن الواضح فى الدرس اللغوى أن أكثر الأنواع السابقة أهمية هو النوع الأول (الدراسة العضوية)، يليها النوع الثانى وأقلها وضوحاً وتطوراً هو النوع الثالث. وقد تمكن الدارسون باستعمال النوعين الأولين من أن يضعوا أصوات اللغة المدروسة فى صورة جدول يوضح مخارج الأصوات وصفاتها ثم يتبينوا من هذا الجدول ومن سماع اللغة وهى فى حالة نطق أن الأصوات المتقاربة المخارج أو الصفات قد تتجاور فى الكلام فيؤدى تجاورها إلى تجاور أصول المخرج أو الصفة. فتتحول صورة الصوت عن أصلها إلى فرع أو أكثر، وبذلك اصطلاحوا للدلالة على الأصل لفظ phoneme وللفرع (أو الفروع) لفظ allophone. مثال ذلك فى اللغة العربية ما يلى:

مثال الأصل النون فى أنا

ولعل أوضح ما يمثلها فى نظام اللغة العربية وحدات النظام الإملائى التى يرمز لها برموز وحدات هذا النظام الإملائى.

مثال الفرع (أو الفروع)	النون فى	ينفع
	النون فى	ينبغى
	النون فى	من سعى
	النون فى	من رأى
	النون فى	ينجح

النون في ينظر

النون في ينكر

النون في ينقل

هذه هي الخطوة الأولى في علم الصوتيات (أى في دراسة نظام من أنظمة اللغة). ويتبين منها أن مخرج الصوت أو صفته عرضة للتأثر بتقلبات الكلام. وأن هذه التقلبات تحكمها مجموعة من العلاقات التى تبدو فى صورة نظام يسمى النظام الصوتى ويدرسه علم يسمى "علم الصوتيات" يسميه قراء القرآن "علم التجويد" ويدرس النحاة بواسطته ما يسمونه: "طلب الخفة".

إن مبدأ طلب الخفة ليس بعيداً عما ذكرناه منذ قليل عن فكرة الفونيم وما يتفرع منه من الألفوفونات، فلا شك فى أن تحول "ينبغى" إلى "يمبغى" (حيث تنقلب النون إلى ميم تمهيداً لما يليها من نطق الباء) وما يرد بعد ذلك من أمثلة الألفوفونات الأخرى إنما كان لطلب الخفة فى النطق. ولكن مصطلحات طلب الخفة لدى النحاة تختلف عن مصطلح الفونيم والألفوفون، فالفونيم عند النحاة يسمى "الأصل" وأما الألفوفونات فيقابلها عند النحاة عدد من المصطلحات منها: الإدغام والإعلال والإبدال والقلب والنقل والحذف إلخ، مما يخصص كل ألفوفون بما يشير إلى وسيلة إجرائه وما إذا كانت هذه الوسيلة مخرجاً معيناً أو صفة ما. مثال ذلك أن ما حدث فى "يمبغى" إنما هو القلب لأن النون فى الأصل قلبت ميماً.

هذه الإجراءات التى ترمى إلى طلب الخفة جزء من نظام اللغة، وإن كان الغرض منها أسلوبياً لا تركيبياً، ولذلك تعلق طلب الخفة بالزوائد واللواحق ولم يتعلق بحروف المعانى التى تستقل بالدلالة على معان مستقلة. وبيان الأنواع الثلاثة كما يلى:

* الزوائد، ومعظمها يصحب أصول الاشتقاق في المشتقات كآلف فاعل وواو مفعول أى أن لها قيمة صرفية ولكنها لا تستقل بمعنى ما.

* واللواصق أجزاء من مبان صرفية أو نحوية ولها معان تنسب إليها كالثنية والجمع والمضارعة والمطاوعة إلخ. ولكنها تظل (أى اللواصق) جزءًا من لفظ مفرد.

* حروف المعانى. وهى من أقسام الكلم فتستقل بمعنى وظيفى وتعد من الأدوات ووسائل الربط بين أجزاء النص.

وهناك أمر فى غاية الأهمية لابد من الإشارة إليه عند هذا الحد وذلك أننا لو نسبنا المعنى الذى ترتب على إلحاق أحد النوعين الأولين من الحروف (الزوائد واللواصق) إلى ما ألحق بالصيغة فسوف يكون ذلك من قبيل التوسع، وإنما ينبغى أن ينسب المعنى هنا إلى صيغة الكلمة المفردة كلها وفيها الزائد واللاصق.

* * *

وكما انتفعت الصوتيات بتركة الأصوات انتفع الصرف بتركة الصوتيات فى مجال المبانى الأولى لعلم الصرف وهى الصيغ وتغيراتها، وأن وسائل التغيرات المذكورة إنما هى الزوائد واللواصق. أما القسم الثالث من الحروف (وهو حروف المعانى) فهو من أقسام الكلم، أى أن له وجودًا أفراديا بوصفه جزءًا لا يتجزأ من أقسام الكلم، وسوف يتضح لنا ذلك عند تناول نظام النحو. والوظيفة الكبرى لعلم الصرف هى "التصريف"، وهو مجموعة من الإجراءات يكشف بواسطتها عن مجموع التحولات التى تتم للانتقال من الأصل إلى الفرع.

ولعل من أهم ما يلفت الانتباه فى نظام الصرف هو أقسام الكلم، وهى أهم ما يقدمه الصرف إلى النحو، ويقدم النظام الصرفى عددًا من الرؤى والدراسات التى يستخرجها لإيضاح التقلبات التى تخضع لها هذه الأقسام من حيث أصل الوضع ومن حيث أصل الاشتقاق ومن حيث معانى الصيغ المجردة. ومعظم الوسائل المستعملة

فى كل ذلك مأخوذ مما قدمه نظام الصوتيات لنظام الصرف. فأما من حيث أصل الوضع فإما أن يستصحب الأصل (أى يبقى على حاله) وإما أن يعدل به عن صورته بأحد الإجراءات المأخوذة عن الصوتيات (أى الإدغام والإعلال إلخ)، فإذا كان معدولاً به رد إلى أصله بقاعدة من قواعد الرد. مثال ذلك أن لفظ الفعل "ضرب" مستصحب فلا يحتاج إلى تدخل فى شأنه، أما الفعل "قال" فإن أصل وضعه "قول" بفتحات ثلاث. فقاعدة الرد تقول: (تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، والقلب (كما رأينا من قبل) عضو فى أسرة طلب الخفة (الإدغام والإعلال إلخ).

ويمكن الوصول إلى معرفة ما إذا كان الأصل مستصحباً أو معدولاً به عن طريق أصل الاشتقاق. فالمعروف أن الاشتقاق يعترف بأصول ثلاثة للفظ هى فاء الكلمة وعينها ولامها، وأن هذه الأصول تظهر فى مشتقات كل مادة اشتقاق. فإذا أردنا أن نعرف ما إذا كان أحد أصول الكلمة الثلاثة قد عدل به عن أصله، وما الصوت الذى عدل به إليه كان علينا أن نستعرض مشتقات المادة لنجد الأصل الذى أخفاه العدول. فمثلاً بالنسبة للفعل "قال" يمكن أن نجد الدليل على الأصل المنقلب ألفاً عندما يظهر لنا فى بعض مشتقات المادة مثل قول وأقوال وقوال إلخ. عندئذ نقول: "تحركت الواو" فى "قول" وانفتح ما قبلها فقلبت الواو ألفاً فصار اللفظ "قال".

نصل الآن إلى المعانى الصرفية وطبيعتها. المعروف أن للمعنى أقساماً يختلف كل منها عن غيره فى الفهم على النحو التالى:

* المعنى الوظيفى.

* المعنى المعجمى.

* المعنى الدلالى.

فالمعنى الوظيفى يمتد من مقاصد حروف الزيادة التى تلتحق بأقسام الكلم لبيان كل قسم منها كما فى قول ابن مالك:

بالحر والتنوين والسندا وال
ومسند للاسم تمييز حصل
ونون أقبلن فعل ينجلى
بتا فعلت واتت ويا افعل

فهذه وظائف تؤديها العلامات والمعنى هنا وظيفى عبر عنه ابن مالك بلفظى:
"تمييز" و"فعل". ولا يقصد بها فى البيتين إلا ذلك حتى لو أريد بهما غير ذلك فى
سياق آخر. وما يزال المعنى الوظيفى يصعد فى بيان الوظائف حتى يرقى إلى بيان
معنى القرائن النحوية ودلالاتها كالتضام والرتبة والربط إلخ. بل إن المعنى
الوظيفى يتحقق أحياناً فى دلالات غير لفظية كما فى قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] أى (بعلاماتهم وهى التعفف وعدم الإحاف
فى السؤال) بعد قوله جل شأنه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾
[الرحمن: ٣٩]. فقد أدى مضمون لفظ "سيماهم" وظيفة المعنى عند عدم الحاجة
عن ذكر الذنب.

* * *

وهكذا نصل إلى النظر فى طبيعة النظام النحوى. إن إلقاء نظرة إلى ما سجله
كتاب اللغة العربية - معناها ومبناها^(١) من وصف النظام النحوى للغة العربية يغنينا
عن إعادة بذل الجهود فى إعادة المحاولة. وفيما يلى تلخيص لما اشتمل عليه الكتاب
المذكور:

ينبنى النظام النحوى للغة العربية الفصحى على الأسس التالية:

- ١- طائفة من المعانى النحوية العامة التى يسمونها معانى الجمل والأساليب كالخبر
والإنشاء إلخ.
- ٢- مجموعة من المعانى النحوية الخاصة أو معانى الأبواب المفردة كالفاعلية
والمفعولية والإضافة إلخ.

(١) للمؤلف.

٣- مجموعة من العلاقات التى تربط بين المعانى الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها. وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص (وتحتها فروع) والنسبة (وتحتها فروع) والتبعية (وتحتها فروع) وهذه العلاقات فى الحقيقة قرائن معنوية تدل على معانى الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.

٤- ما يقدمه علماً الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التفسير ومباني التصريف وما اصططحنا على تسميته مباني القرائن النحوية.

٥- القيم الخلافية والفروق والمقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراد.

٦- اتخاذ القرائن اللفظية من عطاء الصوتيات أ والصرف أ والقرائن المعنوية من العلاقات النحوية بين عناصر السياق النحوى.

وهكذا وصلنا إلى مجموع ما يشتمل عليه نظام اللغة من وسائل استيعاب المعنى الوظيفى فى اللغة. وأحب أن أشير هنا إلى أن تحقق كل مستويات المعنى الوظيفى لا يعنى أن العبارة التى اشتملت على جميع المعانى الوظيفية قد وصلت إلى مستوى الإفادة. وأن الوصول إلى الإفادة ما زال يتطلب المعنى المعجمى أولاً ودلالات السياق ثانياً. دعنا إذن نقدم ما يدل على افتقاد الإفادة مع وجود أنواع المعانى الوظيفية المختلفة: لقد صنعت كلاماً لا معنى له وقد تحقق فى صياغته كل المعانى الوظيفية واوردت هذا الكلام تحت عنوان منهج النحو فى كتابى "مناهج البحث فى اللغة (ص ٢٢٧) ما جعلته دليلاً على صدق ما أقول. فمن شاء فليتنظر هذا الكلام. وهذا هو نص الكلام المقصود:

"حنكف المستعص بسقاحتة فى الكمظ فعنذ التران تعنيذا خسيلا فلما اصططقف التران وتحنكف شقله المستعص بحشله فانحكرز سحيلا سحيلا حتى خرب".

من مظاهر طلب الخفة هنا ما يلى:

* نطق نون حنكف في مخرج الكاف التي تليها.

* إدغام المثلين (الصاد المشددة) في كلمة المستعص وإن كانت أولاهما في الأصل متحركة.

* قلب تاء الافتعال في اصطف إلى طاء لمجيئها بعد الصاد.

* اشتغال "انحكز" على نون المطاوعة.

وفيه فوق ذلك كلمات بموازين صرفية وجمل بعلاقات نحوية تجعل من الممكن إعرابه.

وسنعرض هنا ما يشتمل عليه نظام المعجم من مفردات تتوزعها حقول معجمية بين ألفاظ كل منها وبين ألفاظ الآخر إما مناسبة وإما مفارقة. فاللفظ يرد مع من هو له من ألفاظ المعجم ويتنافى مع غير من هو له كما يقول البيانون وإذا كان اعتماد المعنى الوظيفي على إدراك القصد فإن اعتماد المعنى المعجمي إنما هو على العرف. وقد يتعدد المعنى المعجمي للفظ الواحد فيسمى اللفظ مشتركاً لفظياً، وقد ينقل معنى اللفظ فيكون استعماله مجازاً. والمعروف أن المعجم تتوزعه حقول للمعنى، وأن علاقة اللفظ باللفظ قد تتسم بالمناسبة المعجمية بين اللفظين كما في قولك: "السما فوقنا"، وقد تتسم بالمفارقة المعجمية كما لو قلت: "السما تحتنا". ففي حال المفارقة إما أن تنتفى الإفادة تماماً كما في المثال السابق وإما أن تنبنى الجملة على علاقة قرينة فيكون الكلام مفيداً كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦]. فمن الواضح أن المقصود هنا هو "الذين استبدلوا الضلالة بالهدى"، وأن بين الشراء والاستبدال وجه شبه وهذه هي العلاقة. ثم إن الضلالة لا تشتري لأنها ليست سلعة ولأن الهدى ليس ثمناً، فبين هذين اللفظين وبين الفعل "اشترى" مفارقة معجمية تعتبر هي القرينة على إرادة المجاز. فكانت النتيجة هي قبول العبارة على رغم المفارقة المعجمية. فإن لم تقم قرينة على عدم إرادة المعنى الأصلي (القريب) فتلك هي الكناية كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فلهذا الكلام

معنى ولازم معنى، والذى يلزم من أكل الطعام هو إفرازه بعد هضمه، كما أن إجراء الصفقات في الأسواق يقصد به ما فعله النبي ﷺ برحلته في شأن تجارة السيدة خديجة رضى الله عنها.

هذا ويمكن أن يتحقق الطابع الأسلوبى للكلام وهو عار عن الفائدة في عمومه مع اتصاف مفرداته بالدلالة المعجمية. وذلك يتضح فيما يلي:

"إن الذى يلمس صوت التاريخ يتسلق صرح الأحداث وما تنطوى عليه منهجيتها المسطحة لابد أن تبهره أحلامها الواقعية وقواعدها الفلسفية التى تمزج في ملاحمها تاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ. ذلك بأن الإنسان في تطوره الفيزيائى من خلال مورفولوجيا الحياة الأسرية كان وما يزال قائمًا بالقسط بين النية والإرادة في علاقاته مع الآخرين أو في استنشاقه لمفردات الظواهر. غير أننا إذا نظرنا إلى المد السكونى في تاريخ الأسرة وفي ضوء الجزر الحركى لفلسفة وجودها علمنا أن لا جديد هناك في حقل الملاحظة والتجربة. إن ما يشير إليه علم الاجتماع أيضًا من استقامة المحيط وحلزونية القطر ربما أفضى لدى البعض إلى حدس زمكانى الطابع. تلك حالات من تهاويل ضوابط الذاتية في مقابل التباس الموضوعية. وتلك لعمر ك ومضة الومضات الصاخبة في أفانين الفكر لا يتذوقها إلا ذوو الضمائر المستوفزة وأصحاب المغامرات المخرجة في دروب الوعى الثقافى ولئن صاح العلماء بنجواهم منشدين الحمد لظواهر الطبيعة التى انكشفت لهم عن مفاتها فلن ينكر منكر بعد ذلك أن الأحلام من أقصر الطرق إلى ترقيص قواعد العلم" (مقالات في اللغة والأدب^(١) ص ٢٤٩).

هنا يرد على الذهن سؤال عن موارد ما تتألف منه هذه الأصول الثلاثة (أصل الوضع وأصل الاشتقاق وأصل الصيغة) وما إذا كانت وسيلة الوصول إلى هذه الأصول هى التجريد أو كانت هى الاستقراء. والجواب عندى أن أصل الوضع

(١) للمؤلف.

يأتى عن طريق النجريد ولكن أصل الاشتقاق وأصل الصيغة يأتیان عن طريق الاستقراء من خلال مبانى التصريف. ولقد سبق أن ذكرنا أن طلب الخفة قضية أسلوبية ونضيف هنا أن طلب الخفة لا يرقى فى الأهمية إلى مستوى التركيب عند تعارض التركيب والأسلوب، إذ يكون التركيب عندئذ أولى بالرد إلى الأصل من طلب الخفة كما فى قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. إذ كان إظهار اللام الساكنة فى "بل" أولى من إدغامها فى الراء المتحركة فى "ران" لأن المنطوق عندئذ سيكون "بران" بتشديد الراء. أما إذا لم يرد مثل هذا الاحتمال فإن اللام تدغم فى الراء بحسب طلب الخفة كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ نَفَىٰ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٣] بإدغام لام "قل" فى راء "ربى" طلباً للخفة.

ونريد الآن أن نتناول مفهوم المعنى الدلالى للوصول إلى نظرة فى سياق النص. ولقد سبق أن قلنا إن وظائف اللغة لا تتحقق فى المجتمع إلا بواسطة الإفادة. فالإفادة هى الغاية التى لا يستغنى عنها فى الاتصال اللغوى. ولقد رأينا كيف يمكن للمعنى الوظيفى أن يتحقق على مستوى الصوتيات وعلى مستوى الصرف وعلى مستوى النحو ومفردات المعجم، وأنها (أى الإفادة) لا تتحقق إلا من خلال المعنى الدلالى وهو قمة المعانى. وكان تعريف الكلام فى تراثنا العربى بأنه "اللفظ المفيد" يدل بصفة عامة على أمور منها أنه يحول بين الإشارة الحسية ونحوها وبين أن تعد من قبيل الكلام. وعلى أن لفظ "المفيد" يحول بين الإشارة ونحوها وبين أن تعد من قبيل الإفادة فى الاتصال. من هنا كان المعنى الوظيفى والمعنى المعجمى من قبيل الوسائل وكان المعنى الدلالى من قبيل الغايات والنتائج.

ولعل من أهم الأمور فى تحقيق الإفادة قرينتين كبيرين هما: سياق النص وسبق الموقف ومن غير المناسب أن أطيل فى شرح كل من هاتين القرينتين. ومن ثم أرى أنه حسبى أن أقدم شاهداً واحداً على كل منهما:

سيلق النص: مبدأ التناص. (نص يشرح نصاً)

يقول الله تعالى في سورة هود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَفَاوَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَفْعَلُنِي مِنْ أَلْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَتَارِضُ ابْنُكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَبَىٰ وَغِيضَ الْأَمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَبْنُوهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [٤٦ - ٤٢].

في هذه الآيات ما يحتاج إلى فهم مثل:

١- ما معنى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟

٢- وما معنى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟

٣- وما معنى ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؟

لمعرفة هذه المعاني يلزم الرجوع إلى آية من سورة التحريم تقول: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحَ وَامْرَأَتُ لُوطَ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ۝﴾ [١٠].

أيلزمني أن أشرح هذا الكلام الواضح؟ لا أعتقد ذلك.

٢- سياق الموقف:

دعا النبي ﷺ ربه بعد وفاة عمه أبى طالب أن يرحم عمه فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝﴾ [التوبة: ١١٣]. اتسم الموقف بالمقارنة

التي أدت إلى سؤال وارد يقول: فلماذا دعا إبراهيم ربه بقوله: "واغفر لأبي" وكان أبوه مشركاً فجاء الجواب الشارح في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. والمقصود بالموعدة قول إبراهيم لأبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] فهنا أيضاً موقفان يشرح كل منهما موقفاً آخر، فتحقق الإفادة: الأول موقف الموعدة وقد أبان عن سبب الاستغفار، والثاني أن إبراهيم تبين أن أباه عدو لله فتبرأ منه. وجملة الفائدة من الأمرين أن استغفار إبراهيم لأبيه لا يبرر استغفار النبي ﷺ لعمه أبي طالب.

والله ولي التوفيق.

تكرار النفي في السياق القرآني

لعل أشهر أدوات النفي في اللغة العربية هما "ما" و"لا"، ويمكن لكل منهما أن يرد في سياق الجملة مكرراً أو غير مكرر. مثال ذلك ما يلي:

١- ما جاء زيد وما طلعت الشمس.

٢- ما زارنا زيد ولا أسعدنا برويته.

٣- هذا سر لا نعلمه نحن ولا أنت.

٤- لا رجل في الدار ولا امرأة.

يلاحظ في المثال الأول أن "ما: تكررت فنفث جملتين إحداهما جملة (جاء زيد) والأخرى (طلعت الشمس). ومن الواضح أن كلا من الجملتين قائمة بذاتها من الناحية النحوية لعدم وجود علاقة في السياق بين زيد وبين الشمس. غير أنه يمكن أن تترايط الجملتان إذا كان زيد قد وعد المتكلم بالمجيء عند طلوع الشمس، وأن المتكلم نطق بهذا النص قبل طلوع الشمس ليجيب سؤالاً يستفهم عن قدوم زيد.

ودليل المعنى في هذه الحالة يأتي من سياق الموقف لا من النحو.

أما في المثال الثاني فهناك علاقة واضحة بين حضور زيد للزيارة وبين رؤيته عند الحضور. فلا يمكن أن تتحقق الرؤية إلا عند الحضور. ومن ثم جاء النفي الثاني بواسطة "لا" دون "ما" ليفيد كون النفي الثاني يترتب على النفي الأول. يحكم علاقة السبب بالمسبب.

وفي المثال الثالث يتكرر نفى العلم بالذكر أولاً وبالتقدير ثانياً أى (لا نعلمه نحن ولا تعلمه أنت) ومن ثم يبدو الكلام وكأن النفى به لفظان مفردان هما "نحن" و"أنت". وهكذا تختلف بنية الكلام هنا عما مر بنا في المثالين السابقين. حتى يمكن أن يقال إن النفى هنا إفرادى لا تركيبى.

أما في المثال الأخير فإن "لا" نافية للجنس، ومدخولها مفرد في اللفظ عام في المعنى. أما النفى بها فمنصب على الجملة الاسمية التى هو فيها دعنا بعد هذه المقدمة نلق نظرة على شواهد من النص القرآنى تشتمل على هذه الأنواع من النفى للتعبير عن المعانى المذكورة منذ قليل، وما يحمله كل شاهد منها من مقاصد النفى الملفوظة والملحوظة، ثم ما يحمله السياق من قرينة تدل على المعنى المذكور. هذا مع العلم بأن الكشف عن دلالات النفى بهاتين الأداتين يعتمد على اجتماعهما وافتراقهما في الجملة كما يعتمد على طبيعة العلاقة بين طرفي النفى بحيث تكون هذه العلاقة هى التغير أو العكس أو الترابط أو التضاد، وذلك على النحو التالى:

ما + ما :

١ - شواهد نفى المفاهيم :

*** الربح والهداية :**

قال تعالى: ﴿فَمَا رَیَحْتَ تُحَرِّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

*** السعى للكفالة ومباشرة الخصام :**

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

*** الكتابى والمشارك :**

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* البشرى بالنصر وتحقيق النصر:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
[آل عمران: ١٢٦].

* الضعف والخضوع:

﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

* الموت والقتل:

﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

* الإهمال والحرمان:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

* الإضلال والضرر:

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ [النساء: ١١٣].

* القتل والصلب:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

* الإشراف والإشراف:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾
[الأنعام: ١٠٧].

* الأب والأم:

﴿ يَتَأَخَذَتِ هُنَّ مِنْ آبَائِكِ أَمْراً سَوْءاً وَمَا كَانَتْ أُمُكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨].

* صمّت الخضوع وصوت الاستغاثه:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

* الاستحقاق والإمهال:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨].

* التابع والند:

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ب: نفى العكس:

* قبلتهم وقبله بعضهم:

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةِ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

* حسابهم وحسابك:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* مصرخكم ومصرخى:

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* السبق والتأخر:

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٣].

ج: الجمع بين ما ولا فى نفى المترابطين:

* التلاوة والدراية:

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦].

* التلاوة ومطلق العمل:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

* خلق السموات وخلق الناس:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الكهف: ٥١].

* العبادة والتحريم:

﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥].

* التلاوة والكتابة:

﴿ وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِإِمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* التحريم والإبدال:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

* إيذاء الشخص والزواج بأرملته:

* لا هؤلاء ولا أولئك:

د: النفي بلا ولا:

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٢].

* الضر والنفع:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٤٩].

* لا هذا ولا ذاك:

﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣١].

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة].

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَتُشْرِعُ عَبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون ٢ - ٣].

الخلاصة:

١ - تكرار النفي بما يدل على استقلال كل من المعنيين عن الآخر.

٢ - فإذا جاء النفي بما ثم بلا دل ذلك على أن النفي الثاني من شأنه أن يتحقق بعد الأول.

٣ - أما تكرار "لا" للنفي فيجعل الجملتين مترابطتين يجمعهما نفي واحد أو شبه واحد.

الفكر الحديث فى دراسة اللغة

اللغة لفظ ومعنى، ولكل من اللفظ والمعنى نموه وتطوره، على نحو تراكمى حيناً وعلى نحو تجددى حيناً آخر عبر توالى الأزمنة. ولقد كان الإنسان مصدرًا لهذا التراكم وذلك التجدد، وكان من طبيعة علاقة ذلك باللغة أن يصيب اللغة فى كل العصور سواء من حيث اللفظ أو من حيث المعنى قدر من التغير إيجاباً أو سلباً. وكان الفكر الجديد فى الحالىن إما أثراً من آثار التحول الترائى الذاتى، وإما غاية من غايات التفكير الإنسانى. إذ إن هذا التفكير هو مصدر الفكر اللغوى الجديد، وهو موضوع هذا البحث، ومن المقبول طبعاً أن يكون الفكر اللغوى المقصود بما نقوله هنا منصباً فى معظمه على تاريخ اللغة العربية لا ينحرف عنه إلا لسبب يدعو إلى الانحراف على نحو ما نراه فى تناول بعض الظروف التى سياتى ذكرها فى موضوع هذا الفكر اللغوى الجديد.

دعنا نحدد نقطة التحول من القديم إلى الجديد فى الفكر اللغوى العربى بما كان من عودة المبعوثين الذين أرسلهم محمد على باشا إلى باريس أثناء استقلاله بحكم مصر، وما كان لهؤلاء المبعوثين من أثر فى نقل بعض صور النشاط العلمى والفنى إلى مصر، ثم ما كان لذلك من أثر فى ترجمة العلوم إلى العربية، وفى ارتجال الفكر على حد سواء. كانت تركة التراث عند هذا الحد تتمثل فى الثروة التى يحافظ عليها الأزهر الشريف من مآثور العلوم الإنسانىة والدينىة، وهذا ستكون طريقة العرض فى هذا البحث انتقالاً مكرراً من وصف الظاهرة اللغوىة كما كانت جزءاً

من التفكير التراثي، إلى وصفها بعد أن أصابها قدر من التحول إلى فكر لغوى جديد.

دلالة الصوت اللغوى:

ليس للصوت اللغوى فى ذاته دلالة، فلا يقال مثلاً إن معنى القاف يثير فى النفس معنى الشجاعة والعزة، ويختلف عن مدلول الكاف. غير أن الصوت اللغوى قد يسخر فى العرف اللغوى للدلالة على مفهوم فى علم الصرف يعبر عن وظيفة فى موقع ما، كحروف المضارعة وواو الجماعة وغيرها من اللواصق. أو على مفهوم فى علم النحو للدلالة. على علاقة رابطة بين عناصر السياق كحروف العطف أو الاستثناء أو أدوات الجمل.. ولم يفرق النحويون من السلف بين وظيفة اللواصق وعلاقة الروابط كما نفرق نحن الآن بينهما فى الفكر اللغوى الجديد، إذ نرى فى الإلصاق دليلاً على الوظيفة الصرفية ونرى فى التعليق وسيلة للربط النحوى بين عناصر السياق.

ورث الأزهر هذا التراث على نحو معيارى لا يسمح إلا نادراً بتغير الدلالة، ولا يأذن بتغير معنى الحرف إلا فى حالات خاصة مثل استعمال واو الجماعة لتعظيم الفرد المخاطب (إلا أن يكون المخاطب هو لفظ الجلالة)، أو أن تستعمل الكاف للدلالة على السببية كما فى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾. أما فى الفكر الجديد فقد كشف العلم عن وظائف للأصوات مفردة كانت أم مركبة، ولم يكن هذه الوظائف موضع فى أفكار السلف، وبخاصة إذا كان الصوت أو كانت الأداة عرضة لتعدد احتمالات المعنى أو للنقل بحسب الأسلوب، كما يلى من قوله سبحانه:

* ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]. يمكن أن تكون "ما" موصولة أى من الذى عملته أيديهم أو "نافية" أى ولم تعمله أيديهم. غير أن فى الآية

قرينة على إرادة النفي هي قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ فالمرء إن أعد طعامه بنفسه فلا يشكر نفسه على ما قدم لنفسه، ويشبه ذلك ما في الآية التاسعة والستين من سورة يس أيضًا وهي كما يلي: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ إذ يمكن للضمير في "له" أن يعود على النبي ﷺ أو على الشعر. ولكن المعنى واضح، ولولا وضوح المعنى للزم أن يقال: ، فيعود الضمير على النبي فقط، لأن ما ينبغي لتعلم الشعر هو علم العروض، ولم يكن هذا العلم معروفًا عند نزول القرآن.

أو ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [طه: ١ - ٢] أى لكن تذكرة لمن يخشى. فليس القرآن وسيلة لفرض الشقاء على النبي، ولكنه وسيلة للتذكير بتقوى الله، أو ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٣] أى لكن سلاما.

أو ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيْرُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] بضم الهاء من "عليه" وذلك للحفاظ على تفخيم اللام من لفظ الجلالة. أما قوله: ﴿وَمَا أَفْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] فهو دليل الارتباك والاعتذار. ولذلك جاء تفسير الهاء بقوله ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ وهو يقصد أن أحضره.

أو ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا﴾ [الشمس: ٦] تحولت الدال من لفظ "دحاها" في قوله جل شأنه "والأرض بعد ذلك دحاها" إلى طاء مفخمة لتأكيد القسم بواسطة التفخيم.

وربما خلا موقع الحرف في السياق فقليل إن الحرف محذوف في هذا الموقع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]. فالحرف المحذوف في أحد الموضعين أو كليهما هو الفاء، فإما أن نقدر الفاء قبل "قلت" وإما أن نقدرها قبل "تولوا" أو أن نقدرها في الموضعين كليهما، ولم تسبق

الإشارة إلى تعدد هذه الاحتمالات فيما أعلم. ومن قواعد الحذف أيضًا أن الفعل الذى يتعدى إلى مفعول به إذا دل بلفظه على مفعوله فإن هذا المفعول يصلح للحذف كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣]. وقوله جل شأنه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (أى القطيع) وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (أى القطيع أيضًا) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي (الغنم) حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ (أغنامهم) وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَسَقَى لَهُمَا (أى القطيع) ﴿[القصص ٢٣ - ٢٤]﴾. وما كان للفكر اللغوى الجديد أن يرفض هذه الأقوال التى ورثها عن السلف ولم يكن فيها ما يحول دون قبولها ودون صدقها.

الصيغة الصرفية:

نتقل الآن إلى التعرض لتطور الفكر اللغوى فى فهم تقلبات الصيغة الصرفية والميزان الصرفى فى اللغة العربية كما عرفها السلف. ثم ما رآه فيها المحدثون أصحاب الفكر اللغوى الجديد. من المتبع فى البحث اللغوى أن اتجاه حركة الملاحظة فى تأمل الاستقراء الصرفى يختلف عن اتجاه نظيره النحوى، ومن ثم تكون العلاقة بينهما هى التقاطع، بمعنى أن الانتقال من صيغة صرفية إلى ما يليها فى مجموعتها فى الاشتقاق أو فى التصريف إنما يكون (رأسيًا) من أعلى إلى أسفل كما يلي:

أنا	أضرب
نحن	نضرب
أنت	تضرب (أنت بفتح التاء)
أنت	تضربين (أنت بكسر التاء)
أنتما	تضربان
أنتم	تضربون.... إلخ.

مما يتمتع فيه أن يوضع في صورة سياق أفقى. وأن الانتقال من لفظ من ألفاظ الجملة النحوية إلى ما يصاحبه إنما يكون من اليمين إلى الشمال (أفقيًا) نحو: "أنت تضرب أخماسًا في أسداس". أى أن النظرة الصرفية موقعية وأن النظرة النحوية سياقية، وأن العلاج الصرفى تصريفى والعلاج النحوى علائقى، لقد ألم النحاة العرب بذلك بتطبيقه ولم يتكلموا في شأنه من الناحية النظرية. وظل هذا الأمر مسكوتًا عنه حتى تعلمناه في الغرب تحت عنوانين هما: synchronic أى أفقى علائقى و diachronic أى رأسى موقعى. فانتبهنا للفرق المهم بين الأمرين. ولاحظنا صدقهما في نظام اللغة العربية.

وضع السلف للأسماء والصفات والأفعال (وهى المعروفة بالمشتقات) صورًا أصلية يسمى كل منها "أصل الوضع" يمكن أن يعدل عنها وأن يرد إلى صورتها الأصلية تبعًا لقواعد صاغها النحاة. وتتم كل درجة من درجات العدول بحسب قاعدة خاصة، فإذا تم الوصول إلى آخر الدرجات سميت النتيجة وزنا للكلمة أو زنتها. أما صور العملية من أولها إلى آخرها فتعرف بلفظ "صيغة". وهناك أيضًا أصل الاشتقاق وأصوله ثلاثة تسمى فاء الكلمة وعينها ولامها وقد تضاف إليها زوائد من الحروف يجمعها قولك "سألتمونيها". هذا ما استقل به النحاة وأصبح فكرًا لغويًا تقليديًا قديمًا. ونستطيع أن نضرب لذلك مثلاً كما يلي في تصريف الفعل "تبلون".

اللفظ: تبلونون (بضم الواو ومدّها وفتح نون الرفع وتشديد نون التوكيد المشددة).

* تحذف نون الرفع لكراهية توالى الأمثال (طبقًا للقاعدة).

* يلتقى عندئذ ساكنان هما واو المد والعنصر الأول من نون التوكيد المشددة.

* تحذف واو المد بسبب التقاء الساكنين (طبقًا للقاعدة أيضًا) وتبقى الضمة على الواو بعد حذف المد.

* النتيجة: لتبلون بضم الواو وتشديد النون.

أصر الفكر اللغوى القديم على أن حروف الزيادة يجمعها قولك "سألتمونيها" ولم يعترف بظاهرة أخرى تأذن لكل حرف من حروف العربية أن يقع موقع الزوائد في الصيغ الصرفية. ولقد سبق لى أن نهت القارئ لكتابتى "مناهج البحث فى اللغة" (١٩٥٥) ص ٢١٧ تحت عنوان "وسائل خلق الرباعى" إلى هذا الأمر وأوردت من أنواع الزيادة عددًا من الأنماط المختلفة للزيادة منها المضعف وأنماطًا أخرى من الرباعى أيضًا حيث تظهر الزيادة فيها فى مواقع الأصول الثلاثة. فالمضعف نحو:

لفلف	نخنخ	فتفت
بصبص	رجرج	لملم
شمشم	كشكش	حكحك
حفحف		

وأمثلة أخرى غيرها. وأما الزيادة فى مواقع الأصول الثلاثة فكما يلى:

دحرج (بزيادة الحاء)	بعثر (بزيادة العين)
سقلب (بزيادة السين)	عربد (بزيادة الباء)

(لاحظ: والحرب فيها وتر عرد)

زغرد (بزيادة الزاى)

هذا الاتجاه جزء من فكر جديد.

مفردات المعجم:

نصل بعد ما سبق إلى المفردات المعجمية، وهى تمثل ثلاثة أنواع من أقسام الكلم هى الأسماء والصفات والأفعال، ومن علاقات هذه الأنواع بعضها ببعض ينشأ نظام المعجم الذى تحكمه المناسبة والمفارقة بين المعانى. والملاحظ فى كل قسم من هذه الأقسام أن بين كل لفظ من ألفاظه وألفاظ الأقسام الأخرى إما مناسبة

معجمية تسمح بورودهما معًا. وإما مفارقة معجمية تحول دون وجود علاقة نحوية بينهما في الكلام. هذه المناسبة وتلك المفارقة كانتا موضع تفكير من النحاة والبلاغيين على حد سواء. ظهر ذلك النوع في الفكر النحوي في عبارات مأثورة كقولهم: "لا يضاف الشيء إلى ما في معناه، ولا يخبر عن الشيء يلفظه" ولدى البلاغيين في عبارات من قبيل قولهم: "إسناد اللفظ إلى من هو له" أو "إسناد اللفظ إلى غير من هو له". كما كان لغير هؤلاء وأولئك من السلف شعارات تشبه ذلك وتظل عامة غير مفصلة مثل قول المفسرين: "القرآن يفسر بعض بعضا" وكلام النقاد عن "ظلال المعاني" ونحو ذلك. وكان من نتائج هذا العموم في دلالة هذه العبارات ندرة تطبيق هذه الشعارات القيمة (انظر تفسير الشنقيطي المسمى أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن مثلاً) ولم يأت التطبيق إلا في أساليب علم البيان التي تبنى هذه المفاهيم على مبدأ نقل المعنى. فكان لا مفر من انتظار أن يجود الزمان بمن يعثر لهذه المبادئ على التطبيق الأمين.

ولم يخل الزمان بظهور أجيال هنا وهناك في أرض الله الواسعة لتعمل على تطبيق هذه الأفكار القيمة، إما في حقل الاستعمال وإما في حقل التنظير. فمن قبيل الاستعمال أن يظهر الفكر الجديد في تطوير طرق الاتصال بواسطة اللغة من الشافهة إلى مختلف الوسائل الأخرى، ومن قبيل التنظير القول بأن رفض الإخبار عن الشيء بلفظه لا يحول دون التأويل ودون تطبيقه على تراكيب مثل قولنا: الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان، فنرى أن العبارة توحى بمعنى سليم. فالمبتدأ في العبارة إقليمي جغرافي والخبر عادات وتقاليد، أي أن الإخبار هنا لم يكن بذات المبتدأ عن ذاته.

وأما الشعار العظيم الذي يقول إن القرآن يفسر بعضه بعضا فإن معناه أوسع مما يشير إليه لفظه، فهو يصدق على النصوص بكل صورها، فلقد كانت نشأة علم لغة

النص بها يشتمل عليه من معايير نصية منها القصد والقبول والإعلامية والتناص
 نعمة انعم الله بها على أفهام البشر، وبخاصة مبدأ معيار السياقين: سياق النص
 وسياق الموقف، وإذا أذن لى السادة العلماء السامعون أن أسوق بعض الشواهد التى
 تدل على صدق ما أقوله فإنى سأورد الشواهد المذكورة من القرآن الكريم، لا
 لأطعن فى موقف المفسرين الذين اجتهدوا قدر طاقتهم حتى وصلوا إلى ما أتاحه
 لهم عصرهم، ولكن لأبين أن القرآن الكريم ما يزال يتطلب المزيد من الفهم ومن
 الفكر اللغوى الجديد، وفيما يلى بعض الشواهد:

* قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
 هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ
 هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا
 سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِ عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ
 قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾
 [يوسف: ٢٣ - ٢٨].

قوله تعالى: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ تكريم ليوسف، من خلال تجاهل علاقة تبعيته
 لها، وامتهان لها لأنه لم يقل "سيدته". قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّى﴾ يقصد "سيدى" أى العزيز،
 والدليل أن العزيز قال لامراته: ﴿إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وأن يوسف استشهد بذلك
 عندما دعى لمقابلة الملك، وذلك بقوله عن العزيز: "إن ربى بكيدهن عليم".

قوله ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ أى أحس بوجود سيده العزيز أمام البيت حتى
 إنها وجداه عند نهاية استباق الباب بدليل "وألفيا سيدها لدى الباب".

قوله ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو تحريض للعزیز ضد یوسف وتبرئة لنفسها.

قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ هو العزیز وكانت شهادته فی صورة تفکیر صامت وسیر وتقسیم علی نحو ما رأینا من قوله: "إن كان قميصه قد... إلخ".

* والشاهد الآخر من سورة القصص، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.

لفظ "تصطلون" يدل علی أن الرحلة كانت فی الشتاء، لأن الناس لا يصطلون فی الصيف ولم يذكر أحد من السلف هذه الملاحظة فیما أعلم.

* والشاهد الثالث یجمع بین سورتي هود والتحريم.

يقول الله تعالى فی سورة هود [٤٢ - ٤٨] ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِیْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَعَاوَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَتَّزِضُ آبُلْحَىٰ مَاءُكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَىٰ وَغِيضُ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

* وقال فی سورة التحريم ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ [١٠]. انظر إلى دلالة الألفاظ الآتية وحاول أن تستخلص المعنى (أو على الأصح: ظل المعنى) مما يلي:

* فخانتاهما. (ما المقصود بالخيانة؟).

* ليس من أهلك. (ما معنى هذا؟).

* إنه عمل غير صالح. (وما المقصود بذلك؟).

* فلا تسألن ما ليس لك به علم. (ما الذى يجهله نوح؟).

* إني أعظك أن تكون من الجاهلين. (ما معنى هذا التحذير؟).

يبدو أن نوحا لم يكن يعلم بمحتوى قوله تعالى: فخانتاهما حتى أخبره الله سبحانه بها ورد في سورة هود من المصاحرات التى لم يكن لنوح علم بها".

ومن ذلك أيضًا مثالان آخران لاختيار اللفظ المناسب والعزوف عن استعمال غيره الذى ورد فى سياق آخر مماثل كما يلى:

* ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْنِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

* ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقْنِي نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٢١].

لاحظ أن الإملاق فى الآية الأولى واقع فعلا على الآباء، ومن ثم وعدهم الله بالرزق لهم لا لأبنائهم، وأن حدوث الإملاق لا يتحقق إلا ببلوغ الأبناء الصغار كما يفهم من الآية الثانية فجاء الوعد برزق الأبناء بعد بلوغهم.

السياق الثانى: قوله تعالى:

* ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اُنِّىْ يَكُوْنُ لِىْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَامْرَأَتِيْ عَاقِرٌ ۚ قَالَ كَذٰلِكَ ۙ اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝

* ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ۖ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسٰى ابْنُ

مَرَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١﴾ وَيُكَفِّرُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿١٣﴾

لاحظ هنا كيف كان العمل المنسوب إلى لفظ الجلالة من قبيل الفعل في حق الرجل ومن قبيل الخلق في حق المرأة بسبب المناسبة المعجمية في اختيار اللفظ. هذا النوع من الملاحظات ينتمى إلى الفكر اللغوى الجديد.

ومن ذلك أن تتوالى الجملتان أولاهما عامة المعنى والأخرى مفسرة لها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أى وأحرص على الحياة من الذين أشركوا. ثم يأتى تفسير هذا الحرص بقوله جل شأنه: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. فليس المراد أن الحرص بسبب الجبن.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فما بعد لفظ "الصمد" تفسير لمعناه.

ولقد سبق أن ذكرنا أن من الفكر اللغوى ما رده علماء السلف على صورته المجملة ولم يحاولوا أن يمنحوه دراسة مفصلة إلا في بعض ظواهر علم البيان عندما تكلموا عن ظاهرة النقل ووجه الشبه ولازم المعنى ونحو ذلك مما تقدم به علماء أصول النحو ونقاد الشعر في هذا المجال. أما الجديد في دراسة الفكر اللغوى فهو البناء على ما تركه الأقدمون وتوسيع الأفق في هذا المجال على نحو ما نسوق لذلك من عدد من الشواهد. ومن هذه الشواهد ما يلي من أنواع الظلال:

١ - السؤال الوارد:

قال تعالى في شأن يوم الحساب: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

السؤال هو: كيف ذلك واليوم يوم حساب؟ وهذا هو ظل المعنى وهو يتطلب الإجابة.

والجواب هو ما يأتى بعد ذلك مباشرة من قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. وحين ورد هذا المعنى مرة أخرى في سورة القصص (٧٨) بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْقَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: اشتملت إحدى الآيتين على تفسير الأخرى بطريق التناص.

٢- ظل الاستفهام الإنكارى جملة مثبتة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾؟

أى لقد وجدك يتيمًا فآوى.

٣- مدلول المخالفة:

قال تعالى: ﴿يَصْلَحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢].

أى لم تعد مرجوا كما كنت.

٤- دلالة الحذف:

﴿الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] حذف لفظ "أفعل" من ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ والعبارة للتعجب بدليل ما بعدها من قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أى وما أعظم درايتك بها بحكم ما جاءك فى شأنها من الوحي وما بلغناك من أشراتها. ثم إن فى الحديث الشريف ما يشبه ذلك الحذف كما فى حديث أم زرع إذ تقول: "زوجى أبوزرع وما أبوزرع".

٥- قد يكون التعجب ظلا للاستفهام:

﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

أى ما أشد ما كان عقابى!

٦- قد يكون الشرط ظلا للخبر:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

هذه جملة خبرية أشربت معنى الشرط فاقرن خبرها بالفاء، أى أن الشرط هنا من ظلال المعنى.

٧- قد يكون الأمر ظلا للخبر:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أى على المطلقات أن يتربصن.

٨- قد يكون الدعاء ظلا للخبر:

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

أى اللهم زدهم مرضا!

٩- قد يكون العرض ظلا للخبر:

﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

١٠- قد يكون الالتزام ظلا للخبر:

"سمعًا وطاعة!"

١١- قد يأتى التعجب ظلا للخبر:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾!

١٢- قد يأتى التعميم ظلا للخبر:

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾!

١٣ - قد يأتي التعجب ظلا للشرط:

﴿وَأِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥].

١٤ - قد يأتي السير والتقسيم ظلا للشرط:

﴿وَأِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّهِ كَذِبٌ كَرُّهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

١٥ - قد يكون التمني ظلا للشرط:

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ﴾!

١٦ - قد تكون التسوية ظلا للشرط:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

١٧ - قد يأتي التعجب ظلا للنداء:

﴿يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾!

١٨ - قد تأتي الندبة ظلا للنداء:

"يا أسفا على يوسف!"

١٩ - قد يأتي الاختصاص ظلا للنداء:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥٢﴾ لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢].

٢٠ - قد يأتي التمني ظلا للنداء:

﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ﴾!

على الرغم من أن الشواهد التي اشتمل عليها هذا العرض مأخوذة من النص القرآني الكريم فلا يمكن أن يكون من العسير على أحد أن يطلع عليها، أقول: على رغم ذلك لم ير السلف من العلماء ما يؤلف بينها ويجمعها تحت عنوان واحد هم

واضعوه ومستعملوه وهو "ظلال المعانى، فتناولوها مفرقة لا يجمع بينها نظام، ولكن الفكر اللغوى الجديد وفق بينها كما يبدو هنا.

هذا ما استطاع الفكر اللغوى أن يصل إليه، وهناك أنواع أخرى من الفكر الجديد تنتمى إلى حقول علمية أخرى يزخر كل منها بما أنجزه من المصطلحات والآراء والرؤى فكان لهذه الأفكار فضلها الذى لا ينكر على حقل اللغة أيضًا.

الفكر الحديث فى النقد

يقصد بالنقد التراثى النقد العربى ويخرج من دائرة هذا القصد ما تقرؤه اليوم من نقد يجرى على النهج التقليدى الموروث عن القدماء كالصولى والجرجانى والعسكرى وغيرهم. والمقصود بدلالات ما وراء الصياغة اللغوية ظواهر مما نعرفه من قراءتنا للمجازات التى جاء بها القدماء، وقد عبّر الصولى عن هذه الظواهر بأنها: "تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصفة"، وشبهها بعضهم "بالرائحة العطرية التى تشم ولا تفرك"، فلقد تكلم الأقدمون عن الألفاظ ذات الجرس والحسنة التأليف كما تكلموا عن جزالة العبارة وسلاسة الأسلوب وحسن الديباجة وقوة السبك وعن الماء والرونق، وما يزال الذين يقرأون النقد المشتغل على هذه المجازات يخرجون مما قرأوا بانطباعات مجردة لا تنم عن شىء محدد، فلو طلب إليهم أن يصوغوا ما فهموا بعد القراءة فى لغة محددة المصطلحات واضحة المقاصد ما بلغوا من ذلك شيئاً على رغم ما قرءوا فى أنفسهم من انطباع ما دام هذا الانطباع لا تدركه الصفة.

ولقد خطر لى أن أشغل نفسى بمحاولة فهم المقصود بهذه المجازات بعد أن هياً لنا مرّ العصور من أدوات الفهم ما لم يكن مثله ميسراً للقدماء من السلف ولا سيما ما يستفاد اليوم من تقدم الدراسات اللغوية والأسلوبية من جهة، والدراسات النقدية والسيميولوجية من جهة أخرى، فخرجت من محاولتى هذه بفهم أرجو أن يكون على صواب فإن لم يكن فإننى أرجو له أن يفتح لغيرى باب التأمل فى هذا

الحقل من حقول تراثنا العربى النفيس، ولسوف يرى القارئ أن إيضاح بعض المجازات قد جاء شرحه بواسطة مصطلحات التراث نفسه، ولكن ربطه بهذه المصطلحات لم يكن مألوفاً لدى النقاد. أما البعض الآخر فقد حاولنا أن نفسره في ضوء ما قدمه إلينا الدرس الحديث وفيما يلي إيضاح لهذه المفاهيم:

١ - الجرس:

فرّق اللغويون قبل أن يفرق العلماء المحدثون فى دراسة اللغة بين نوعين من الأصوات هما الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، وكان الفرق بينهما حضور الأثر السمعى الناتج عنذبذبة الأوتار الصوتية عند نطق الأصوات المجهورة، وعدم حضور ذلك عند نطق الأصوات المهموسة. ومن الواضح أن حضور هذا الأثر السمعى هو الجرس، ومن ثم لا ينسب الجرس إلى الأصوات المهموسة، ولا شك أن الأصوات المجهورة تقع من حيث الجرس فى طبقات أعلاها الحركات والمدود، وأدناها الأصوات الشداد، فليس للباء المشكلة بالسكون مثلاً قوة إسماع يعتد بها ولو أنك حاولت إطالة النطق بها لحال احتباس هواء النفس وراء الشفتين دون ذلك لعدم إمكان استمرار الإضافة إليه، ومن ثم لا يمر هواء جديد بالأوتار الصوتية، فلا يحدث جهر ولا جرس بعد ذلك، وتصبح الباء مجرد إقفال الشفتين وانحباس الهواء. وترتب طبقات الجرس فى الأصوات المجهورة هكذا:

١ - الحركات والمدود (وأقوى الجرس جرس الألف والفتحة ويليهِ جرس الياء والواو/ الكسرة والضمة).

٢ - الأصوات المتوسطة: ر ل م ن و ي (وأقواها جرسًا الواو والياء).

٣ - الأصوات الرخوة: ذ ز ط ع غ (ض كما فى النطق السعودى).

٤ - الأصوات الشداد: ب ج د (ض كما فى النطق المصرى).

فإذا كانت الكلمة مكونة من حروف قوية الإسماع حسن جرسها وإلا فلا.
أضف إلى ذلك أن حسن الجرس يرتبط أيضًا بحسن التأليف.
٢ - حسن التأليف:

إن حسن الجرس لا يتوقف على قوة الإسماع فقط لأن الأصوات إذا قوى إسماعها مع تقارب مخارجها دخل على جرسها القبح من مدخل آخر هو ما عرف باسم تنافر الحروف، أما إذا تباعدت المخارج فإن اللفظ يوصف بحسن التأليف. كما توصف الكلمة حين يتحقق لها الأمران بأنها "شعرية"، ولقد حاول المتأخرون من أمثال السبكي في كتابه "عروس الأفراح" أن يضبطوا حالات حسن التأليف ضبطًا صوتيًا علميًا وجماليًا، فإذا أريد للكلمة العربية أن تكون فصيحة في عرفهم فإنها ينبغي لمخارج حروفها أن تكون بحيث لا تتنافر الحروف، ولقد قسم السبكي مخارج الحروف العربية إلى مجموعات ثلاث سماها: المخارج القصوى (وهي مخرج الطبق وما وراءه)، والمخارج الدنيا (وهي الشفوية)، والمخارج الوسطى (وهي ما بين هاتين المجموعتين (من الأسنان إلى الغار) وكان بعض الأقدمين قد رتب على ذلك "أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت"، وأنه "إذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف". ويروى السيوطي عن السبكي أن ثمة اثني عشر مكانًا لتوالي المخارج تتفاوت من حيث الفصاحة وحسن التأليف، وعلى الرغم من أن رؤية السبكي لهذا الموضوع لا تصمد للتمحيص نراها ضوءًا كاشفًا للراغبين في بحث هذه الظاهرة التي ترتبط بالذوق العربي في صياغة المفردات أقوى ارتباط وهي ظاهرة جمالية ذوقية ما تزال تأبى أن تدركها الصفة وإن أحاطت بها المعرفة.

ومما يتصل بذلك كذلك ما نعرفه الآن باسم المناسبة الصوتية، هذه المناسبة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتقدم المخارج وتأخرها سواء كان التقدم والتأخر من صفات

للمصاومات أم كان من صفات الصوائت ولهذه المناسبة جانب يخضع للتععيد وجانب آخر يصرفه الذوق، فأما ما ارتبط من ذلك بالتععيد فمثاله ما نعرفه في طرق الصياغة اللفظية باسم "طلب الخفة" أى الهرب من التقاء صوتين يأتى عن التقائهما ثقل. وهكذا عرفنا أن الياء والواو عدوتان، وأن الدال والزاي حين يلتقيان يطعن التقاؤهما في عربية الكلمة، وكذلك الصاد والجيم، والقاف والجيم وهلم جرا، وكل قواعد التحول الصرفي من قبيل طلب الخفة، وأما الجانب الذوقي للمناسبة الصوتية فيبلغ أقصى مداه في شيوخ السجع في بعض الصور. كما يمكن العثور عليه في الاختيار الفردى للكلمات الشعرية والمؤشرات الأسلوبية الأخرى.

٢ - السلاسة:

إذا كان حسن الجرس وحسن التأليف من صفات الألفاظ المفردة في الأصل (وإن بقى ذلك للألفاظ في النص المتصل أيضًا) فإن السلاسة وما يليها من المصطلحات تشير إلى مفاهيم أسلوبية وإلى عناصر لغوية أكبر من اللفظ المفرد، فيقال للنص إنه سلس الأسلوب جزل العبارة حسن الديباجة قوى السبك له ماء ورونق، وفي رأى أن المقصود بالسلاسة أساسًا إنها هو سهولة الأداء اللفظي، وذلك بخفة النص على اللسان لخلوه من التوعر والحوشية والتنافر والمعاظلة والغرابة، والأصل في السلاسة أن تكون صفة للقياد، فيقال للحيوان إنه سلس القياد إذا لم يكن عصيًا ولا نافرًا ولا متأبيًا، فإذا وصف الأسلوب بهذا الوصف فأولى به كذلك إلا يكون عصيًا في الأداء النطقي وألا تتنافر فيه الألفاظ وألا تتأبى فيه المعانى على قارئه أو سامعه.

٤ - الجزالة:

الجزالة صفة إيجاب سواء وصف بها القول أو التكوين والخلقة، وعكسها في القول الركة وفي الخلقة الضالة والقماء. فالجزالة قوة الكلام التى تبدو في

التفخيم في مقابل التريق، والشدة في مقابل الرخاوة، والتشديد في مقابل الأفراد، والطول في مقابل القصر، والتكثير في مقابل التقليل فمثال التفخيم ما نلاحظه عند مقارنة الفعلين في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا﴾ [سورة الشمس: ٦]. قوله: ﴿وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا﴾ [سورة النازعات: ٣٠]، إذ جاء التفخيم مع القسم والترقيق مع مجرد الخبر، ومثال الشدة على مقابل الرخاوة ما نراه من فارق بين قضم وخضم، إذ جعل الأول لأكل اليابس والثاني لأكل الرطب، ومثال التشديد في مقابل الأفراد تضعيف السين من كسر في مقابل أفرادها في كسر. ومثال الطول في مقابل القصر فرق ما بين "مفتاح" و"مفتاح" ومثال التكثير في مقابل التقليل فرق ما بين قر واستقر. وينبغي أن نعلم أنه على الرغم من التمثيل بالألفاظ المفردة على نحو ما سبق لابد أن ننسب أثر ذلك إلى الألفاظ في العبارة لا إلى اللفظ المفرد.

٥ - الـديباجة:

يقال للكاتب إنه دبج العبارة إذا جعل ألفاظها على قَدَر معانيها كالديباجة حين تكون على قَدَر لابسها. وحسن الـديباجة في الكلام تناسب ألفاظه ومعانيه، ويتطلب ذلك حسن اختيار الألفاظ للمعاني. فلقد يحدث أن تترادف الألفاظ فيدل عدد منها على معنى واحد ولكن هذا الترادف لن يكون تاماً وإلا لنسب العبث والإسراف إلى اللغة، ولهذا نجد المترادفات تلتقى على مجمل المعنى وتفترق في ظلال المعنى إن صح هذا التعبير، ومن هنا جاءت كتب الفروق في اللغة لتزيل وَهْم الترادف التام من الأفهام، فإذا اتحد عموم الدلالة واختلفت ظلالها في مجموعة ألفاظ مترادفة كان اختيار الظل المناسب من قبيل حسن الـديباجة، ولا شك أن الاختيار من قبيل الأسلوب والأسلوب مما ينسب إلى النص لا إلى اللفظ المفرد.

وثمة نوع آخر من مناسبة اللفظ للمعنى اصطلاح الناس على تسميته "حكاية الصوت للمعنى" أو "الحكاية" على سبيل الاختصار. لقد نسبنا إلى الجزالة منذ قليل أنها تعنى اختيار بعض الخصائص الصوتية في مقابل البعض الآخر، وهى بهذا المعنى تقترب كثيراً من معنى الحكاية دون أن تبلغه، لأن الحكاية أكثر من ذلك إغراقاً في الإيحاء، حتى إنها لتكاد تبلغ به مرحلة دلالية شبيهة بدلالة أسماء الأصوات. ففى تكرار راء الخريز أو حاء الفحيح شئ من الإيحاء إلى المفهوم بتقليد أثره في السمع شبيه بما في لفظ "طق" من دلالة على صوت الكسر والقصف، وفي كل لغة طائفة من الألفاظ ذات الحكاية يستعين بها الناس في تحسين ديباجة كلامهم ولكن ظاهرة الحكاية محدودة لا تكاد تبلغ حد التعقيد والاطراد.

٦ - السبك:

السبك إحكام علاقات الأجزاء. ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوى من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعى الاختيار الأسلوبى، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل. وفيما يلى بيان ذلك:

المقصود بالمناسبة المعجمية تلاقى حقلين من حقول المعجم في معناهما بحيث يجوز للفظ من أحد الحقلين أن يرد في تركيب واحد مع لفظ من الحقل الآخر وهذا هو الذى يقصده البلاغيون عند قولهم: "إسناد الفعل إلى من هو له" أما إذا لم يلتق الحقلان فإن الإسناد يكون إلى غير من هو له. وهذه المناسبة بذاتها شرط من شروط الإفادة التى يتوقف عليها الاعتراف بان سلسلة منطوقة بعينها كلام أو لغو، فإذا قال قائل: "فهم الهواء قميصه" فليس بين كلمات هذا القول مناسبة؛ لأن الفعل "فهم" يتطلب فاعلاً عاقلاً وليس الهواء كذلك (أى أن الفعل قد أسند إلى غير من هو له) وهذا الفعل نفسه يتطلب مفعولاً معقولاً غير محسوس ولكن القميص محسوس. أضف إلى ذلك أن الهواء ليس له قميص حتى يمكن أن يتعدى إليه

الفعل. هذه المفارقة المعجمية بين عناصر القول هي سبب انتفاء الإفادة. وهذا الانتقاء أقوى مطعن يمكن أن يوجه إلى "السبك".

هذه المفارقة المعجمية التي رأيناها في التركيب السابق هي عليا درجات المفارقات لأنها لا يمكن معها تبرير التركيب بيانياً، وإن أمكن إعرابه نحويًا، إذ يمكن أن يقال: فهم فعل ماض والهواء فاعل إلخ، ولكن هناك درجة من المفارقات دون ذلك تخضع للتبرير فينتهى الأمر إلى قبول الجملة بقدر من التأويل البياني.

ويمكن شرح هذا التأويل كما يلي: المعروف أن المعنى علاقة عرفية تربط الدال بالمدلول وهذا الطابع العرفي للعلاقة شرط لوصف المعنى بأنه لغوى. ومعنى أن العلاقة عرفية أنها موضع اتفاق بين أعضاء المجتمع، وأن العنصر اللغوى لا يستحق هذا الوصف إلا إذا تعارف الناس على الربط بينه وبين مدلول معين، وقد يحدث مع بعض المفارقات المعجمية أن يعتمد المتكلم إلى استبدال علاقة فنية بالعلاقة العرفية بين الدال والمدلول. هذه العلاقة الفنية لا بد لها من قرينة تدل على قصدها وعلى الترخيص فى العلاقة العرفية. وهكذا يمكن للمجاز أن ينقذ الجملة من أن تنسب إلى الإحالة وعدم الفائدة، ففى قولنا: "بكت السماء" اسناد الفعل إلى غير من هو له، لأن السماء لا تبكى. ولقد كان ذلك يكفى لوصم الجملة بالإحالة وعدم الفائدة، غير أن التبرير البيانى يأتى لإنقاذ الجملة، فينشئ علاقة فنية هي المشابهة بين نزول المطر والبكاء (أى نزول الدمع) ويجعل لفظ السماء قرينة على إرادة التشبيه من حيث إن السماء ليس من طبعها البكاء، وهكذا يقوى سبك الجملة على رغم المفارقة المعجمية.

وتتوقف قوة السبك كذلك على حسن استخدام قرينة الربط وهي تكون بإعادة الضمير إلى مرجع ما وبالإشارة وبالموصول وبأل وبالوصف وبالتكرار، فإذا قلت: "هذا هو الرجل الذى تمزق قميص، فليس بين أجزاء الجملة من سبك إلا أن

نضيف القميص إلى ضمير الرجل فتقول: "تمزق قميصه". ويمكن الربط بالإشارة إذ توضع الإشارة موضع ضمير الفصل الذى لا محل له من الإعراب فيصبح قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ فى قوة قول القائل "ولباس التقوى هو خير". وكذلك يكون الربط بالموصلات بأنواعها فيكون الموصول صالحاً أن يحل محله الضمير، نحو ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣] أى لنهلكهم وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] أى أجرهم وقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَخْزُنكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَتَحَدَّوْنَ﴾ [الأنعام: ٣٣] أى ولكنهم وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢] أى لهم. وقد يكون الربط بـأل نحو: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ، ٤١] أى مأواه. وقد يكون بال تكرار نحو: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] إذ تكرر لفظ الجلالة وموضع التكرار صالح للضمير. وقد يكون الربط بالوصف نحو: ﴿وَإِنْ نَكُتُوا أَيَمْنَتُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، أى فقاتلوهم، فالربط بأى من هذه الطرق وسيلة لقوة السبك إذ يأخذ بعض الكلام بحجز بعض، كما يقول عبد القاهر فى دلائل الإعجاز وبدونه تضعف الرابطة بين أجزاء الكلام.

والمعروف أن الرتبة بين عناصر التركيب العربى من نوعين: أحدهما الرتبة المحفوظة والثانى الرتبة غير المحفوظة، أما الرتبة المحفوظة ففى إهدار حفظها إهدار لقوة السبك فلا وجه لتقديم الصلة على الموصول ولا المجرور على الجار ولا التابع على المتبوع وهلم جرا. ولو قد حدث ذلك لخرج الكلام من حظيرة الاستعمال العربى وأصبح لغواً نائياً عن الإفادة وعن أصول التركيب العربى

النحوى كليهما. أما في نطاق الرتبة غير المحفوظة فإن الأمر يخضع للاختيار الأسلوبى. ولما يعلقه المتكلم من ظلال المعانى على التقديم والتأخير، ومعنى هذا أن الرتبة غير المحفوظة قد تخضع لاختيار المتكلم من حيث حفظها وعدمه ثم يبقى السبك قويًا في كلتا الحالتين. وآية ذلك ما نجده من قوة السبك في قوله تعالى: ﴿أَبْغَاكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦] إذ تقدم المفعول لأجله على المفعول به وصفته وتقدم جميع ذلك على الفعل والفاعل.

وتتوقف قوة السبك على رعاية صورة التضام بين الكلمات، إذ قد تفتقر الكلمة إلى أختها بحسب الأصل كافتقار الجار إلى المجرور، أو بحسب التركيب، كافتقار المضاف إلى المضاف إليه. وقد تختص الكلمة بمدخول معين كاختصاص "لا" النافية للجنس بالنكرة، واختصاص كاد بالمضارع في خبرها واختصاص "إذ" الظرفية بالدخول على الفعل. ومن ذلك ضرورة الذكر إذا لم يقم دليل على المحذوف وعدم دخول الحرف على الحرف، وعدم وصف الضمير أو جعله مضافًا، وعدم الفصل بالأجنبى بين المتلازمين، وغير ذلك من أصل التركيب العربى، فلو أن متكلمًا ترخص في أصل من هذه الأصول لصادف إنكارًا أو أصاب لبسا أو أهدر معنى، ولكن من حقنا أن نتهم قوله بضعف السبك.

٧ - الماء والروث؛

كثيرًا ما نصف الكلام بالجفاف وبخاصة النصوص العلمية الخالصة. وكثيرًا ما وُصف النحو بهذا الجفاف، لأن نصوصه لا تبعث في النفس شوقًا إليها ولا استمتاعًا بها. والمعروف أن الجفاف قلة الماء أو عدمه، ومن هنا صح أن يوصف النص الذى يبعث في النفس استمتاعًا به عند القراءة وشوقًا إليه بعدها بأن له ماء ورونقًا، ولكن الأمر لا ينبغى أن ينتهى بهذا الشرح المجمل الذى يبرر كلمة من خلال استعمال ضدها، فمن المعروف أن للكلام فيما وراء صياغته اللغوية صورًا من الإيقاع توصف أحيانًا بالرشاقة والخفة، وأحيانًا أخرى بالثقل والكزازة، وإنك

لتقرأ لكاتب في موضوع يراه الناس مشوقاً فيصداك إيقاع كلامه عن القراءة، وتقرأ لكاتب آخر في تبسيط العلوم (وقد ذكرنا أن النصوص العلمية توصف بالجفاف) فيجذبك إيقاع كلمه إليه، فتلقى إليه قياد نفسك ومجمل حسك، فلا يصرفك عنه إلا انتهاؤك من قراءته. فما المقصود بهذا "الإيقاع" وما بواعثه؟ هذا ما تجيب عنه الأسطر الآتية إن شاء الله.

المدخل إلى الكلام عن ظاهرة الإيقاع إنما يكون بواسطة الكلام في المقاطع العربية. وينبغي أن نشير منذ البداية إلى أن الإيقاع أعم من الوزن، إذ يمكن أن يتصف الكلام بالإيقاع دون أن يكون موزوناً وزن الشعر. وحسبنا في شرح المقاطع أن نضع قاعدة تعرف بها بداية المقطع ونهايته والمعروف أن سنام المقطع هو الحركة أو المد ولكن تيسير الشرح ربما رخص لنا أن نقول:

* كل متحرك فهو بداية لمقطع (لاحظ أن لفظ متحرك = سابق لحركة أو مد... وهكذا نحصل في اللغة العربية على المقاطع التالية (ص = حرف صحيح، ح = حركة، م = مد):

١- ص ح

٢- ص ح ص

٣- ص م

٤- ص م ص

٥- ص ح ص ص

والمقاطع الثلاثة الأولى هي مقاطع السياق المتصل أما الأخيران فهما لا يكونان إلا عند الوقف أو اغتفار التقاء الساكنين. مثل المقطع الأول ما نجده في "كتب" مبنياً على الفتح، ومثال الثاني "لم يكتب" ومثال الثالث "ما فيها"، والرابع "قال"، وكذلك أول مقاطع "دابة" والخامس "قبل" وثاني مقاطع "دويبة". ويمكن دراسة النبر في اللغة العربية بإحدى وجهتي نظر: أولاهما في

الإفراد، والثانية في السياق المتصل. والنبر الافرادى نبر الصيغة الصرفية والسياقى نبر الإيقاع، ولكل من نوعى النبر عدد محدود من القواعد المطردة التى يمكن أن تنضبط بها أجراس المقاطع علوًا وانخفاضًا. ذلك أن النبر إنما هو وضوح فى السمع لبعض مقاطع الكلمة أو السياق أكثر مما يكون من الإسماع فى المقاطع الأخرى: أرايت إلى من يقوم خطيبًا فيضرب بجمع يده على المنضدة التى أمامه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا عند نطق المقاطع التى يقع عليها النبر، ويقع النبر فى لفظ "جدة" على كسر الجيم، وفى "النادى" على الألف التى بعد النون، وفى "الثقافى" على الألف التى بعد القاف. ولا أجد متسعًا من مساحة هذه الأوراق لتفصيل القول فى قواعد النبر، فمن شاء فليرجع إلى كتاب "اللغة العربية - معناها ومبناها" لصاحب البحث.

ولقد يضطر المرء أحيانًا إلى الكلام عن نبر أولى وآخر ثانوى. فإذا طالت الكلمة العربية فأصبحت بوزن كلمتين قصيرتين ألقى عليها نبران آخرهما أولى قوى، وأولهما ثانوى أضعف إسماعًا من صاحبه، فإذا نظرنا إلى كلمة مثل "مستقيم" وجدناها تساوى من حيث مطلق الحركات والسكنات كلمتين مثل "خير حال" إذ يقع نبر على فتحة الخاء فى "خير"، ونبر آخر على الألف فى "حال". وهكذا تعتمد كلمة مستقيم على قوة الإسماع فى موضعين منها: أولهما ضمة الميم وثانيهما ياء المد. وثانيهما أوضح من أولهما.

وإذا نظرنا إلى السياق المتصل العربى وجدنا نوعى النبر المذكورين يقعان دون نظر إلى حدود الكلمات. وسبب ذلك أن السياق يدخل على الكلمات من اللواصق وحروف المعانى والأدوات ما قد يكون فى صورته على حرف واحد، فيبدو كأنه جزء من بنية الكلمة تتغير به البنية، فيدعو إلى تغيير موقع النبر فيها، والمسافات بين نبر فى السياق ونبر آخر هى الأساس الذى يقوم عليه الإيقاع، هذه المسافات قد تتساوى تساويًا دقيقًا (وهذا نادر) فيبدو إيقاعها قويًا أقرب ما يكون إلى طبيعة

الوزن نحو "من تأنى نال ما تمنى" إذ يقع النبر على مقطع ويترك مقطعا بانتظام هكذا (ويتمثل النبر في الخط الذى تحت المقطع):

مِن ت أَن نَا ل مَا ت مِن نَا

ولكن المسافة بين النبرين فى الحالات الأخرى قد تكون بطول مقطع واحد، وقد تصل إلى ثلاثة مقاطع كما نرى فى قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ إذ تبدو على الصورة التالية:

لِي ل تَل قَد ر خِي رن مِن اَل ف شَهِر

فبين النبر الأول والثانى مقطعان لم يقع عليهما نبر، وبين الثانى والثالث واحد، وبين الثالث والرابع اثنان، وبين الرابع والخامس واحد. ولا يطعن اختلاف المسافات فى الإيقاع كما أن الزحافات والعلل لا تطعن فى وزن الشعر.

هذا عامل من عوامل الإيقاع أما العامل الآخر فهو قصر الجمل وتواليها متساوية الأبعاد مترابطة المعانى من خلال التبعية أو التفسير أو الجواب أو نوع آخر مما أشرنا إليه تحت الكلام عن السبك، فعندئذ يجد السامع فى السياق من الإيقاع ما يعين على خلق الأثر الوجدانى فى النفس، كالذى نجده فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿١﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٢﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٣﴾ يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْفُرُ ﴿٤﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿٥﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿٦﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿٧﴾ وهذا النوع من إيقاع الجمل يقف بالكلام فى منتصف الطريق بين النثر البسيط وبين الشعر.

لقد كنا نتكلم عن الماء والرونق، ولقد قلنا إن الماء يذهب بالجفاف ويضفى على الأشياء الرونق، أى أنه حيثما وجد الماء كان الرونق، ومن هنا أطرده الربط بينهما بحرف العطف فى النقد التراثى فقليل للنص إنه "له ماء ورونق" فما الماء المقصود؟ الذى يبدو لى أن الماء هنا مجاز عن الإيقاع، سواء كان هذا الإيقاع من خلال

مسافات النبر، أم من أطوال الجمل. وهكذا يمكن أن نفسر من الظواهر التي وراء الصياغة اللغوية للنص ما عرفه القدماء من خلال الانطباع، ولكنهم لم يستطيعوا تحليله ووصفه، فكان بالنسبة إليهم كما قال الموصلي: "تحيط به المعرفة ولا تدركه الصفة".

والله ولى التوفيق،،

مندور	النقد الأدبي عند العرب
السبكي	عروس الأفراح
السيوطي	المزهر
تمام حسان	اللغة العربية - معناها ومبناها
عبد القاهر	دلائل الإعجاز

المدخلات على بحث الدكتور تمام حسان

الدكتور حامد الشنبري.. وفي الجرس مثلاً نجده تحدث عن أن طبقات الصوت تحدد الجرس في الكلمة وكذلك مدى تدخل هذا الجرس في حسن التأليف، بحيث يصبح تقارب المخارج في أحرف الكلمة الواحدة سبباً في صعوبتها وتباعد المخرج يؤدي إلى سلالة الكلمة وسلامة النص.

بعد ذلك أقول إنني أتمنى لو أن الدكتور تمام حسان تعرض لمصطلح "الوضع والاستعمال وأثره في الديباجة وحسن الكلام" وذلك أننا نعرف أن الكلمة توضع لمعنى وتستعمل داخل النص لمعنى آخر.

الدكتور تمام حسان: أخى وصديقى الدكتور لطفى عبد البديع يعترض بفكرة الآيات الملبسة وأنا أعترف بأن "آلم" و"آلمر" متشابهة وملبسة ولا أحد يعرف ما المقصود بها تماماً ولذلك فإن الردّ الطبيعي عند السؤال عنها هو "الله يعلم بمراده من ذلك" ولكن كلما جاءت آية قرآنية فيها تركيب نحوى يكون عرضة للبس فإن القرآن يأتى بعد ذلك لتحديد معنى معين يوضح موضع اللبس، ولكن القضية هى أننا قد نختلف فى هذه القرينة التى عثرت عليها، ومن هنا فإننا لو أخذنا كل الآيات التى قال عنها النحويون بأن فيها أعرابين، (وفى أعرابان معناه فيها لبس لأن الإعراب صنو المعنى) فإننا نجد أن أحد هذين الإعرابين أو الاحتمالات عليه دليل فى موضع آخر من النص القرآنى.

وقد اعترض الدكتور لطفى بالإحالة وقال إنها عدم مطابقة الكلام للواقع، ولكن الإحالة تأتي أحياناً حينما تقول كلاماً لا معنى له كأن تقول مثلاً: حلّكف الجعبور بقعاصة الفيفانه، وهو كلام تستطيع أن تعربه فتقول حلّكف فعل ماض والجعبور فاعل وهكذا ولكن يظل لا معنى لهذا الكلام. وهذا يعنى أنه يحمل مستوى من الدلالة.

وربما تستطيع أن تجعل هذه الكلمات عنصرها المعجمى ولكنه لا معنى له عند التركيب.

فإذا ارتقينا بعد ذلك إلى جملة يمكن أن يقترح لها أحد معنيين فهذا هو اللبس، وعلى هذا الأساس فإن اللبس يأتى إما نتيجة لفقد العنصر المعجمى أو للانحراف بهذا العنصر المعجمى كأن تأتى بكلمتين لا تلتقيان فتؤدى إلى الدلالة المقفلة التى لا يمكن حلها.

ولكننا فى القرآن الكريم لا يمكن أن نجد آية ملبسة أو فيها لبس إلا ووجدنا القرآن الكريم يأتى بحلها فى آية أخرى ويوضح معناها ويزيل اللبس الكامن فيها والأمثلة على ذلك كثيرة.

أما الدكتور شكرى فيقول: إن المحدثين يتعمدون الإحالة وهذا ما أردت أن أقوله حينما قلت إن الإحالة هى أن تأتى بكلمتين ليس بينهما رابطة معجمية.

والأخ الدكتور كمال أبو ديب يقول إنه لم يدرك موقف القدماء من هذه المصطلحات وأنا كنت أتمنى لو أنه قرأ هذا البحث قبل أن ألقيه ولكنه لم يفعل، وقد نصحنى أن أشير إلى أمسبون، والواقع أن هناك كثيرين تعرضوا لهذه المسائل ولكنى أحببت أن أجعل البحث عربياً.

ويتساءل الدكتور كمال: كيف يكون اللبس موجودًا وملغى في نفس الوقت؟ وأقول إنه وجد بالتركيب وألغته القرينة.

ويقول الدكتور كمال: قد أقول غداً إن تأويل تمام يحتاج إلى وضع جديد وأقول: لا مشاحة في هذا ولكنك تحتاج في ذلك إلى قرينة.

أما استعمالنا للكلمة "فاصلة" فإننا نقول إنها أصبحت مصطلحاً فنياً يختلف عن السجعة والقافية ولم يعد معناها دينياً فحسب.

والأخ الدكتور الطرابلسي يقول: إن سبب الغموض ربما كان العلاقة الاعتبارية، ولكنى لا أرى ذلك لأن السبب هو أن اللغة متناهية والأفكار لا متناهية، فوسائل اللغة وأدواتها محدودة بينما وظائفها لا محدودة ولذلك يأتي اللبس.. فاللبس سببه ضيق اللغة.

وطلب الدكتور الشنبري أن يكون هناك بيان لمصطلح الوضع والاستعمال، وهذا المصطلح ملبس ومبهم فهناك وضع للكلمة ووضع للجملة وهى معانى متعددة ونحن قد تجنبنا هذه المعانى الملبسة..

مداخلة من الدكتور حمادى صمود: أو أن أسأل الدكتور تمام حسان، فهو قال إن المعانى تفوق الكلمات وهى مقولة قديمة من الجاحظ، وسؤالى هو كيف نعرف هذه المعانى خارج اللغة أى كيف نعرفها ونحن لا نعبر عنها؟

د. تمام حسان: أنت لديك كلمات مثل مفاتيح الكمبيوتر تستدعى بها هذه الكلمة أو تلك، ففى يدك الكلمات وفى رأسك الكلمات.

د. محمد برادة: جوهر السؤال هو كيف تدل على أن المعانى أكثر من اللغة، وهى قضية تتعلق بجوهر الشعر، ذلك أن اللغة واسعة وهى تحاول أن تكسر محدودية اللغة؟

د. تمام حسان: أنت تحاول أحياناً معنى ويستعصى عليك فتعترف أنك لا تعرف كيف تعبّر عنه ولذلك فالمعاني أوسع من اللغة.

دكتور حمادى صمود: يا دكتور.. الجاحظ قبل ألف سنة تخرج من القطع فى هذه المسألة وقال: إن المعانى قبل أن تحيط بها اللغة موجود فى هيئة معدوم.. ولم يجرؤ أن يقطع بهذا..

ثالثاً: غيبيات في دراسة النص القرآنى

- ١٣ - اللغة العربية والهوية الإسلامية
- ١٤ - مفهوم الوحي في القرآن الكريم
- ١٥ - الوحي والتوحيد
- ١٦ - الألوهية والربوبية
- ١٧ - الرسالة والنبوة
- ١٨ - رب يوسف كما يفهم من القرآن الكريم
- ١٩ - دراسات في النص القرآنى
- ٢٠ - أكذوبة الغرائق

اللغة العربية والهوية الإسلامية كما يعبر عنها القرآن الكريم

كانت الديانات قبل الإسلام ذات طابع محلي أو قومي. مثال الديانات المحلية ديانة البوذية والزرادشتية والبراهمية وكلها ديانات ذات حدود جغرافية في مناطق شرق آسيا، ومثال الديانات القومية التي تخاطب قومًا بعينهم الديانة اليهودية والمسيحية. فالأولى كانت لإخراج بنى إسرائيل من مصر (وإن اشتملت على محاولة هداية فرعون) والثانية جاءت من أجل هداية الخراف الضالة من بنى إسرائيل، ولم يصرفها إلى الطابع العالمى إلا أباطرة الرومان.

أما الإسلام فقد جاء منذ البداية: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]. وخاطب الناس جميعًا بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] وخاطب النبي بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وأمره أن يقول للناس عن القرآن: ﴿لَا نُنذِرْكُمْ بِهِءَ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فكل من بلغه أن قرآنًا نزل على محمد ﷺ مخاطب بالدعوة إلى الإسلام أينما كان مكانه في هذا العالم. لهذا كان الإسلام آخر الديانات وكان محمد خاتم الرسل. فلم نجد بعد الإسلام في الزمن دينا ولا بعد محمد ﷺ رسولاً، وإن وجدنا فإنما نجد كثرة الضلالات وتعدد المضلين.

نزل القرآن الكريم على محمد ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] دعاه أول الأمر إلى القراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وأشار إلى وسيلة

الوصول إلى المادة المقروءة بقوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]. ثم انقطع الوحي مدة من الزمن فظن النبي أن الله قد تركه فاشتد ذلك عليه حتى عاد الوحي بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿٢﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [٢ - ٤] فكانت هذه النزلة الثانية خيرًا من الأولى لأنها فتحت الباب لنزول عقيدة وشريعة وأخلاق وعلاقات وآداب سلوك. تلك هي الأمور التي يمكن الاعتماد عليها في محاولة فهم الهوية الإسلامية، فالمقصود بهذه الهوية التكوين الثقافي بمفهومي الثقافة؛ وهما المفهوم التعليمي التحصيلي والمفهوم الأنثروبولوجي الاجتماعي.

كان جمهور المخاطبين بهذه الدعوة عند ظهورها محدودًا بإنذار عشيرته الأقربين تمهيدًا للتوسع حتى تصبح الدعوة عامة لجميع البشر. وهكذا تحولت الدعوة من عشيرة النبي ﷺ إلى كل من سكن شبه جزيرة العرب. وكان هؤلاء طوائف متعددة على النحو التالي:

١- الأميون: وهم أفراد القبائل العربية في الحاضرة والبادية. وقد جاء اسمهم على هذا النحو للتفريق بين أبناء "الأمة" العربية وبين الجاليات الكتابية التي تشاركهم في سكنى الجزيرة، وأشهرها اليهود والنصارى، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ليجعل هذا الإرسال في مقابل ما سبق من إرسال رسل من أهل الكتاب، ولقد قرأ في أذهان اليهود دائمًا أن الله أباح لهم مخاشنة الأميين (أبناء الأمة العربية) فكانوا (ما يزاوون) يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. ثم إن العرب لكونهم أمة غير قارئة ولا كاتبة كانت حالهم هذه سببًا في تطور معنى الأمية إلى الجهل بالقراءة والكتابة، وجعل ذلك في مقابل مفهوم أهل الكتاب، وهكذا قام التقابل بين مصطلحين يدل أحدهما على أمة تجهل القراءة والكتابة ويشير الآخر إلى جاليات ذات كتب.

٢- أهل الكتاب: والمقصود بالكتاب هنا ما يشمل العهد القديم (التوراة وما

أضيف إليها) والعهد الجديد (الإنجيل). والعهد القديم كتاب اليهود، أما العهد الجديد فهو للنصارى.

أ - كان اليهود يسكنون يثرب وخيبر وفدك وغير ذلك من واحات شبه الجزيرة. وكانوا ذوى وضع اجتماعى ورخاء اقتصادى ملحوظ، كما كانت لهم مؤسساتهم الدينية التى يقوم عليها أحبارهم، وكان هؤلاء الأحبار يقرأون فى التوراة بشارة بأن نبياً سيظهر فى الأرض العربية فيظنون - فيما يبدو - أنه سيكون منهم. فكانوا لهذا ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]، أى يقولون إنهم سيكونون أعز جانباً من الأميين بظهور هذا النبى، "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به".

ب - أما النصارى فكانوا موزعين بين مواقع مختلفة فى شبه الجزيرة إما مستقرين فى موقعهم كأصحاب الأخدود فى اليمن وإما طوافين منشغلين بالدعوة إلى المسيحية من النساطرة أو من اليعاقبة، وهؤلاء وأولئك يشملهم قول امرئ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه	كلمح اليبدين فى حبى مكلل
يضىء سناه أو مصابيح راهب	أمال السليط بالذبال المفتل

فكان لكل من العرب واليهود والنصارى هويته التى تختلف عن هوية الآخر أو تصطدم بها.

٣ - أخلاط أخرى:

هم أفراد من أبناء الأمم الأخرى من فرس وروم وحشبش إما فى عداد الموالى أو من الأرقاء أو أصحاب المصالح المختلفة، وكان نصيب كل من هذه الهوية يتمثل فى نسبته إلى المصدر الذى قدم منه. ومن هنا سمعنا عن سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلا الحبشى وغيرهم من الغرباء المستضعفين الذين أعزهم الله باعتناق الإسلام.

دخلت الدعوة الإسلامية منذ البداية في مواجهة حازمة ضد ثلاثة من الأعداء
يبدأ اسم كل منهم بحرف الشين وهم:

١- الشرك.

٢- الشيطان.

٣- الشهوة.

أما الشرك الذى تمثل فى عبادة آلهة من دون الله فأشهر صوره كانت عبادة الأصنام، وهى أهم ما فى تراث الأميين الذين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]. والمقصود بالآمة هنا الطريقة والاتجاه. وكانت عبادة الأصنام سبباً فى رفعة شأن قريش، لأن قريشاً كانت لها سدانة الكعبة ومن حولها أصنام القبائل، فكان القرشيون حراساً على هذا الوضع الذى يرفع من شأنهم بين القبائل. وكان ذلك سبباً من أسباب إصرارهم على مقاومة الدعوة إلى الإسلام. ومع ذلك كان المشركون يعلمون أن الله هو الخالق: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقد سعى عبد المطلب ابنه: عبد الله، وكانوا يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿ هَتُوْا لِي شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. ومعنى ذلك أن لفظ الجلالة لم يكن كلمة ارتجلها المسلمون بل كان هذا اللفظ من ألفاظ اللغة العربية فى عصورها المختلفة، ومع ذلك وعلى رغم هذه الحقيقة انصرف الجاهليون إلى عبادة الأصنام من دون الله، وجاءت الدعوة الإسلامية لتبطل هذا الشرك، وتجعل العلاقة بين الإنسان وربه مباشرة لا وساطة فيها لصنم ولا لعبد صالح حى أو ميت، وذلك جزء من هوية المسلم.

والشيطان عدو للإسلام والمسلمين. ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] ذلك بأن الشيطان يدعو إلى الضلال، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿ [النور: ٢١]. ولقد أجمعت الكتب السماوية على أن الشيطان الأكبر (إبليس) كان سبباً في إغواء آدم وتوجيهه إلى معصية ربه، ومن ثم في إخراجهم من الجنة، وحين طلب الشيطان من الله أن يمهلهم إلى يوم البعث بقوله: ﴿ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤] أجابه الله تعالى إلى ما طلب فلم يشكر ربه على هذه الإجابة وإنما قال: ﴿ لَا تَخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ ﴿ وَلَا أَضِلُّهُمْ وَلَا مَنِّتُهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَبْتَغُنَّ ءَاذَانَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ فَلْيَغْيِرْنِي خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٨ - ١١٩]. فهو مسلط على الضعفاء من خلق الله: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠]. أما أصحاب الهوى الإسلامية النقية من عباد الله فلا سلطان له عليهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

والعدو الثالث للإسلام شهوات النفس الأمارة بالسوء. وهى ثلاث أنواع أيضاً:

١ - اللذة الحسية.

٢ - حب المال.

٣ - حب الغلبة.

ففى حرص الإسلام على كسر شره الشهوة الحسية دعا المسلم إلى إنشاء العلاقة الزوجية المشروعة ودعا من استطاع الباءة أن يتزوج وحرم الزنا. وحين نظر على زيادة عدد النساء على عدد الرجال أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة: ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾ [النساء: ٣]، ولم يجعل ذلك دون قيد، فاشتراط القدرة على العدل بينهما: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء: ٣].

والمقصود بهذا القيد كسر الشهوة الحسية المطلقة بعد إباحة التعدد، والمعروف أن بدليل التعدد فى أغلب الحالات يتحول إلى الفساد والإفساد كما نشاهد فى

المجتمعات الغربية ومن محاربة الشهوة الحسية تحريم الخمر التى هى أم الكبائر والنهى عن تناول الأعراض والتجسس والغيبة وغير ذلك من المفاسد.

وأما حب المال فحسبنا أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ فَقَدْ أَكْرَمْتَنِي ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ فَقَدْ أَهَنْتَنِي ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ [الفجر: ١٥ - ٢٠].

فيظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى يبتلى الإنسان بكثرة المال فيرى الإنسان نفسه فى نعمة وإن لم يكن له منها إلا المال، ويبتليه بضيق الرزق فيرى فى ذلك إهانة له. وهو فى حال السعة لا يكرم اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، وإنما يبالغ فى استهلاك المال وما يحصل به عليه من تراث الدنيا، هكذا يرفض الإسلام الافتتان بالمال، ويجعل المال ملكاً لله، كما يجعل الإنسان مخولاً بالتصرف فيه ومحاسباً على طريقة إنفاقه، ومن ذلك أيضاً أن الله حرم الربا وبعض التصرفات المالية المشبوهة، وشرع الزكاة وأوصى بالصدقة وجعل للفقراء والمحرومين نصيباً مفروضاً من أموال الأغنياء كما جعل حسن التصرف فى إنفاق المال طريقاً إلى الجنة.

وحارب الإسلام شهوة الغلبة بأن دعا إلى التواضع وأنكر الكبر والتباهى وفرض السلطة وإهدار الأنفس بغير حق والظلم واحتقار الضعفاء والسخرية منهم. كما أنكر التمييز بين الناس بسبب النسب أو اللون أو العرق، وجعل الفضل بينهم معلقاً على التقوى دون غيرها، تلك هى ثوابت الدعوة الإسلامية التى ينبت على الحكمة والموعظة الحسنة، والتى تسعى إلى تثقيف المسلم ثقافة تسلكه فى عداد عباد الله الصالحين الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦]. وتلك آيات تبين الكثير من عناصر الهوية الإسلامية، كما تبينها أيضاً الآيات الأولى من سورة المؤمنون.

انبلج صبح الإسلام فنشأت ظروف ومواقف لم تكن قائمة من قبل. وبدأت

سلسلة من التحولات جعلت الأمة تبحث عن وسيلة تصل بها إلى غايتها فلم تجد أداة لبلوغ هذه الغاية أجدى ولا أعظم أثراً من اللغة التى بها نزل القرآن وجرى بها تبليغ الدعوة. لقد أعاد الإسلام صوغ كل شىء لم ينسجم مع تعاليمه، وكان نزول القرآن بلسان عربى ميين ثورة بكل المقاييس، سواء فى مجال اللغة ذاتها من حيث هو نص معجز، أم من حيث العقيدة لأنه يبشر بدين يخاطب البشر جميعاً ولا يقف عند حدود قومية بعينها، أم من حيث الشريعة التى أبطلت ثقافة الجاهلية بأكملها وأحلت محلها شريعة نظمت أحكام السلوك والعادات والتقاليد، وبنيت المجتمع الجديد على أسس من العدالة والأخوة والمساواة، وأذابت الفروق بين الأعراق والألوان، وبين الفقراء والأغنياء، ثم جاء وعد الله لعباده صادقاً إذ قال: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [غافر: ٥٤].

كانت اللغة العربية بهذا وعاءاً للتعاليم الإسلامية، كما كان القرآن بنصه العربى مفتاح الدعوة ودستورها وصوتها المسموع فى كل مكان. ففى آياته نص العقيدة وشرحها وأحكام الشريعة وقواعد السلوك ومكارم الأخلاق. فكان العلم بمعانى نصوصه ضرورياً لفهم مطالب الدين الجديد. فأقبل المسلمون عندئذ على القرآن طلباً لفهم نصه، ووفاء بالدعوة إلى قراءته فى الصلاة بحفظ الفاتحة وعدد من قصار السور لتكون عبادته صحيحة، وليطمئن قلبه إلى حسن ثواب الآخرة، وهكذا جعلت اللغة العربية تتجاوز حدودها الجغرافية إلى بلاد لم تعرفها من قبل، وإلى السنة لم يكن لها سابق نطق بها، فانتهى الأمر بالعربية إما إلى مشاركتها للغات المحلية فى البلاد الإسلامية وإما إلى اجتثاث اللغات المحلية وحلول العربية محلها على نحو ما وقع فى بلاد العالم العربى الحاضر بين الخليج والمحيط.

وبعد القرآن الكريم تأتى السنة النبوية المطهرة التى تفصل ما أجمله القرآن، وينبغى أن نشير هنا إلى أن السنة إما أن تأتى فى صورة قول أو عمل، أما العمل فمثاله أن القرآن لم يحدد كيفية أداء الصلاة وإنما حددها عمل النبى ﷺ إذ طلب إلى

المسلمين أن يصلوا كما رأوه يصلى، وأما القول فيكفى أن نشير إلى الصحاح من روايات الأئمة من أمثال البخارى ومسلم، وكما عنى المسلمون بالقرآن كانت عنايتهم بالسنة.

قلنا إن العرب كانوا يجهلون القراءة والكتابة فلم تكن لهم ثقافة بالمعنى الفكرى وإن كانوا أصحاب ثقافة ثرية بالمعنى الأنثروبولوجى كما يتضح من الشعر العربى الذى سمى بحق "ديوان العرب" أى أرشيف ثقافتهم الشعبية، وتاريخ أحداثهم، حتى يمكن أن نضعه بكل اطمئنان إلى جانب القرآن والسنة فى تشكيل الهوية العربية، وإلى حد ما الهوية الإسلامية، لأن الشعر العربى كان وسيلة للدلالة على عربية النص القرآنى كما كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وتحدياً للفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله.

وإذا لم يكن للجاهلين ثقافة فكرية فإن النص القرآنى مكن العرب والمسلمين من بناء الثقافة الإسلامية إذ كان القرآن سبباً فى نشأة الدراسات اللغوية من النحو إلى البلاغة، وكان استخراج الأحكام الفقهية من هذا النص سبباً فى نشأة أصول الفقه.

وكان فهم الآيات التى تشرح العقيدة الإسلامية سبباً فى نشأة الفرق والمذاهب، كما كانت محاولة فهم النص سبباً فى نشأة علم التفسير، وأدى النظر فى نصوص السنة إلى نشأة علمى السند والرجال، وأدى تفهم الشعر وتذوقه إلى نشأة النقد الأدبى.. وهلم جرا، مما صاغ للناس نوعاً من الهوية إن كان مبناه على أصول عربية فإن كيانه كان هوية إسلامية بنيت على أصول عربية، ومن الغريب أن هذه الجهود الفكرية لم تكد تبدأ على أيدي العرب حتى تلقاها أبناء العالم الإسلامى من الموالى على نحو وضع العرب فى مؤخرة المشتغلين ببناء صرح الحضارة الإسلامية إذ ظلوا فى موضع القيادة السياسية، وتركوا هذه الجهود الفكرية الخلافة للموالى وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية فيما بعد. وحسبنا أن نشير إلى سيبويه والكسائى والبخارى ومسلم والجاحظ وعبد القاهر وابن جنى والزمخشري وابن سينا

والبيرونى والغزالى وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية من كبار الأئمة الذين بنوا هويتنا الإسلامية من خلال ما تركوا من تراث كتب باللغة العربية، أما الأئمة العرب فكانوا قليلين ومنهم أبو عمرو بن العلاء وابن شهاب الزهري ومحمد بن إدريس الشافعى ومالك بن أنس ابن اسحق الكندى. وهذا النفر القليل لا يعد كافيًا إلى جانب البحر الزاخر من إخوانهم من غير العرب مما كان سببًا في تحويل الهوية العربية إلى هوية إسلامية أوسع مدى يعتز بها أبناء العالم الإسلامى ومحسون من خلالها بالأخوة الإسلامية والانتفاء إلى الكتاب والسنة وما بنى عليهما من ثقافة إسلامية.

عندما دب الضعف والتحلل فى بنية الدولة العباسية نشأت دويلات إسلامية تعترف بتبعيةها للخلافة ولكنها تحتفظ لنفسها باستقلال ذاتى تدبر به أمورها. ومن هذه الدول الدولة البويهية والسامانية والغزنوية والحمدانية والأغلبية والفاطمية وغيرها من الدول الصغرى. وكان من الطبيعى أن تضعف الرابطة الرسمية بين المسلمين بسبب هذا التعدد، ولكننا على عكس ذلك نلاحظ ازدهار الفكر والأدب فى هذه الفترة حتى إننا إذا أردنا أن نحدد فترة الازدهار فى الثقافة الإسلامية قلنا إنها كانت فى القرن الرابع الهجرى. ثم استشرى الضعف السياسى فى العالم الإسلامى مما أدى إلى سقوط الخلافة العباسية، وقيام خلافة أخرى هى الخلافة العثمانية التى حافظت على القوة العسكرية للمسلمين، ولكنها لم يكن لها من الحس الثقافى ما يدعوها إلى المحافظة على المد الفكرى للثقافة الإسلامية. ومن هنا تسرب الضعف إلى الجانب الثقافى فى العالم الإسلامى، ولولا الأزهر وغيره على التراث الدينى الإسلامى لا نقطع حبل الوصل بين ماضى المسلمين وحاضرهم.

قام الأزهر بدور المتحف الذى يحافظ على النفائس دون إضافة إليها. وتركه العثمانيون لهذا الدور بعد أن ألغوا الاجتهاد، وقدموا لغتهم التركية لتكون لغة الدواوين، فقام الأزهر بهذه المهمة بغيره وإخلاص، وقصده أبناء المسلمين من

مختلف أنحاء العالم الإسلامى، فكان سبباً من أسباب المحافظة على الهوية الإسلامية والإبقاء على الوعي بها دون إضافة إلى رصيدها، وهكذا خيم الظلام على العقل الإسلامى طوال مدة الحكم العثمانى، وأصبح النشاط العقلى يبدو فى صورة الشروح والحواشى دون الإبداع.

ثم ثواب العالم الإسلامى وتمطى وفتح عينيه بظهور بعض الجماعات الإسلامية فى مختلف الجهات، كالوهابية والسنوسية وظهور الدولة العلوية فى مصر. وكان لكل من هذه الحركات دوره المختلف من التصوف إلى التأصيل إلى القوة العسكرية الطامحة إلى التنوير والانتفاع بمعطيات الحضارة الغربية، ويهمنى عند هذه النقطة أن نلقى الضوء على هذا التطور الأخير (أقصد تولى محمد على حكم مصر والياً تابعاً للدولة العثمانية مع وجود الأزهر والتراث الإسلامى فى دائرة سلطته). مما يعطى الفرصة لأول احتكاك بين الهوية الإسلامية والحضارة الحديثة.

كان محمد على رغم أميته ذكياً طموحاً فتمكن بذكائه وطموحه من الاستقلال بمصر عن سلطة الخلافة العثمانية، وأن يدرك الطريق إلى النهوض بالدولة التى استقل بها، فاتجه إلى الاستعانة بالغرب وبفرنسا بصفة خاصة، كانت الآثار الثقافية للحملة الفرنسية التى غزت مصر قبيل ولايته عليها بقليل ما تزال موضع إعجاب من المثقفين المصريين، وكانت الثقافة الفرنسية المتحررة من الأطر الفكرية للعصور الوسطى بعد الثورة ذات جاذبية خاصة لدى مستشارى محمد على، فنصحوه بتنشئة طائفة من الشباب المصرى المزودين بتربية ثقافية عصرية، وأن يتم ذلك بإرسالهم إلى فرنسا للحصول على هذه التربية الثقافية من خلال التخصص فى فروع مختلفة من العلم الحديث.

وفى الوقت ذاته أنشأ محمد على عددًا من المدارس الابتدائية والثانوية على النظام الحديث فى التربية، وأمر بترجمة المؤلفات التعليمية والعلمية من الفرنسية إلى

العربية، وبتأليف الكتب المدرسية لخدمة هذا الغرض، فكان ذلك بداية لنشأة نوع جديد من التعليم الحديث يختلف طابعاً وغاية عن التعليم الأزهرى. فظل هذان النوعان من التعليم قائمين جنباً إلى جنب في مصر إلى يومنا هذا: تعليم الأزهرى وتعليم عام.

أرسل محمد على البعثات إلى فرنسا واستعان بعلماء من فرنسا من أجل دعم الجهود المحلية في غرس جذور علمية مختلفة في التربة المصرية كالطب وغيره، وهكذا استعان محمد على بعطاء عنصرى الزمان والمكان: فأما الزمان فقد هياً لمحمد على ولاية على مصر ومنح فرنسا تفوقاً على بقية الشعوب الأوروبية نظراً لنتائج الثورة والتحرر من قيود العصور الوسطى، وأما المكان فقد أعان محمد على بوجود مصدر يستمد منه طلاب البعثات التى يرسلها إلى فرنسا، وذلك هو الأزهر. ثم إن جهود محمد على كانت في النهاية خضوعاً لضرورات العولمة الثقافية لإمداد اللغة العربية بمدد من الكفاءة الإضافية يجعلها قادرة على أداء دورها في تنمية العقلية الإسلامية.

إن الناظر إلى مظاهر الهوية الإسلامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامى لن يفشل في العثور عليها في صور مختلفة بين التطرف والاعتدال، وقد يكون التطرف في صورة الإرهاب أو في صورة التأصيل، كما يكون الاعتدال في صورة السباحة أو في صورة التوكل، وبين هذه الصور الأربع نجد المواقف تختلف بين ما نراه في أفغانستان وفلسطين ونيجيريا والفلبين والبوسنة والشيكان وكشمير وغيرها من مواطن الاحتكاك بين الهوية الإسلامية وغيرها من الهويات، ولو حاولت الكشف عن طبيعة الهوية الإسلامية في كل هذه الأحوال لوجدت الثقافة الإسلامية بلغتها العربية هى المصدر الأساسى لهذه الهوية، ولوجدت عناية المسلمين بلغة القرآن دليلاً لا يخطئه الفهم على اعتزاز الأمة الإسلامية بهذه اللغة. إن مسابقات حفظ القرآن لتظهر بوضوح أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يعتزون بكتاب الله

وبلغته العربية حتى إن كانت نشأتهم قامت على استعمال لغة غير لغة القرآن، وإن ما نسمع عنه من تسابق الولايات النيجيرية إلى إقامة الشريعة الإسلامية قانوناً للسلطة والحكم ليدل على مدى إكبارهم للهوية الإسلامية، وإن ما نعلمه من إحساس المسلمين في مختلف بقاع الأرض بتميزهم الديني والثقافي عن سواهم لدليل على شعورهم بهذه الهوية. أضف إلى ذلك أن عدداً من الدول الإسلامية غير العربية كالصومال وجيبوتي وجزر القمر لم تجد من المنظمات ما تنسب إليه إلا الجامعة العربية.

إن اللغة العربية ستبقى حية ولن تموت. ذلك ما يدل عليه وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفِظُهُونَ﴾ [الحجر: ٩]. إن المرء ليدرك ما يبشر به حاضر اللغة العربية من مستقبل مزدهر يتناسب مع طموح أبنائها إلى الوصول لمستوى مشرف يذكرهم بما كان لأجدادهم من ماض مجيد اتسعت به رقعة لغتهم في أرض الإسلام. إن اللغة العربية ما تزال تحتل مكاناً مرموقاً بين اللغات الأخرى على الرغم مما أصاب العرب من ضعف سياسى ومن بعد عن مركز القيادة في العالم. ومن الأدلة على هذا المركز المرموق للغة العربية ما يلي:

- ١ - أنها واحدة من عدد من اللغات التى تستعمل فى المحافل الدولية.
- ٢ - أنها إحدى اللغات ذات الاتساع الإعلامى من خلال الأقمار الصناعية.
- ٣ - أن لها وجوداً فى المؤتمرات العلمية وفى الأوساط العلمية.
- ٤ - أن الأدب العربى المعاصر يحظى بالترجمة إلى اللغات الأخرى.
- ٥ - أن نمو اللغة العربية فى حقل المصطلح يجعل من الممكن فى يومنا هذا أن تتسع لغة العرب لجهود الترجمة فى الكثير من حقول المعرفة.
- ٦ - أن الإنتاج العربى فى العلم والأدب يحصل اليوم على جوائز علمية.

٧- أنه بعد اعتماد التعليم من خلال العربية على التلقين وحفظ النصوص أصبح العالم العربى اليوم يزخر بالجامعات ومراكز البحوث، وينشئ المدن العلمية لأول مرة فى تاريخه.

٨- أن الدراسات اللسانية والنقدية التى تتناول اللغة العربية تشهد فى الوقت الحاضر نهضة تذكرنا بما كان لها فى الأيام الخوالى من عناية باللغة والإنتاج اللغوى.

٩- إن اللغة العربية استوعبت الآن أساليب جديدة لم تكن لها من قبل كأساليب المسرح والسينما والصحافة والإعلان والدعاية بصورها المختلفة.

١٠- أن الشعر العربى يخضع فى حاضره لتجربة جديدة يروج أصحابها لها وإن كنا ﴿لَا نَذَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] لأن هذا الشعر بعيد عن تقاليد الشعر العربى وما تمتاز به من وسائل الإطراب الصوتى، وتعزف عما سماه السلف "عمود الشعر".

كل هذه العناصر التى تدعو إلى الاطمئنان إلى مستقبل اللغة العربية وإلى أثرها فى تحقيق الهوية الإسلامية لا تمنعنا من التحذير من ظواهر خطيرة نراها نتعارض مع هذا المستقبل، وتدعو إلى الاحتراس من إهمال مقاومتها، من هذه الأمور:

١- هرولة بعض المثقفين إلى تطعيم حديثهم بالكلمات الأجنبية التى لها ما يقابلها باللغة العربية من الألفاظ المشهورة. وذلك طلباً للوجاهة.

٢- استعمال لغة الإعلان لأسماء أجنبية لمؤسسات عربية، وكتابة أسماء عربية بحروف لاتينية.

٣- كثرة عدد المدارس التى تعلم أبناءنا باللغات الأجنبية وانعكاس ذلك على هوية هؤلاء الأبناء.

٤- الخضوع القومى لسلطان العولمة وتفضيل المنتجات الأجنبية فى مجال الثقافة على

المنتجات الوطنية، كما في معروضات التلفزيون والسينما... إلخ، وكما في
تفضيل مشاهدة الإعلام الأجنبي على مشاهدة الإعلام الوطنى.
هذه جوانب ذات أثر غير مباشر على الهوية الإسلامية بسبب عدم التمسك
بوسيلة الوصول إليها وهى اللغة العربية.

مفهوم الوحي في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

تشير هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة أنواع من طرق الاتصال بين الله سبحانه وتعالى وبين المصطفين من عباده: النوع الأول قد يكون إلهامًا وقد يكون نفاثًا في القلب (كما يقول القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن) وقد يكون رؤيا منامية، ولكل من هذه الأمور أمثلة واردة في نص القرآن الكريم أما الإلهام فهو صورة من صور العلم اللدني الذي يمنحه الله لعبده من عباده كما يتضح من الأمثلة الآتية:

أولاً: الإلهام:

١ - إبراهيم والأجرام السماوية:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾
﴿فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ رَبِّي ٱلْقَمَرُ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ٱلشَّمْسُ بَازِعَةٌ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ٱلْأَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنفِقُونَ مِنِّي بِرِيءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ۚ فَأَرْثَدْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٥-٦٩]

٣- ذو القرنين:

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٢﴾ إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٣﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ۚ قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٥﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٦﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٧﴾﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٨﴾ [الكهف: ٨٣-٨٩].

ثانياً النفث فى الفؤاد:

٤- أم موسى عليه السلام:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ ۖ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُوتَ ﴿٧٧﴾ ۖ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۖ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧-١٣].

﴿ قَالُوا يَتَّابَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
 قَالَ هَلْ ءَانُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَمِنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا
 نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَعِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ
 كَيْلُ يَسْمِينِ ﴾ قَالَ لَن أَرْسَلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَنَأْتِيَنِي بِهِ ءِلاَ أَن
 نَّخَاطَ بِكُمْ فَلَمَّ ءَاتَاهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا
 مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنْ
 أَحْكَمْتُ إِلَّا ٱللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف ٦٣-٦٧]. وقال
 تعالى أيضًا على لسان يعقوب: ﴿ وَأَعْلَمُ مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦].

ثالثًا: الرؤيا في المنام:

٦ - إبراهيم وابنه الذبيح:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعَىٰ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ
 أَنِّي أَذْخُك فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّىٰ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ
 ٱلصَّابِرِينَ ﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَن يَتْلُ إِبراهيمُ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ
 ٱلْأَرْءَىٰ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ إِبْنُ هَٰذَا هُوَ ٱلْبَلْتُؤُا ٱلْمُيْنُ ﴾ وَفَدَيْنَاهُ
 بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٧].

٧ - رؤيا يوسف:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّىٰ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
 سَاجِدِينَ ﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنْ
 ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ
 ٱلْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ [يوسف: ٤-٦]. وقال سبحانه على لسان يوسف: ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَابِئِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

من وراء حجاب:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿٣﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٤﴾ وَأَنَا آخِزَتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿٥﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٨﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٩﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٠﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ فَالْقَنَاقِطُ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿١٢﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [طه ٩-٢١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرِّينِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴿١﴾ فَلَمَّا نَجَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء:

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١-١١].

هذه هى الطرق الثلاث التى تحقق بها الاتصال بين الله وعباده المخلصين (بفتح اللام) بقصد التكليف بعمل أو برسالة ما. وإذا تأملنا الحالات السابقة التى ذكرها القرآن الكريم ونقلنا نصوصها خطر ببالنا قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] وأدركنا أمرين:

* أن الله سبحانه خلق العباد من أجل العبادة، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا يتصور الإنسان أن يمر بالخلق جيل لا يدعى إلى العبادة بإحدى هذه الطرق المذكورة.

* أن وسيلة الدعوة إلى العبادة قد تكون النص وقد تكون القدوة كما رأينا فى النماذج السابقة.

الوحي والتوحيد

في عنوان موضوع هذه الندوة قضايا ثلاث:

١ - العربية لغة الوحي.

٢ - العربية لغة الوحدة.

٣ - كيف نحافظ عليها.

وقد بدا لي عند قراءة هذا العنوان أن الكلام مطلوب بالنسبة إلى القضايا الثلاث. ولهذا كان عليّ أن أتناول كل واحدة منها على حدة:

أولاً: العربية لغة الوحي:

ليس في لغات العالم لغة تدل بالكلمة المفردة على معنى واحد لا تتعداه إلا أن يكون المدلول من قبيل المصطلح أحياناً. فإذا كانت الكلمة مصطلحاً فقد يكون لها معنى واحد كأسماء العلوم مثلاً وقد يكون معناها متعددًا كما يتضح من تعريف بعض المفاهيم إذ يقال إن معناه لغة كذا واصطلاحاً كذا. أما ألفاظ المعجم فإن كل لفظ منها يدل على عدد من المعاني كل منها بطريق الاحتمال ولا يتعين لهذا اللفظ أحد هذه المعاني إلا في السياق. انظر مثلاً إلى الفعل "ضرب" وانسبه في إقراده إلى معنى ما وسترى أن ذلك غير ممكن. أما في السياق فإن المعنى يتعدد نحو: ضرب الولد أخاه - ضرب الله مثلاً - ضرب له موعداً - ضرب له قبة - ضرب عليه ضريبة - ضرب ٦×٥ - ضرب في الأرض - ضرب أخماساً في أسداس إلخ.

ومن الكلمات ذات المعانى المتعددة كلمة "الوحى". فقد تدل هذه الكلمة على تأهيل وحفز كما فى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.
﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ - ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفَىٰ بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِثْرَاهِمَ﴾.
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْنِدُوا لَكُمْ﴾.

وقد يدل الفعل على الإلهام نحو:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنِ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾.
﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾.
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فِإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

وقد يدل على إشارة نحو:

﴿خُذْ حَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.
﴿ءَايَاتِكَ ۚ أَلَّا تَكْلِمَ النَّاسَ﴾.

وقد يكون الوحى تكليفاً للملك بإجراء أمر معين:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

وقد يكون الوحى كلاماً من الله يلقى من خلال وسط مادى معين نحو:

﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

ولا يدل لفظ الوحى بأى من هذه المعانى على أكثر من رسالة قصيرة. أما الوحى القرآنى فهو كتاب عظيم يشتمل على عقيدة وشريعة وآداب سلوك وقصص ودعوة إلى دين قيّم وحياة أخرى تشتمل على الثواب والعقاب، وقد جاء كل ذلك بلسان عربى مبين فاستحقت العربية أن تسمى لغة الوحى.

ثانياً: لغة الوحدة:

يمكن أن توضح مدلول هذه الصفة في اتجاهين أحدهما قومي والآخر إسلامي.

أ - من الناحية القومية: لا شك أن العربية وسعت مفهوم الرباط القومي والثقافي بين جماعة من شعوب الشرق الأوسط المختلفة الأعراق وضمت هذه الجماعة تحت لقب واحد هو "الأمة العربية" التي تمتد رفعتها الجغرافية بين الخليج والمحيط يضمها لسان واحد وتراث واحد وهدف واحد.

ب - من الناحية الإسلامية: إن القرآن الكريم دستور الإسلام وهو كتاب عربي مبين، يتقرب المسلمون بتلاوته إلى الله ويصلون بقراءته ويدعون الله بما اشتمل عليه من دعاء وابتهاال لا فرق في ذلك بين عربي وعجمي وهكذا تصبح اللغة العربية وهي لغة القرآن رباطاً يوحد المسلمين في عقيدة واحدة.

ثالثاً: كيف يمكن لنا أن نحافظ على هذه اللغة؟

أ - من حيث المفردات المعجمية: من المعروف أن بعض اللغات يلجأ إلى الاقتراض من البعض الآخر، وأن الاقتراض لا يكون في مجال القواعد ولا طرق تركيب الجملة وإنما يتسع المجال في اقتراض المفردات وبخاصة في نطاق المصطلحات وألفاظ الحضارة. ولقد اقتضت اللغة العربية الكثير من المفردات من اللغات المجاورة ووضع العلماء ذلك ضمن حقائق فقه اللغة تحت عنوان "التعريب".

ومن الطريف أن اللغويين والمعرّبين ارتضوا عرفاً لهم في التعريب يقوم على ارتضاء مقابلات صوتية بين حروف الكلمات. ومن ذلك ما يلي:

١ - نقلوا صوت C الأجنبي إلى صوت القاف نحو موسيقى وطوبيقا وتحويل اسم إقليم برقة في ليبيا من Cyrenaica إلى القرين وتحويل اسم Cyprus إلى قبرص.

٢ - تحويل صوت Y إلى الضمة كما في قاف القرين وقاف قبرص وسين سوريا.

٣- تحويل صوت V إلى الواو أو إلى الباء كما في لفظ avasta وهو كتاب المجوس الذى عرب إما إلى أوستا وأما إلى أبستاق وكذلك بلنسيه وقرطبة.

٤- تحويل التاء الأجنبية إلى طاء عربية كما في ريطوريقا وبوطيقا وإيطاليا.

٥- تحويل P إما إلى صوت الباء أو صوت الفاء كما في تحويل Ponticus مرة إلى فندق وأخرى بندق.

٦- تحويل الكلمة الأجنبية إلى الأوزان الصرفية العربية قدر الإمكان كما في لفظ فلسفة وهو طقة وإقليم وقسطاس وسجّيل.

بعد كل هذه الإجراءات يصبح اللفظ المعرب فى مستوى اللفظ العربى من حيث القبول فى الاستعمال ويصدق هذا على ما يتم تعريبه فى أيامنا هذه من المصطلحات وألفاظ الحضارة لأن تعريب هذه الألفاظ يتم فى إطار عرف لغوى خاص بالنسبة للمصطلح وعام بالنسبة لألفاظ الحضارة.

أما أن يبيح بعض الأفراد لأنفسهم أن يتحدثوا العرف العام فيطلقوا ألسنتهم بتحريف الكلمات أو استعمال الألفاظ الأجنبية التى تدل على مسميات لا صلة لها بمجتمعاتنا فذلك جريمة فى حق المجتمع. وحسبنا أن تصطك أسماعنا بألفاظ مثل: مارينا - هانوفيل - بيفرلى هيلز - جراند مول - تكييف جولدى - أوليمبيك إيكترىك - باور تربو - كاريار - أفريكانو إلخ من المسميات الغربية على بيئاتنا ولغتنا.

وأوغل فى الإنحراف من ذلك أن تُنسخ الألفاظ العربية لتحاكى صيغاً أجنبية مثل حنفيكو وفرجللوا (بتحريف لفظ الجلالة) وتاكي (بدلاً من تقى الدين) إلخ فى تحدّ ظاهر للعرف اللغوى وعدوان على كرامة اللغة القومية.

ومن اكتساب اللغة (أى لغة) أن يكون بطريق الممارسة ولبس طريق التلقين. ذلك أن التلقين يقدم إلى طالب اللغة قواعد يدعى لها الاطراد مع وجود ما يفند

هذه الدعوى. فأول ما يطعن في هذه الدعوى وجود قواعد أخرى فرعية نتحدى القواعد الأصلية لأنها تتمتع بأمن اللبس. من ذلك جواز الابتداء بالنكرة وجواز الإخبار بطرف الزمان عن المبتدأ المادى إلخ كما يشتمل نظام اللغة العربية على أمور من نقل اللفظ من وظيفته الأصلية في حدود النظام إلى وظيفة أخرى ومن تعدد المعنى للفظ الواحد ومن جواز الترخص في التعبير عند أمن اللبس. وكل ذلك يطعن في فكرة الاطراد التى يقوم عليها التلقين ويؤدى إلى الاعتراف بما يسميه ابن جنى "شجاعة اللغة". ولنا أن نسوق الأمثلة الآتية لهذه الظواهر:

- ١ - قاعدة فرعية ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد
- ٢ - العدول عن أصل الوضع كل قواعد التصريف
- ٣ - النقل ما - من - أى - الظروف - المبهات
- ٤ - تعدد المعنى ضرب - تقول "أنت وهى" ويقولون طاعة
- ٥ - إضافة المصدر أنت أولى بالإنصاف - ودع أذاهم.
- ٦ - ما وما عملته أن يهم
- ٧ - إلا إلا تذكرة لمن يخشى - إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
- ٨ - الترخص شهد الله - وإذ اعتزلموهم - همزة لمزة الذى - مقامًا محمودًا الذى قالتا أتينا طائعين.

هذه الإجراءات كلها من صميم نظام اللغة ولكنها لا تتفق مع تلقين القواعد كما يحدث في حجرة الدراسة.

من هنا كانت الممارسة هى الطريق السليم لاكتساب اللغة وأشهر الممارسات ما مررنا به جميعًا من اكتساب لهجاتنا الدارجة بحيث نتكلمها دون أن نخطئ ولكننا لا نعرف لها نحوًا ولا صرفًا. ليس ذلك فحسب؛ بل إن اللغة العربية الفصحى

تُحطَى في نشاطنا الاجتماعي ببعض الممارسة: فنحن نصلى بها ونتعاقد بها ونراسل أهلنا بها وإن كانوا أميين وتستمتع إلى خطبة الجمعة بها ونقرأ الصحف بها ولكن هذه الأمور جميعاً تتم بممارسة لغة غير سليمة يتقبلها العرف العام على علاقتها وينصرف عنها إلى الدارجة في حياته اليومية.

الأمر إذاً يحتاج إلى التفكير في إصلاح جانب الممارسة وذلك لا يتم إلا في محيط العملية التعليمية بإحلال الممارسة محل التلقين وتنويع صورها بحيث يكون طالب اللغة هو الممارس وهو صاحب الدور الإيجابي في الاكتساب على نحو ما كان عند اكتسابه للغة الأسرة. ولعل من وسائل ذلك ما يلي:

١- توجيه خطط التعليم إلى العناية بشخذ نشاط التلميذ واستنباط طاقاته الإيجابية في التعلم والعدول عن طابع التلقين والحفظ.

٢- التوسع في صور النشاط الثقافي في خارج أسوار المدرسة وتحويل الرحلات المدرسية إلى مناسبات للتعلم مع استعمال اللغة الفصحى قدر الإمكان.

٣- تشجيع المجذّين من الطلاب بالإطراء والجوائز بحيث يثير هذا التكريم دوافع المنافسة عند بقية الطلاب.

٤- جعل الصحافة المدرسية من مفردات خارج الفصل الدراسي وتدريب الطلاب على إدارتها واستعمالها.

٥- حفز وسائل الإعلام المسموعة والمرئية إلى استعمال الفصحى السليمة بقدر الإمكان وإفساح المجال للغة الفصحى في برامج الأطفال.

٦- الانتفاع ببرنامج مكتبة الأسرة والقراءة للجميع والجهود الأخرى التي تبذلها السيدة الفاضلة سوزان مبارك في خدمة ثقافة الطفل لأن هذه البرامج صورة من صور الممارسة التي تنأى بالعملية التعليمية على التلقين والحفظ.

الألوهية والربوبية

أولاً: خصائص الألوهية

ثانياً: خصائص الربوبية:

١ - العبادة	١ - السيادة.
٢ - الوجدانية	٢ - الحماية
٣ - الخلد	٣ - الملك
٤ - الإحياء والإماتة	٤ - المغفرة
٥ - الملك	٥ - الرحمة
٦ - القهر	٦ - العزة
٧ - الطول	٧ - العطاء (الهبة) (الثواب)
٨ - العلم	٨ - التقبل
٩ - القسم (الإبلاء)	٩ - العون والعطاء
١٠ - القدرة	١٠ - الرجاء والدعاء
١١ - الحياة	١١ - الرضوان
١٢ - الحمد	١٢ - القسم (الأسلوب)
١٣ - القوامة	١٣ - الحساب
١٤ - العظمة	١٤ - الحمد
١٥ - الهيمنة والجبروت	

الحمد لله على السراء والضراء

الشكر على السراء فقط

- ١- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾.
- ٢- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ثانياً: الوجدانية:

- ١- ﴿وَالْهَكَرُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.
- ٢- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.
- ٣- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾.
- ٤- ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.
- ٥- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.
- ٦- ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾.
- ٧- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.
- ٨- ﴿مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.
- ٩- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.
- ١٠- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ١١- ﴿قُلْ هُوَ نَزَقَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ١٢- ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.
- ١٣- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
- ١٤- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

- ١٥- ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ١٦- ﴿وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾.
- ١٧- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ١٨- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.
- ١٩- ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾.
- ٢٠- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾.
- ٢١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾.
- ٢٢- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ أَلَوْ جِدَّ الْقَهَّارُ﴾.
- ٢٣- ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ٢٤- ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ٢٥- ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ٢٦- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾.
- ٢٧- ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْيَغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

ثالثاً: الخلق:

- ١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.
- ٢- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٣- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

رابعاً: الإحياء والإماتة:

- ١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي - وَيُمِيتُ﴾.

خامسًا: الملك:

١- ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢- ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾- ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾.

سادسًا: القهر:

١- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

سابعًا: الطول:

١- ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ثامنًا: العلم:

١- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

تاسعًا: القسم (الإيلاء) لم يرد القسم باسم الجلالة في القرآن وإنما ورد القسم بالرب.

عاشرًا: القدرة:

١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

٢- ﴿إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

حادى عشر: الحياة:

١- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

ثانى عشر: الحمد:

١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾.

ثالث عشر: القوامة:

١- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

رابع عشر: العظمة:

١- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

خامس عشر: الهيمنة:

١- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾.

الربوبية:

أولاً: السيادة:

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ - ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ
رَبِّكَ﴾.

٢- ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.

٣- ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

٤- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

٥- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٦- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

٧- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

ثانياً: رعاية:

١- ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ﴾.

٢- ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

٣- ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

٤- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَمِيرٍ فَقِيرٌ﴾.

٥- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ثالثًا: الملك:

١- ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

٢- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾.

٣- ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾.

٤- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾.

٥- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

٦- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٥﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٧- ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُمْضِطُونَ﴾.

رابعًا: المغفرة:

١- ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾. ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٢- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

٣- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾.

٤- ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

سابعًا: العطاء:

١- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.

٣- ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

٤- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾.

٥- ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

٦- ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾.

٧- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

٨- ﴿رَبِّ آتِنِي مِنْ لَدُنْكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.

٩- ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ﴾.

١٠- ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

١١- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

١٢- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

ثامناً: إجابة:

١- ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّرُ الْمَوْتَى.... قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ.....

٢- ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي..... فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا...

٣- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً.... فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي....

٤- ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ.....

٥- ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ.....﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ.....

٦- ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي.....﴾ ﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نَبْشِرُكَ.....

٧- ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ.....﴾ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ.....

٨- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾..... ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾....

٩- ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾.... ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

١٠- ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾.

تاسعاً: الاستعانة:

١- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾.

٢- ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾.

٣- ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾.

٤- ﴿قَالَ رَبِّ أَنصُرْنِي بِمَا كُذِّبُونَ﴾.

٥- ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

٦- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

٧- ﴿وَقْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

١- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾.

٢- ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِينًا﴾.

٣- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾.

٤- ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٥- ﴿رَبِّ أشرح لي صدري﴾.

٦- ﴿قَالَ رَبِّ أَنصُرْنِي بِمَا كُذِّبُونَ﴾.

٧- ﴿رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكًا﴾.

٨- ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

٩- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

١٠- ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.

١١- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

١٢- ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

١٣- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

١٤- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.

١- ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

عاشراً: القسم: (الأسلوبي)

١- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

٢- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَخْشُرَنَّهَمْ﴾.

٣- ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾.

٤- ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾.

٥- ﴿إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

٦- ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾.

حادى عشر: الحساب:

١- ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّلِيحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

٢- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾.

٣- ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

٤- ﴿إِنَّا خَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

١ - الرحمن:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] المهيمن.

﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ [مريم: ١٨] المهيمن.

﴿كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤] المهيمن.

﴿عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥] المهيمن.

﴿فَلْيَعِزِّدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [مريم: ٧٥] المهيمن.

﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٨٥] المهيمن.

﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] المهيمن.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١] المهيمن.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] المهيمن.

﴿إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] المهيمن.

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] المهيمن.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] المهيمن.

﴿وَإِنْ رَأَيْتُمْ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ٩٠] المهيمن.

﴿وَحَشَعْتَ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨] المهيمن.

﴿إِلَّا مَنِ أٰذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٩] المهيمن.

- ﴿مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢] المهيمن.
- ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [الأنبياء: ١١٢] المهيمن.
- ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] المهيمن.
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ [الفرقان: ٦٣] المهيمن.
- ﴿وَحَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] المهيمن.
- ﴿إِنْ يُرِدِ الرَّحْمَنُ بَضْرًا﴾ [يس: ٢٣] المهيمن.
- ﴿الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: ١٩] المهيمن.
- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ [الزخرف: ٢٠] المهيمن.
- ﴿مَا يُمَسِّكُهُمْ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩] المهيمن.
- ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣] المهيمن.
- ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٨] المهيمن.

٢ - الضالين:

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاحة].

٣ - الكتاب:

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] القرآن.
- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٥٣] التوراة.
- ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٧٨] الكتابة.
- ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠١] التوراة.

- ﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٠١] القرآن.
- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] التوراة.
- ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] التوراة.
- ﴿ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦] القرآن.
- ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] كل الكتب.
- ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ٣] القرآن.
- ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٢٠] التوراة.
- ﴿ يَلُودُنَ أَلَسِنَتُهُمْ بِالْكِتَابِ ﴾ [آل عمران: ٧٨] التوراة.
- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] أى كتاب.
- ﴿ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [آل عمران: ٨١] أى كتاب.
- ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٩] كل الكتب.
- ﴿ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥] قضاء.
- ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] فريضة.
- ﴿ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] فريضة.
- ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [النساء: ١١٣] القرآن.
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [المائدة: ٤٨] القرآن.
- ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [المائدة: ٤٨] التوراة والإنجيل.
- ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] سجل.

- ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢] القرآن.
- ﴿ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤] القرآن.
- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ أَلْكِتَابٌ ﴾ [الأنعام: ١١٤] التوراة.
- ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ [الأنفال: ٦٨] قضاء.
- ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] سجل.
- ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ [هود: ١٧] التوراة.
- ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨] موعد.
- ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ [الإسراء: ٢] التوراة.
- ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ [الكهف: ٢٧] القرآن.
- ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف: ٤٩] السجل.
- ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ ﴾ [مريم: ٣٠] الإنجيل.
- ﴿ عَلَّمَهَا عِنْدَ نَبِيٍّ فِي كِتَابٍ ﴾ [طه: ٥٢] سجل.
- ﴿ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [الحج: ٨] أى كتاب.
- ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ ﴾ [المؤمنون: ٦٢] سجل.
- ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ ﴾ [النور: ٣٣] المكاتبه.
- ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥] سجل.
- ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أى كتاب.
- ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ [الروم: ٥٦] قضاء.

- ﴿بِالتَّيْنَتِ وَالزُّرِّ وَيَالِكُتَبِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] التوراة.
- ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥] جميع الكتب.
- ﴿مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا أَلِكُتَبُ وَلَا إِلَإِ يَمْنُ﴾ [الشورى: ٥٢] القرآن.
- ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤] سجل.
- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبا: ٢٩] كتابة.
- ﴿كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ [المطففين: ٧] سجل.
- ﴿كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ [المطففين: ١٨] سجل.

٤ - الآخرة:

- ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] المعاد.
- ﴿أَشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦] المعاد.
- ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [البقرة: ٩٤] المعاد.
- ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] المعاد.
- ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: ٣] المعاد.
- ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١] المعاد.
- ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧] المعاد.
- ﴿وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] المعاد.
- ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧] المعاد.
- ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] المعاد.

- ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [الأنعام: ٣٢] المعاد.
- ﴿ وَلِقَاءُ الْآخِرَةِ ﴾ [الأعراف: ١٤٧] المعاد.
- ﴿ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ [هود: ١٠٣] المعاد.
- ﴿ وَلَا جُرْأَى الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ٥٧] المعاد.
- ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ١٠٩] المعاد.
- ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النحل: ٣٠] المعاد.
- ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ [الإسراء: ٧] الثانية.
- ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٠٤] الثانية.
- ﴿ بَلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦] الثانية.
- ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ [القصص: ٧٠] الثانية.
- ﴿ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ [الزمر: ٢٦] المعاد.
- ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ [النجم: ٢٥] الثانية.
- ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [النازعات: ٢٥] الثانية.
- ﴿ وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [الليل: ١٣] الثانية.
- ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى: ٤] الثانية.

٥ - مستقر:

- ﴿ وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [البقرة: ٣٦] استقرار.
- ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨] ظهر الأب ورحم الأم.

- ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] وقت يصدق فيه.
- ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ثبت.
- ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] مراحل حياتها.
- ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْضِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥] نبقى.
- ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] مستقر.
- ﴿حَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] موضع قرار.
- ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] لمغربها.
- ﴿كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه: ٤٠] تطمئن.
- ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] يطمأنن.
- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ابقين.
- ﴿فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦] اطمئني.
- ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] استقرار.
- ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] إقامة وماء.
- ﴿فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾ [ص: ٦٠] المستقر.
- ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٣٩] مستقرا.
- ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢١] ظهر الأب.
- ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١] مستقرا.
- ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤] مستقرا.

﴿ مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤] نعمة واطمئنان.

﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] نعمة واطمئنان.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ١٢] مكان القرار.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٣٨] دائم.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ [النمل: ٤٠] مائلاً.

٦ - رحيم:

﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨٢].

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٤].

﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].
- ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].
- ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
- ﴿إِنَّ نَافِثُ لَغُفُورٍ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].
- ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].
- ﴿بَنِي عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٧].
- ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩].
- ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٥].
- ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].
- ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].
- ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].
- ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].
- ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].
- ﴿وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].
- ﴿وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].
- ﴿وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠] وجب.
- ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الإسراء: ١٦] صدق.
- ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] وجب.
- ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] صدق.
- ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩] وجب.
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] وجبت.
- ﴿وَبِخَبَرِ الْقَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠] يصدق.
- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢] الصدق.
- ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] الاستحقاق.
- ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَّاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٩١] الصدق.
- ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] كما ينبغي.
- ﴿نَزَلَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦] بالصدق.
- ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] بالصدق.
- ﴿وَلَيَعْلَلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الدين واجب السداد.
- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] الصادق.
- ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران: ٧١] الصدق.
- ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾ [آل عمران: ٨٦] صدق.

- ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الصدق.
- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠] الصدق.
- ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: ١١٦] مباح.
- ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٣٠] الصدق.
- ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] الحقيقى.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] بما يحق له.
- ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] الصدق.
- ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] القسط.
- ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَطَلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] الصدق.
- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥] بالوعد الصادق.
- ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥] بما يحق له.
- ﴿فَذَكِّرْ لَكَ رَبُّكَ الْحَقَّ﴾ [يونس: ٣٢] الحقيقى.
- ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢] الصواب.
- ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] للصواب.
- ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦] اليقين.
- ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس: ٨٢] ينفذ.
- ﴿وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥] الصادق.
- ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] نصيب

﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١] الصدق.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤] الصدق.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ١٩] بما يحق له.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨] إلا عندما يحق العذاب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] بما يحق لله.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣] بالاستحقاق.

﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] الصادق.

﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤] الحقيقي.

﴿وَأَقْرَبُ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] الصادق.

﴿فَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٤١] بالصدق.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [لقمان: ٣٠] الصادق.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٢٦] بالعدالة.

﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩] بالعدالة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] بالصدق.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤] يوقع الصدق.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف: ١٧] صادق.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] بالموت المقدور (بالقدر).

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْخُرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩] نصيب.

- ﴿ حَقًّا عَلَى الْخَاسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦] واجب.
- ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥١] صدقًا.
- ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] قضاء.
- ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ رَیْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤١] فرضه.
- ﴿ وَءَاتِ ذَٰلَ الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ [الإسراء: ٢٦] نصيبه.
- ﴿ وَيُعْطِيهِنَّ أَحْقَ بِرَّهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أولى.
- ٨ - عدل:

- ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ٤٨] عديل.
- ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [النساء: ١٢٩] تقسطوا.
- ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة: ٩٥] عديل.
- ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] يتخذون عديلا.
- ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: ٧٠] بديل.
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] عدالة.
- ﴿ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٠] يجعلون له عديلا.
- ﴿ يَتَدَبَّرُونَ بِأُحْقَىٰ وَيَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] يقسطون.
- ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠] يتخذون عديلا.
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠] القسط.
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] قسطًا.

- ﴿تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الذى لا يعلم.
- ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] المعتدين.
- ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾ [آل عمران: ١٥٤] العدوان.
- ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] يريدون.
- ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] المعتدين.
- ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤] بغير علم.
- ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] المعتدين.
- ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٢٩] المعتدين.
- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] المعتدون.
- ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] تعتدون.
- ﴿لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] المعتدين.
- ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] العدوان.
- ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] المعتدون.
- ﴿وَلَكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا تُجَاهِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣] تعتدون.
- ﴿حِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] العدوان.
- ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ [الحجرات: ٦] بغير علم.
- ١٠ - أمه وأميون:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] جماعة.

- ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤] جيل.
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] طائفة.
- ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] جماعة.
- ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [آل عمران: ١١٣] جماعة.
- ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٦] جماعة خيرة.
- ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [الأعراف: ٣٤] جماعة.
- ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨] جماعة.
- ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] جماعة.
- ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] جماعة.
- ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [يونس: ٤٩] جماعة.
- ﴿ إِلَى أُمَّةٍ مُعْتَدُوَةٍ ﴾ [هود: ٨] فترة.
- ﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥] فترة.
- ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ ﴾ [الرعد: ٣٠] جيل.
- ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْثَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ [النحل: ٩٢] جماعة.
- ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠] إمام.
- ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُوتَ ﴾ [القصص: ٢٣] جماعة.
- ﴿ وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٢٢] طريقة.
- ﴿ إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣٨] جماعات.

﴿ وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٨] جماعات.
 ﴿ وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠] جماعات.
 ﴿ أَلرُّسُولَ الْأَنْبَى الْأَتَمَّى ﴾ [الأعراف: ١٥٧] العربى. (المنسوب إلى الأمة لا إلى الجالية).

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ٧٨] لا يكتبون.
 ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٤٠] العرب.
 ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: ٧٥] العرب.

١١ - لبس:

﴿ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩] خلطنا.
 ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢] تخلطوا.
 ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] يفرقكم.
 ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] يخلطوا.
 ﴿ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] حيرة.
 ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] مخالطات.
 ﴿ وَلِبَاسُ الْتَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] مخالطة.
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [الفرقان: ٤٧] وقت ملابس ومخالطة.
 ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [النبا: ١٠] وقت ملابس.

١٢ - الدين:

﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة] البعث.
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] الإسلام.

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] اتباع العقيدة.
- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] العقيدة.
- ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] العقيدة.
- ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] العقيدة.
- ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] العقيدة.
- ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] شريعة.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] البعث.
- ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢] الحكم.
- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] شريعة.
- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] البعث.
- ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] العقيدة.
- ﴿فَاقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] العقيدة.
- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] العقيدة.
- ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦] البعث.
- ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] الحساب.
- ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَدِينُونَ﴾ [الصفافات: ٥٣] محاسبون.
- ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] العقيدة.
- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] العقيدة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦] البعث.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ﴾ [الذاريات: ١٢] البعث.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] معرضين للحساب.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الَّذِينَ﴾ [المعارج: ٢٦] البعث.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الَّذِينَ﴾ [المدثر: ٤٦] البعث.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الانفطار: ١٥] البعث.

١٣ - الأيمان: القسم:

﴿يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ٥٣] [الأنعام ١٠٩] والنحل والنور.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿أَوْ خَافُوا أَنْ تَرُدُّ أَيْمَانَكُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ١٠٨].

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢].

﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

﴿أَلَا تُقْبِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢].

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا﴾ [النحل: ٩٤].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النور: ٥٣].

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المجادلة: ١٦] مخبأً.

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [التحریم: ٢].

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا ﴾ [القلم: ٣٩].

١٤ - الأيمان: اليد اليمنى:

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣].

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٥].

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ [الكهف: ١٨] الجانب الأيمن.

﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ [الصفاء: ٢٨] كما قال إبليس: "ثم لأنينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم... إلخ".

﴿ مَطُورَيْنِ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة: ٨].

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧].

﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [الحديد: ١٢].

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ [المعارج: ٣٧].

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر: ٣٩].

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [البلد: ١٨].

١٥ - الْيَمِينُ: الْيَمِينُونَ؛

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨٠].

﴿تُودِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿وَتَدْبِرُنَّهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

١٦ - الْفَتْحُ؛

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] النصر.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] أغدقنا.

﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] لا يقبلون عند الله.

﴿أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] أفض.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ أَلْفَتْحٌ﴾ [الأنفال: ١٩] النصر.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥] كشفوا.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا﴾ [الحجر: ١٤] ضد الإغلاق.

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أطلقت.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا﴾ [المؤمنون: ٧٧] سلطنا.

﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: ١١٨] أفض.

﴿ثُمَّ يَفْتَحْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبا: ٢٦] يقضى.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] تضرناك.

- ﴿ فَتَحَا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] نصر.
- ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ﴾ [القمر: ١١] ضد الإغلاق.
- ﴿ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ [الحديد: ١٠] النصر.
- ﴿ وَفَتَحَ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣] نصر.
- ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴾ [النبأ: ١٩] ضد الإغلاق.
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] النصر.

١٧ - مستقر ومستودع:

- ﴿ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦]
- ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨]
- ﴿ فَإِنْ أَسْتَقَرَ مَكَانُهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]
- ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود: ٦]
- ﴿ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]
- ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه: ٤٠]
- ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ [الحج: ٥].
- ﴿ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣].
- ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] قرار.
- ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس: ٣٨].

١٨ - الوزن:

- ﴿ وَالْوِزْنُ يُوَمِّزُ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨] الحساب.

- ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩] ثقل.
- ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] احترامًا.
- ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] الحساب.
- ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] غلبت حسناته.
- ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٨٢]
- ﴿ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانِ ﴾ [الشورى: ١٧] بالصدق والعدل.
- ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ [الرحمن: ٨] توازن البيئة.
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] العدل.
- ﴿ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [القارعة: ٦] غلبت حسناته.

سماحة الإسلام

- البقرة ٥٣-٨٧-١٣٦-١٩٠-٢٠٨-٢٥٦-٢٦٣-٢٧٤-٢٨٦.
- آل عمران ٣ (٣٥-٦٤)-١٠٤-١١٣ (١٣٣-١٣٧)-١٩٩.
- النساء ٥٨-٩٤-١٣١-١٣٦-١٤٨.
- المائدة ٥-٨-(٤٤-٤٨)-٨٢-١١٠.
- الأنعام ٩١-١٠٨-١١٤-(١٥١-١٥٢).
- الأعراف (١٩٩-٢٠١).
- الأنفال ٦١.
- التوبة ٤-٣٦.
- يونس ٤١-٩٤.
- هود (١٢-١٤)-١٧.
- يوسف ١٠٣.

- الرعد ١٣ - ٣٦ .
النحل ٦١ - (٩٠ - ٩٢) - (١٢٥ - ١٢٨) .
الإسراء ٢ (٢٣ - ٣٨) .
مريم ١٦ - ٣٠ - ٤١
الحج (٣٩ - ٤١)
المؤمنون ٥٠ - ٩٦ .
الفرقان (٦٣ - ٧٦) .
القصص ٢ - ٥٥ .
العنكبوت ٤٦ .
لقمان (١٥ - ١٩) .
الزمر ٥٣ .
غافر ٧٠ .
فصلت ٣٤ .
الشورى ١٣ - (٤٠ - ٤٣) .
الجاثية ١٤ .
الأحقاف ١٢ - ٣٥ .
الفتح ١٧ .
الحجرات ٦ - (١١ - ١٢) .
الرحمن ٦٠ .
المجادلة (٩ - ١١) .
المتحنة ٨ .
الطلاق ٧ .

الرسالة والنبوة

ينادى الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بلفظ الرسول حيناً فيقول: "يأيها الرسول..." ولفظ النبي حيناً آخر فيقول: "يأيها النبي..."، فيمر بعض القراء بالنداءين دون انتباه للفرق بينهما. ولكن بعضاً آخر من هؤلاء القراء يتخطى اللفظ المفرد إلى ما يصاحبه من ألفاظ أخرى في سياق الآية، فيصل إلى دليل على الفرق بين المعنيين كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله جل شأنه: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ﴾ [التوبة: ٧٣]، والتحريم: [٩]، فيرى أن فرق المعنى يبدو من استعمال لفظي "بلغ" و"جاهد"، لأن المعنى يجعل أولهما واسطة بين الله سبحانه وبين عباده، ويجعل الآخر تكليفاً منه سبحانه لعباده بالسعى إلى بناء وضع جديد مطابق لما يُبلغه سبحانه للعباد، ولما كان الوصول إلى هذه الدرجة المبدئية من المعنى لا يكفي للإحاطة بها وراء ذلك من التفصيل لم يكن هناك بد من استكشاف المزيد من المعلومات التي توضح طبيعة مادة البلاغ وطبيعة الوضع المطلوب، وكلاهما يلتبس في نصوص القرآن الكريم.

دعنا إذن نلق نظرة على موضوع الرسالة وما أحاط معها بحياة الرسول ﷺ من ظروف وأحداث، عرف أهل مكة الرسول ﷺ بلقب الصادق الأمين بناء على أمور دفعتهم إلى تكريمه بمثل هذه الألقاب، من ذلك أن السيدة خديجة رضى الله عنها ائتمنته على أموالها وتجارها وهو دون الخامسة والعشرين من عمره الشريف، فرحل لأداء هذه المهمة إلى الشام في نفر من القائمين بمثل هذه المهمة. فلما عادت القوافل إلى مكة تحدث المشرفون على القوافل عما رأوه أثناء الرحلة ومن أحاديثهم ما تناول

سيرة محمد ﷺ بالثناء حتى رق قلب خديجة رضى الله عنها له وانتهى الأمر بزواجها منه وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف.

ومن ذلك أيضًا ما وقع له وهو في الخامسة والثلاثين من عمره حين أعادت قريش بناء الكعبة فلما بلغ البناء مستوى الحجر الأسود اختلف زعماء قريش فيمن يقوم بوضع الحجر الأسود في مكانه من المبني حتى كادوا يقتتلون للحصول على هذا الشرف، ثم اتفقوا على الاحتكام إلى أول قادم إلى الحرم فكان هذا القادم محمدًا ﷺ. فلما احتكموا إليه كان رأيہ الذي ارتضوه أن يؤتى بثوب فييسط ويوضع الحجر عليه ثم يمسك كل من هؤلاء بطرف منه ويتعاونوا في حمله ونقله إلى قرب مكانه من المبني ففعلوا وامسك الرسول بالحجر ووضعه بنفسه في مكانه المعد له مع علامات الرضى والقبول من زعماء قريش، وهذا وغيره هو سر دعوته بالصادق الأمين.

ثم اعتاد ﷺ التوحد في غار حراء ليخلو بنفسه للبعد عن عبادة الأصنام والتعبد على طريقة إبراهيم عليه السلام، فجاءه الوحي وهو بالغار وأقرأه ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾. ولقد غطه الملك في هذه النزلة الأولى حتى بلغ منه الجهد. فذهب إلى بيته متعبًا وقص ما رآه وما سمعه على أهله فأمنت به خديجة وتبعها على بن أبي طالب وزيد بن حارثة ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم جميعًا. ثم انقطع نزول الوحي فلم يره ثلاث سنين فوجد المشركون في ذلك فرصة للسخرية من النبي قائلين إن رب محمد ودعه وقلاه فحز ذلك في نفس النبي وتألم أيما ألم. ثم نزل الوحي للمرة الثانية فطمأنه بسورة ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ ﴾ (أى أن هذه النزلة أفضل من النزلة الأولى وما صاحبها من ألم) ثم ساق له من الأدلة عددًا من المناسبات التي كانت ثوانها خيرًا من أوائلها فقال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ ۝ ۝ ﴾

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فإذا كان آواك من يتم فلا تقهر
اليتيم وإذا كان هداك من ضلال فلا تنهر من جاء يسألك عن أمور الدين وإذا كان
أغناك من عيلة فحدث بنعمة الله عليك. ثم أمره بأن ينذر عشيرته الأقربين.

كان أهل مكة على يقين من صدق الرسول وأمانته ويعلمون أنه إنما يبلغهم أمورًا
جاء بها الوحي ولكنهم لا يريدون لهذا الدين الجديد أن يبطل تراث آبائهم المشركين
لأن هذا التراث الوثني وضعهم في مستوى الزعامة بين القبائل العربية وأن الأجداد
بمن ينقل حديث السماء أن يكون أحد الملائكة ومن ثم نجد سورة الفرقان تروى
بعض ما قالوه بصدد اعترافهم بهذه الاعتراضات: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾
[الفرقان: ٧]. وهم يقصدون بهذا الكلام لازم معناه أى ما لهذا الذى يدعى
الرسالة ثم يفرز فضلات ما يأكل ويروج تجارة غيره في الأسواق؟ ألم يكن الأولى به
أن يكون معه ملك؟ وقد أجاب الله هذه الكناية بجواب يقصد به المعنى الصريح
بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، لأن ذلك هو طبع البشر.

إن الله سبحانه وتعالى لا يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم، وكان محمد ﷺ
من خير من يحسن استعمال لغة قومه والدليل على ذلك واضح في نصوص السنة
المطهرة. أما في القرآن الكريم فإن لغة الوحي في سموها وجمالها تكريم للرسول
ليبين لقومه مطالب السماء. إن من يلقي نظرة على ما نزل من النصوص القرآنية على
الرسول ﷺ ليجد هذه النصوص تدور حول ما يلي:

١ - الغيبيات:

وخير مثال للغبيات ما تشتمل عليه سورتا الرحمن والواقعة من كلام عن
درجات العباد يوم القيامة. ففي سورة الواقعة انقسم العباد بين ثلاث درجات،

يستحق كل منها جزءاً خاصاً. هذه الدرجات هي: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. وفي سورة الرحمن يبدأ التقسيم بالثقلين وهما الجن والإنس، ثم ينقسم كل منهما إلى ثلاث درجات أيضاً مع صرف التقسيم إلى أنواع الجزاء، يقول تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] أى أن إحداها للجن والأخرى للإنس. ثم يذكر جزء الدرجة التالية فيقول: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢]. وهما لأصحاب اليمين من الطائفتين. أما أصحاب الشمال فقد جاء ذكرهم في الواقعة ولم يأت لهم ذكر في سورة الرحمن إلا عرضاً حين سباهم الله تعالى "المجرمين" ولم يمنحهم إمكان السؤال عن ذنوبهم لأنهم يعرفون بسيماهم. ثم يساقون كما تقول سورة الواقعة إلى سموم وحيم وظل من يحوم لا بارد ولا كريم.

٢ - آيات الله:

يرد ذكر الآيات في القرآن الكريم على معنيين أولهما العلامات الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى والثاني للدلالة على آيات القرآن الكريم.. ويأتى التفريق بين الداللتين باقتران الآيات القرآنية بلفظ التلاوة أو التنزيل على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. أما دلالة لفظ آية على معنى العلامة أو الدليل فذلك غالب في النص القرآني وبخاصة في سورة البقرة والأعراف والأنعام ويونس والنحل والشعراء والروم وغيرها. هذا وقد يذكر لفظ آية مع إيرادها في النص القرآني وقد يكتفى بذكر المضمون دون إيراد اللفظ. مثال ذلك ما نجده في سورة النمل من مضامين الآيات بعد قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. حيث يسوق النص عدداً من الآيات دون ذكر لفظ آية، وتلك هي: ﴿خَلَقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ وَجَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ و ﴿يُحْيِي الْمُتْطَرِّ﴾ و ﴿يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ و ﴿يَتَذَكَّرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ و (يعلم الغيب) إذ يقدم لكل واحدة من هذه الآيات بقوله "أم من فعل كذا" ثم يعقب على ذلك بقوله : "أإله مع الله"؟

٣ - الدعوة إلى اتباع الإسلام والنهي عن الكفر:

وذلك في سياق واحد. وقد أطلق القرآن الكريم على تلازم الأمرين باطراد لفظ "المثاني" التي اشتمل عليها القرآن الكريم وبخاصة ما اشتملت عليه فاتحة الكتاب. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، ويقول جل شأنه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى﴾ [الزمر: ٢٣]. فالمثاني في فاتحة الكتاب تنبئ على التقابل بين الألوهية والربوبية كما تنبئ في القرآن العظيم على التقابل بين طاعة الطائعين من العباد ومعصية العاصين وجزاء كل من الطائفتين في مثنوية لا تتخلف. انظر إلى البيان التالي لما في سورة الفاتحة:

الربوبية

الألوهية

الله

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الرحيم

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

الرحمن

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

وواضح من هذا البيان أن لفظ الجلالة "الله" شامل للوصفين، فهو إله ورب في كل الأحوال.

٤ - سير القرون الأولى:

ومما ينتمى إلى مفهوم الرسالة أيضًا سير القرون الأولى وقصص الأنبياء

السابقين، وقد عد القرآن العظيم ذلك من أدلة صدق الرسول ورسالته في الدعوة إلى الإسلام. فأورد بعد الانتهاء من سرد نصوص هذه السير إشارات تشير إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن مشاركاً في هذه المناسبات ولا حاضراً في أثناء وقوع هذه الأحداث، وفي ذلك دليل على أن نص الحدث جاء عن طريق الوحي لا عن طريق الذاكرة. وذلك كما يلي:

* ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

* ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩].

* ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

* ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٤].

* ﴿وَأِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

* ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

[القصص: ٤٤].

* ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٤٥].

* ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

* ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

* ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق: ٢٢].

* ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وآيات أخرى تدل على صدق دعوى الرسول ﷺ.

والرسالة بكل ما لها من سمو ونبل هي وسيلة إلى غاية أهم منها هي النبوة أي العمل على بناء مجتمع إسلامي يتجاوب مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فمن الضروري أن يجمع الإسلام بين عباد الله المسلمين في مجتمع واحد وأن تتجه عناية الله سبحانه وتعالى إلى تنظيم هذا المجتمع في ظل مصدرين لا مصدر واحد كما رأينا في موضوع الرسالة هذان المصدران هما الكتاب الذي كما رأينا منذ قليل يشتمل على النصوص المباشرة الموجهة إلى الرسول ﷺ والمسبوقة بعبارة "يا أيها النبي...." وإلى الذين آمنوا بندايتهم أيضًا بالإجابة على أسئلة تبدأ الإجابة عليها بعبارة "قل..." وبعضها وارد ذهنيًا كالذي دعا إلى الإجابة عن سبب استغفار إبراهيم لأبيه [التوبة: ١١٤] فكأن سائلًا سأل: لماذا منع النبي أن يستغفر لعمه أبا طالب ولم يمنح إبراهيم عن الاستغفار لأبيه وكلاهما كان مشركًا؟ فجاء الجواب عن هذا السؤال الوارد.

من السور القرآنية التي عنيت ببناء المجتمع ما نزل من هذه السور بالمدينة المنورة على وجه الخصوص، ومن أهمها سورة البقرة وما اشتملت عليه من الأسئلة. ثم آل عمران والأنفال والتوبة والأحزاب والفتح والحجرات والمجادلة والطلاق والتحريم. إلخ. وقد اشتملت نصوص بناء المجتمع الإسلامي على أمور أهمها الأخوة الإسلامية والأخلاق والجهاد والمعاملات والعلاقات الأسرية والأحداث والغزوات وأهل الكتاب والمنافقين. وهنا نتذكر مرة أخرى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لنقول إن المقصود بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يهدي عباده إلى التقرب منه والاعتراف بفضله وذلك بالحمد (الثناء) له إلهًا معبودًا وبالشكر له ربًا منعمًا (اللهم لك الحمد بما تعاليت ولك الشكر بما أوليت) ولم يشأ سبحانه أن يكلفهم أفرادًا بهذه العبادة بل فرضها على جموعهم ليكون عرف الجماعة في الإقبال على العبادة وسيلة حفز للأفراد.

واقترضت حكمة الله تعالى أن يخرج آدم من الجنة ويجعله وذريته خلفاء له في الأرض، ﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤]. أى وحياة قصيرة. هذه العداوة المشتركة المتبادلة ألقت بظلمها بين بنى آدم والشيطان، كما كان لها أثر مشابه بين بعض بنى آدم وبعضهم الآخر. فجعل الله من وسائل صلاح الخلافة أن يكلف الله رسله من بنى آدم بالعمل بواسطة الوحي والرسالة على تكوين مجتمعات إنسانية ليكون الناس في هذه المجتمعات أطوع لأوامر الله وأكثر ترحيباً بعبادته. ولقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يجعل هذه الحياة الدنيا متاعاً (إمهالاً إلى أجل معلوم) سريع الزوال مبنياً على اختبار قدرة الفرد من بنى آدم على الطاعة والوفاء بتنفيذ أحكامه. فإذا لم يقبل الإنسان على الطاعة كان من حصب جهنم. فإذا طلب رحمة الله قال له خزنه جهنم: ﴿ أُولَٰئِكَ نُعْرِضُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم استقر هذا المذنب في النار خالداً فيها أبداً. أما نزيل الجنة فإنه يظل في نعيمها خالداً فيها أبداً. فالحياة الآخرة حياة خلود بالنسبة للطرفين، والحياة الدنيا قصيرة زائلة بالنسبة إليهما، أو على الأصح هى فترة الاختبار التى تنتهى بالنجاح أو الرسوب، والتى من أجلها جاءت الخلافة في الأرض.

فالرسول داع بالرسالة إلى العبادة، والقرآن سجل الرسالة الذى يميز بين ما يرضى الله وما لا يرضيه ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (من الكتب السابقة) ﴿ وَهُمِيمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وكلا الرسول والرسالة مسخر لبناء المجتمع المسلم والحرص على بقاءه وحمايته، ولقد قدر الله سبحانه أن يكون القرآن خاتم الكتب وأن يكون محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، لأنه أيضاً مصدق ومهيمن.

ويبقى لنا أن نستعرض ما فى سور القرآن الكريم من مخاطبة النبى. ودعوته إلى بناء المجتمع الإسلامى. جاء الإسلام وفى شبه جزيرة العرب طائفتان من الناس، أولاهما غالبية عظمى من المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله ويعبدون آلهتهم

شركاء الله، ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] ومن هذه الفئة من ادعى الإسلام زورًا وهم المنافقون. والفئة الثانية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يتبعون كتبًا غير القرآن، وقد صدق القرآن كتبهم وكان مهيمناً عليها، فأما موقف النبوة من أهل الكتاب فقد لخصه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْنِدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وأما الفئة المشتركة (الكافرون والمنافقون) فقد قال الله تعالى في حقهم: ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال أيضاً: ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] وقال كذلك: ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨]. أى لا تحف إيداءهم إياك لأن الله حافظ لك منهم، ولعل في هذه الآيات ما يوضح اختلاف نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب عنها إلى الكافرين والمنافقين. وفيما يلي شواهد من مختلف السور القرآنية موجهة إلى النبي ﷺ بأحكام تعينه على بناء المجتمع الإسلامى الفاضل. كان توجيه الله سبحانه وتعالى للنبي على النحو التالى:

- البقرة: أسئلة وإجابات عن الأهلة والنفقة والخمر والمحيض والعلاقات الأسرية وظواهر اقتصادية كالربا وكتابة الدين.
- آل عمران: العزاء عن الهزيمة التى وقعت فى غزوة أحد.
- النساء: المواريث والعلاقات الأسرية والقتال.
- المائدة: المأكولات المحرمة علاقات الولاء والعداء.
- الأنعام: آداب الطعام.
- الأعراف: قل من حرم زينة الله.

- الأنفال: مخلفات غزوة بدر من توزيع الغنائم والتحريض على القتال ومعاملة الأسرى.
- التوبة: مخلفات غزوة تبوك من معاملة المشركين والمواقيت والعهود والمنافقين وطوائف الأعداء والمخلفين ومسجد الضرار.
- النحل: الوفاء بالعهد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن
- الإسراء: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً.
- النور: حد القذف والزنى وآداب الزيارة والاستماع إلى الرسول.
- الفرقان: اتهامات وردود وذكر لعباد الرحمن.
- العنكبوت: آداب الجدال مع أهل الكتاب.
- لقمان: وصايا وأداب.
- الأحزاب: الدعوة إلى عدد من الإصلاحات مع توجيه النداء للنبي.
- محمد: قتال الذين كفروا وتنديد بالخل.
- الحجرات: آداب عامة.
- المجادلة: الظهار والنجوى والتفسخ والولاء.
- الحشر: الفىء.
- المتحنة: الولاء.
- التغابن: تحذير من تأثير الأزواج والأولاد والفتنة.
- الطلاق: أحكام الطلاق.
- التحريم: مجاهدة الكفار والمنافقين وعدم طاعة الخلفاء.

المزمل: أمر بمباشرة العبادة بالليل.

المدثر: أمر بمباشرة الدعوة والإنذار.

القيامة: عدم التسرع في القراءة.

عبس: عتاب ونصح.

هذه هي مهمة النبوة، وكلها تنصب على بناء المجتمع الإسلامى وتمثل أنشطة في الحياة العامة ووسائل النجاح والعزة.

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

رب يوسف (عليه السلام) كما يفهم من القرآن الكريم

ورد لفظ "رب" في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ربما كان أوضحها وأكثرها تنوعاً في الدلالة ما اشتملت عليه سورة يوسف (عليه السلام). ففي السورة المذكورة يرد لفظ "رب" ليدل حيناً على الله سبحانه وتعالى أو يدل على العزيز الذي اشترى يوسف بثمان بخراس دراهم معدودة وتارة على الملك الهكسوسى الذى جعله على خزائن الأرض. كان يوسف عندما اشتراه العزيز حدثاً لم يتجاوز مرحلة الطفولة، ولهذا كانت توصية العزيز لامرأته أن تكرم مثواه لعله يكون فى المستقبل نافعا للأسرة أو فى مقام الولد للعزيز وزوجته. وظل يوسف ينمو حتى بلغ مرحلة الشباب ليكون حسن الطلعة قوى البنية رضى المعشر يدعو من يراه إلى الإعجاب به والرغبة فى القرب منه، ولم تكن امرأة العزيز عندئذ قد جاوزت مرحلة الشباب وإن كانت أكبر سناً من يوسف الذى كانت فى استقباله وهو طفل ليكون (حسب وصية العزيز) فى رعايتها. لقد منحته امرأة العزيز عندئذ قبولاً وحناناً، أما بعد نموه وبلوغه مرحلة الشباب فقد تحول القبول إلى الرغبة والحنان إلى الحب، حتى لقد فطنت جاراتها إلى ذلك فتناقلن سيرتها فقلن: ﴿ أَمَرَأْتُ الْغَزِيرِ تُرَوِّدُ فَتَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠]. ويشير هذا القول من النسوة إلى أن الأمر لم يتجاوز المراودة وأن يوسف رافض لما تريده امرأة العزيز، حتى جاء اليوم الذى تسجل وقائعه سورة يوسف، فكان ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ويلاحظ هنا ما يلي:

- * أن المقصود بلفظ "الرب" هو العزيز الذي كان قد أمر زوجته أن تكرم مثواه.
- * أن الهاء التي تكررت في قوله "إنه" مرتين في الآية تدل على الشأن فيهما. فكأنه يقول: هناك أمران يحولان دون الاستجابة أولهما: أن سيدي أكرم مثواي فلا ينبغي لي أن أسىء إليه، والثاني أن الظالمين لا يفلحون.
- * المقصود بلفظ "الرب" في هذه الآية هو العزيز.

٢ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِمْ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ويلاحظ هنا ما يلي:

كان يوسف في الوقت الذي تتكلم فيه عنه هذه الآية أصغر سنًا من أن يوصف بالنبوة، ومن ثم لم يكن معصومًا من الوقوع في الخطأ. فإذا قال النص "وهم بها" فلا حرج في اعتقاد ما قيل، ولكن عناية الله بالصالحين من عباده يسرت ليوسف أن يرى ما يدل على وجود العزيز خارج الباب يكاد يفتحه ليدخل بيته، إذ «ألفيا سيدها لدى الباب» وكان ذلك عندما كاد يوسف يضعف ويستجيب لرغبة المرأة. فلولا أن رأى البرهان على وجود ربه (أي العزيز) بالباب لهم بها. ولذلك دلالة على أمرين:

* الأول أن المقصود بربه في هذه الآية هو العزيز.

* والثاني ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. فالأمر إذن ليس أمر عصمة وإنما هو توفيق من الله لأحد عباده المخلصين (بفتح اللام).

٣- قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبْقَا آلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا آلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٦) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴿[يوسف: ٢٥ - ٢٦].

وفي هذه الآية ما يلي:

* دليل على ما فهمناه من عبارة "برهان ربه"، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا آلْبَابِ﴾.

* تضارب اتهام زوجها لها وادعاؤها بعد أن سُقِطَ في يدها أن الإهانة لم تكن موجهة إليها هي وإنما كانت موجهة إليه هو من خلال العدوان على أهله.

٤- قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (٢٧) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿[يوسف: ٢٦ - ٢٩].
ولدينا هنا ما يلي:

* واضح أن العزيز كان أرجح عقلاً من أن يقبل كلامها على علاته. فلقد قام بعملية سير وتقسيم للمواقف انتهى بها إلى معرفة الكاذب والصادق من الخصمين. عندئذ طلب إلى يوسف أن يُعرض عن ذكر الأمر فلا يخبر أحداً عن ما كان. ثم أقبل على امرأته يطلب منها الاستغفار عما ارتكبت من ذنب يعلم الناس أنه أحد خطايا النساء إذ قال لها: ﴿إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

* كان قول العزيز لامرأته: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يعني أنها ارتكبت خطيئة لا خطأ، فلو أراد الخطأ لقال: من المخطئين.

٥- قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠].

ما كان هؤلاء النسوة أن يعلمن بما يحدث من امرأة العزيز لولا علاقة الجوار،
فهن جاراتها دون شك. وكما يحدث من الجارات دائماً بادر هؤلاء النسوة بإذاعة هذا
الخبر حتى انتهى إلى سمع امرأة العزيز.

٦- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمَاءً
كُلًّا وَحِدَةً مِّنْهُنَّ سَيِّئًا وَقَالَتْ خُذْنَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ
وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلَنَّهُ لَئِيْلَكُنَّ
الْصَّغِيرَاتُ ﴾ [يوسف: ٣١ - ٣٢].

رددت امرأة العزيز إنذارها ليوسف بالسجن إلا أن يستجيب لرغبتها معلنة
إصرارها على هذا الموقف، وأعانها على هذا الإصرار ما رآته من افتتان النسوة
بجمال يوسف حتى لقد أحدثن بأيديهن جروحاً أثناء تقشير الفاكهة التي قدمت لهن
بعد قول امرأة العزيز ليوسف ﴿ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ ﴾ أى قدم لهن الفاكهة.

أما العزيز فقد تذكر ما كان من مطالبته ليوسف أن يعرض عن كشف المستور
من هذه الفضيحة، فذهب به الظن إلى أن يوسف هو الذى لم ينفذ ما طلب منه وأنه
هو الذى سرب الخبر. وهكذا رأى أن ينفى الفضيحة عن أهل بيته بإلقاء الجريمة
على يوسف، وخطر بباله ما تكرر من وعيد امرأته ليوسف بالسجن فبدا له أن يلقي
به فى غياهب السجن وأن يبقيه به مدة غير طويلة بمقدار ما تسمح للناس بنسيان
هذه القصة. ولكن العزيز لم يجعل صلب القضية الداعية لسجن يوسف ما وقع بين
يوسف وزوجته وإنما جعله ما وقع للنسوة اللاتي قطعن أيديهن افتتاناً بجمال
يوسف. ويبدو أن العزيز أعلن ليوسف هذا القرار فكان رد يوسف على ذلك قوله:
﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿[يوسف: ٣٣-٣٥]﴾.

٧- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطُّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿[يوسف: ٣٦-٣٨]﴾. ثم شرع يوسف بعد ذلك في تأويل ما رآه الفتيان فقال: ﴿يَصْنَعُ الْجَنِّي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطُّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿[يوسف: ٤١-٤٢]﴾.

يلاحظ على ما جاء في هذه الآيات ما يلي:

* أن زميلي السجن رأيا لسبب ما أن يوسف قادر على تأويل الرؤيا فطلبا منه تأويل ما رأوا.

* أن يوسف أعلن عن استعداداه لذلك ثم بدأ في الإعلان عن دين آبائه لأول مرة وكأنه يتوقع من الزميلين أن ييوحا بذلك فيعلم الناس قدره وما أصابه من ظلم.

* ويدل على هذا الجانب الأخير قوله للناجي من الفتين: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي عند الملك

٨- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ

وَسَبَّحَ سُبُّلَتِ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَتِ^ط يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا
تَعْبُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَضْغَثْتَ أَحْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعِلْمِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِي
نَجَّاهُ مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا
فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلَتِ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَتِ لَعَلَّيْ
أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿يوسف: ٤٢-٤٦﴾.

يلاحظ في سياق هذه الآيات ما يلي:

* تأكيد ما سبق من قوله جل شأنه: ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ وذلك بقوله
هنا: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أى تذكر بعد فترة من الزمن.

* كان الملك من ملوك الهكسوس، ولو كان من الفراعنة لاتخذ في حاشيته منصب
موظف خاص بتفسير الأحلام (كما يمكن أن يتوقع من الثقافة الفرعونية).
ولما عمم الدعوة للملأ ثم لما كان هناك ما يدعو لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا
تَعْبُرُونَ﴾.

* هناك جملة محذوفة قبل نداء المسجون السابق ليوسف هى "فأرسلوه فقال منادياً
له:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

٩- قال تعالى على لسان يوسف:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلَيْمَ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
تَحْصِنُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿يوسف: ٤٧-٤٩﴾.

في هذا التأويل من التفصيل الزمنى والعملى ما يتجاوز طابع تفسير الرؤيا وما

يدل على أن من قاله ليس شخصاً من غمار الناس. ولقد أدرك الملك ذلك فاتخذ القرار التالى: ﴿وَقَالَ أَلَيْكَ أَتُّؤَنِّي بِهٖ﴾ [يوسف: ٥٠].

جاء رسول الملك إلى يوسف يدعوه إلى لقاء الملك فتذكر يوسف ما يلى مما مر به من الأحداث:

* قول العزيز لامرأته: ﴿إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ﴾.

* وقوله لها ﴿وَاسْتَغْفِرِ لِذَنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

* جراح أيدى النسوة اللاتى كن فى ضيافة امرأة العزيز.

* بلوغ مدة السجن زمنا أطول من المطلوب لنسيان الواقعة والذى وصف بعبارة "حتى حين".

* فأنار ذلك عتبا فى نفسه على العزيز الذى أعطاه من الأمل غير ذلك فلم ير يوسف بأسا فى أن يرد الرسول إلى (ربه) قائلاً:

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

﴿إِنْ نَفَىٰ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]. والمقصود بالرب هنا هو العزيز الذى قال لامرأته: "إن كيدكن عظيم".

١٠- دعا الملك النسوة فجاء بهن فسألهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٥١].

ولم يكن للنسوة علم بما اشتملت عليه الشكوى التى تقدم بها العزيز. فكان جوابهن:

﴿حَشَىٰ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١].

وهنا صحا ضمير امرأة العزيز فقررت أن تبوح بما خفى من الأمر فقالت: ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُمْ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ

لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَنِّي إِنَّ نَبِيَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [يوسف: ٥١-٥٣].

وهنا ينتهى فصل من فصول قصة يوسف ويبدأ فصل آخر هو فصل رجل
الدولة. وقد جاء تفصيل ذلك الشأن فى كتابى "البيان فى روائع القرآن".

وملخص ما سبق أن لفظ "رب" كما ورد فى سورة يوسف قد يراد به الله سبحانه
وتعالى، وقد يراد به العزيز الذى اشترى يوسف من جماعة السيارة، وقد يراد به
الملك.

دراسات في تراكييب النص القرآنى

مقدمة: أولاً القرآن:

القرآن الكريم رسالة الله إلى عباده أوحى بها إلى بشر مِّن خلقٍ وشَرَّفَ يحملها رجلاً خُصه من بين عباده بالأمانة وطهارة القلب واللسان فكان هذا الرجل محمداً ﷺ، وكان العرب في جاهليتهم يرفعون الفصاحة مكاناً علياً ويجودون من استعمالهم للغة ويربطون بين القدرة اللغوية وبين المروءة والسيادة بين الناس حتى لقد كثر فيهم الخطباء اللسن والشعراء الفحول وفرسان الكلمة في كل محجة من محجات الحياة. ولم تكن العرب أمة قارئة ولا كاتبة فحين أراد الناس أن يحتفظوا بذكريات أجدادهم أن تضع مع الأيام والليالي شحذوا حوافظهم وذواكرهم لاستيعاب هذه الأجداد بعد أن صاغوا تاريخها أجمل صياغة شعرية أو غير شعرية، ثم كان من بينهم الخادقون في نقد الكلام يفضلون بعضه على بعض بفكرة أبدية أو عبارة ناصعة ومن ثم لم ير المقاول بدا من حسن الإعداد واختيار ما يرون من الكلام أنه أولى بالتداول بين الناس.

وحين أرسل الله تعالى رسله في أمم قد خلت قبل نبينا عليه الصلاة والسلام زود كل رسول من رسله بمعجزة يؤيده بها لأنها خارقة للسنن المشهورة ولقوانين الحياة المألوفة أو لأنها عقوبة أنزلها على المكذبين بهذا الرسول. ولقد نبأنا الله من أخبار هؤلاء الأنبياء ومعجزاتهم في مواقف كثيرة من النص القرآنى فعرفنا طوفان نوح وريح عاد وناقة صالح ونار إبراهيم وخسف قرية لوط ونجاة يونس من الحوت

وإخلاف أيوب عمن هلك من ولده وضاع من صحته ولكن ثلاثة من الرسل اختصهم الله بمعجزات من جنس ما برع فيه أقوامهم وأولئك هم أصحاب الكتب المنزلة: موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. فأما موسى فقد أرسله الله إلى فرعون الذى كان يزعم أنه إله معبود وأن له كهنة يستطيعون أن يسحروا أعين الناس ويستربهوبهم وأن يأتوا بسحر عظيم ما نزال تسمع عنه في عبارات مثل "لعنة الفراعنة" أو إقامة "رصد" على كل كنز من كنوزهم فمن قدر له أن يفتح هذا الكنز أصابه الرصد بمكروه وهذه أمور يشيع تصديقها حتى في أوساط المثقفين والمشتغلين بعلم المصريات. فلما أعطى الله موسى معجزة اختار له تلك على صورة يظن الناس أنها سحر وما هي بسحر إن هي إلا تأييد من الله نصره موسى ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾. وأما عيسى فقد أرسل في زمان الدولة الرومانية وكان الرومان قد ورثوا علم اليونان بالطب وأضافوا إليه معارفهم هم فبرعوا في الطب فاختر الله لعيسى معجزة يظن من يراها أنها براعة في الطب وما هي بذلك أن هي إلا تأييد من الله لعبده عيسى فكان يبرئ الأكمة والأبرص ويحیی الموتى بإذن الله وينبئ الناس بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم ويخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله. فكيف أيد الله نبينا محمد بمعجزة من جنس ما برع فيه قومه؟

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِیُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] والنبی ﷺ خاطب قومه بلسانهم العربی. ولو وقف به الأمر عند هذا الحد فجاء القرآن نصا عربیًا عادیا لما كان هناك مما يستحق أن يلفت انتباهًا أو يثير عجبًا أو يبعث فكرة أو يشخذ قلمًا. ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، لأن هؤلاء العرب الذين كانوا كما ذكرنا يعتزون بقدرتهم على التفوق والتحليق في أجواز الفصاحة والإتيان بما يستحق الخلود من القول وقفوا مبهورين أمام نص القرآن، فلقد وهب الله محمدًا القرآن وجعله معجزة له من جنس ما برع فيه قومه. ومعنى أن القرآن معجزة أنه لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله مهما أوتى من البلاغة والدليل على

ذلك أن الحديث الشريف وهو من كلام أفصح العرب على الإطلاق محمد رسول الله ﷺ لا يرقى إلى طبقة الفصاحة القرآنية ولا يدانيها فما بالك بمن هم دون رسول الله في الفصاحة من سائر العرب. فما المقصود بعبارة "إعجاز القرآن"؟ ذهب بعض العلماء إلى أن الإعجاز باللفظ (والمراد التراكيب والأساليب) وذهب بعضهم إلى أن الإعجاز بالمعنى (لما فيه روائع الحكم وجوامع الكلم وتشريع الأحكام وتنظيم العلاقات بين العبد وأخيه والعبد وربّه) وجمع قوم بين اللفظ والمعنى فقالوا إن الإعجاز بهما. وذهبت طائفة إلى أن الإعجاز بالصرفة (أى يكون الله تعالى قد صرف الناس عن الإتيان بمثل القرآن) وهو قول يتنافى مع حقائق التاريخ لما عرفناه من أن بعض مدعى النبوة جاءوا بكلام تاقوا به إلى تقليد القرآن وإلى أن بعض ضعاف العقائد في صفوف المسلمين أنفسهم بدا عليهم (وأن لم يصرحوا بذلك) أنهم يحاولون هذه المحاولة الفاشلة فإن لم يكونوا حاولوا فقد اتجهت إليهم التهمة على الأقل. بما بدا من أحوالهم والله يغفر لمن يشاء والله واسع عليم.

ولما كان موضوعنا الذى نحاول إلقاء الضوء عليه هو دراسات لغوية وأدبية في القرآن والحديث. فإن حظنا من دراسة القرآن سيكون مقصوراً على اللغة (المفردات والتراكيب) والأدب (الأساليب) وذلك ما سنجده إن شاء الله في الصفحات التالية.

١ - الفاصلة القرآنية:

حين سمع الكافرون من عبدة الأصنام تلاوة القرآن لأول مرة حاروا في أمر القرآن فلقد كانوا يعرفون من ضروب الكلام في أيامهم الشعر والخطب والسحر وسجع الكهان ولم يكن القرآن في تركيبه وأسلوبه يشبه واحداً ولا أكثر من واحد من هذه الأضرب ولكنهم لم يدعوا للقرآن أنه من قبيل الخطابة لأن الرسول لا يقوم بالقرآن خطيباً بينهم ولم يجعلوه من سجع الكهان للوضوح الناصع في العبارة القرآنية والغموض الملبس في معظم سجع الكهان. فلم يبق لغلوهم في القرآن إلا

أن يلتمسوا له نسباً يربط بينه وبين السحر حيناً ثم بينه وبين الشعر حيناً آخر. قالوا أن القرآن سحر لأنه يفرق بين المرء وعشيرته فالمسلمون من سحره يقطعون الوشائج بينهم وبين أولى أرحامهم فيستحبون المؤمنين من غير أقربائهم على الكفار من أهليهم وكان السحر بزعمهم هو الأمر الوحيد الذى يصل ويقطع على هذا النحو فاتهموا القرآن بأنه قول ساحر. ثم وجدوا في الشعر قوة العبارة والتصرف في التراكيب وفحول المعنى وشجاعة الأخيـلة وسمو الجمال كما وجدوا له وزناً وقافية. ولقد تخيلوا في القرآن مشابهة من ذلك فادعوا أنه شعر وأن محمداً عليه السلام شاعر. وسنحاول هنا أن نقصر كلامنا على ما غمّرهم من أمر الفاصلة القرآنية فنفردها ببعض القول ونحاول أن تبرز من صفاتها وطرقها ما يوضح خصائصها التى تباعد بينها وبين خصائص الشعر:

إذا نظرنا في الكلام العادى بأية لغة وجدنا لهذا الكلام إيقاعاً يتميز به عن الكلام بلغة أخرى ويعود هذا الإيقاع إلى أن مجرى السياق يشتمل على مقاطع يقع عليها النبر ومقاطع أخرى لا يقع عليها والنبر إظهار أحد المقاطع في الكلمة للسمع يجعله أعلى وأوضح في الأذن من المقاطع الأخرى في الكلمة ذاتها فإذا سمعنا كلمة "معهد" وجدنا الميم المفتوحة أوضح في السمع من بقية الكلمة مثلها كمثل اللام المضمومة في "اللغة" والباء المكسورة في "العربية" وهكذا تشتمل عبارة "معهد اللغة العربية" على ثلاثة مقاطع منبورة يكتنف كلا منها مقاطع أخرى أقل وضوحاً في السمع. وإنما يأتى الإيقاع من تشابه المسافات بين النبر والنبر. أقول "التشابه" ولا أقول "التطابق" لأن التطابق من خصائص الوزن والوزن إنما يكون للشعر. والنبر في القرآن "متشابه" يأتى عنه الإيقاع وليس متطابقاً فلا يجيب مطالب الشعر الموزون. والمعروف أن الإيقاع يختلف قرباً وبعداً من الغاية الفنية للنص فمن الكلام ما تتقارب فيه المسافات بين النبر والنبر يثير في النفس هزة ذرقية وفنية لا يثيرها كلام آخر تختلف به المسافات المذكورة اختلافاً كثيراً، اقرأ قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۝

[الرعد: ١٧]. واحسب المسافة المقطعية ميم "السما" وميم "ماء" وسين "سالت" وهمة "أودية" وقاف "قدرها" إلخ واستشعر في نفسك جمال الإيقاع وستجده إن شاء الله. ولكن هذا الإيقاع على جماله ما كان له أن يعد وزناً وما كان لأذن أن تخطئ في التمييز بينه وبين الوزن، ومن هنا لم تكن دعوى الكافرين بأن القرآن شعر منصبة على نسبة الوزن إلى القرآن.

ففى الشعر إلى جانب الوزن قافية. وتقفية الشعر تتطلب تطابق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية وقد جعل الالتزام بالقافية جزءاً من "عمود الشعر" الذى لا يكون الشعر شعراً بدونه كما أن البيت (أى الخيمة) لا يكون بيتاً إلا بما يعتمد عليه من عمود وعماد. وللقرآن خواتيم للآيات متشابهة من الناحية الصوتية تسمى "الفواصل" استمع الكافرون إليها فغرتهم عن ملكاتهم وأذواقهم فربطوا بالباطل بينها وبين القوافى ثم ادعوا أن القرآن قول شاعر. وأن التأمل فى الفاصلة القرآنية ليرى فارقاً عظيماً بينها وبين القافية يمكن تلخيصه على النحو التالى:

أولاً: تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف فى آخر البيت اقرأ مثلاً قصيدة شوقى:

سلوا قلبى غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

وسترى أن القافية هنا مكونة من "ألف وباء وألف" وأن ذلك يلتزم فى نهاية كل بيت فلا يقبل فى القصيدة بيت إذا كانت نهايته "يا" أو "وبا" أو "أنا" أو "أبى" أما الفاصلة فلا تتبنى على شئ من ذلك. فإذا قرأت سورة الحج مثلاً وجدت فواصل الآيات تنتهى بكلمات لا تقفية بينها وهذه الفواصل بالترتيب هى:

عظيم - شديد - مريد - السعير - بهيج - قدير - القبور - مثير - الحريق - للبعيد -
المبين - البعيد - العشير - ما يريد - ما يغيظ - من يريد - شهيد - ما يشاء - الحميم -
الجلود - حديد - الحريق - حرير - الحميد - أليم - السجود - عميق - الفقير - العتيق -

الزور - سحيق - القلوب - العتيق - المختبين - ينفقون - تشكرون - المحسنين - كفور
 -قدير - عزيز - الأمور - ثمود - لوط - نكير - مشيد - الصدور - تعدون - المصير -
 ميين - كريم - الجحيم - حكيم - بعيد - مستقيم - عقيم - النعيم - مهين - الرازقين -
 حلیم - غفور - بصير - كبير - خبير - حميد - رحيم - كفور - مستقيم - تعملون -
 تختلفون - يسير - نصير - المصير - المطلوب - عزيز - يصير - الأمور - تفلحون -
 النصير.

ويتضح من ذلك أن الفواصل القرآنية لا تعتمد على التقفية ولا تلتزمها لأن نهاية
 الفاصلة قد جاءت على حروف مختلفة على النحو التالي:

ء = ١	وب = ٢
يج = ١	ود = ٣
يد = ١٢	ور = ٨
ير = ١٧	يق = ٦
يم = ١٢	ون = ٦
ين = ٦	يظ = ١
يز = ٢	وط = ١

وليس الأمر مقصوراً على سورة الحج بل أنك لتجد الفاصلة لا تلتزم في صور
 القرآن بصورة عامة فإذا التزمت لم يلتزم منها ما يصلح أن يكون تقفيه وإنما تحرص
 الفاصلة على اتجاه صوتي عام وليس على أصوات بعينها. فقد تلتزم الفاصلة مداً
 ضيقاً (واوًا أو ياء) متلوّ بحرف أنفى (ميم أو نون) كما في يونس والحجر والنحل
 والمؤمنون أو تلتزم مداً ضيقاً فقط ويأتى ما بعد المد غير مقيد كما في لقمان والسجدة
 وقد تلتزم ألفاً مطلقة كما في الكهف والأحزاب والفتح والطلاق والجن والمزمل
 والدهر وقد تلتزم ألفاً مقصورة كما في الأعلى والليل أو ألفاً تتلوها الغنة الأنفية

مطلقاً كما في الرحمن أولاً يكون ثمة التزام للفاصلة وذلك ما نجده في الأغلب الأعم من سور القرآن الكريم. ولا تجد واحداً من الأمور التي التزمها الفاصلة يصلح أن يكون قافية. قالوا والميم في الشعر لا تتناسب مع الياء والنون وكذلك لا يكفي للقافية أن تعتمد على وجود المد الضيق قبل الحرف الأخير من البيت مع حرية اختيار هذا الحرف الأخير فكلمة "إدريس" لا يصلح لقافية فيها "نوح" ولو كان ما قبل الآخر فيهما مدّاً ضيقاً. وكذلك لا يكفي للقافية أن يكون الحرف الأخير ألفاً مطلقة فلا يجتمع في قوافي القصيدة الواحدة أن تستعمل "عجبا" و"هسا" أو "تسلما" و"كثيرا" أو "رحيما" و"عزيزا" كما في سورة الأحزاب. ومغزى كل هذا أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافاً تاماً عن مطالب القافية.

ومع ذلك تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقيق للنص جانباً جمالياً لا تخطئه الأذن لأنها على أي حال تضيف على النص نوعاً من النظام والتقسيم إلى فقرات تتفق في الكثير من الأحيان مع مكان الوقف وتتفق أكثر من ذلك مع أطوال نفس القارئ وتمنح أذن السامع إحساساً بالوصول إلى مرحلة على طريق متواصل تحف به من الجانبين روائع المعنى وروائق الإيقاع. وقد تكون الفاصلة جزءاً لا يتجزأ من الكلام السابق نحو: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٨١﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُونَ النَّصِيحِينَ ﴿٨٤﴾ [الأعراف: ٧٤-٧٩]. فكل آية تنتهي بكلمة وثيقة الصلة النحوية

بما قبلها وشديدة الارتباط المعنوي به أيضًا، فكلمة "مفسدين" حال مما سبقها ولفظ "مؤمنون" خبر إن وكذلك الحال في "كافرون" وهكذا. ولكن الفاصلة قد تأتي أيضًا بعد تمام المعنى فتكون تذييلًا للآية أو تعليقًا على محتواها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَنْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٥﴾ * إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَلُوبُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا بَغِيًّا لِكَيْلَا تَخْزَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نَاعِسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٢ - ١٥٥]. فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ إنما جاء بعد تمام المعنى فكان تذييلًا للآيات أكسبها جمالا وحدد معالم كل آية على حدة لتمييز كل آية منها عن الأخرى وإبراز ما لها من مضمون خاص.

والملاحظ أن هناك انسجامًا وتآلفًا بين مضمون الآية ومضمون التذييل فليس في القرآن آية مضمونها العقاب تنتهى بتذييل يدل على الوحدة وليس في القرآن من آية فيها رضوان من الله على المؤمنين تنتهى بتذييل ينص على أن الله شديد العقاب وهلم جرا.

يتكلم البلاغيون عن أغراض التقديم والتأخير فيوردون من ذلك عددًا يتجه كله تقريبًا إلى رعاية مطالب المعنى ولكننا ربما لمحنا في القرآن تقديمًا وتأخيرًا لرعاية مطالب الفاصلة فيحدث من اختلاف الرتبة بين الكلمات في السياق ما يجعل الكلمة الأخيرة من الآية منسجمة مع الفواصل المحيطة بها. وقد يكون هذا بتقديم الجار والمجرور عن متعلقة كقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. أو قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] أو تقديم المفعول على الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلُمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]. بل أن ذلك ل يبدو أوضح ما يكون إذا نظرنا إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] ووضعنا إزاءه قوله في سورة النساء: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦، ١٥٥] بل إن الأحداث التاريخية قد يتقدم منها في الذكر ما تأخر في الزمن وقد يحدث عكس ذلك وكلاهما لمناسبة الفاصلة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

فلقد تقدم عيسى في الآية على هرون وتقدم سليمان على داود صاحب الزبور وجاء في آخرهم موسى الذى كلمه الله تكليماً.

وقد يتخذ الطباقي أو المقابلة صورة ملائمة للفاصلة. فإذا وضعنا "صدق" في أحد طرفي الطباقي توقعنا أن يكون الطرف الثانى "كذب" ولكننا نقرا في الآية الكريمة ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]. ومثل ذلك أننا إذا وضعنا في أحد الطرفين لفظ "تهتدى" توقعنا في الطرف الآخر لفظ "تضل" ولكننا نرى الآية الكريمة تأتى على صورة أخرى وهى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]. وربما كانت الحكمة في هذا

التعبير مزدوجة بمعنى أنها راعت أمرين أولهما الفاصلة والثاني أن مجرد عدم الاهتمام للعرش أيسر من أن يوصف بأنه ضلال لأن الضلال أقوى دلالة على الزيغ الملابس للعناد ولذلك كثر وصف الكفار به ونحن نعلم من سياق النص أنها ثابت وأقرت بأنها ظلمت نفسها وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

والمعروف أن القرآن يتسع للنحو ولا يتسع له النحو لأن النحو مجاله ما اطرده استعمال اللغوى وأما القرآن فيهيمن على اللغة كلها ما اطرده منها وما لم يطرده. هذا من جانب وهو من الجانب الآخر سنة متبعة لأنه مروي عن النبي ﷺ الذي تلقاه عن جبريل عليه السلام وقد رواه الصحابة والتابعين ومن تبعهم بالتواتر فما كان من القرآن فوق قواعد النحو فهو بلسان عربى مبين وإن تحدى القاعدة التى وضعها النحاة وقد يكون هذا التحدى فى غير الفاصلة كما سنرى فيما بعد وقد يكون فى الفاصلة ذاتها. والمشهور فى الاستعمال النحوى (المتفق مع القواعد) أن الألف المطلقة فى نهاية النطق (أى فى الوقف) تنوب عن الفتحة مع التنوين ومن ثم يخلو الاسم المختوم بها من "أل" لأن حرف التعريف يتنافى مع التنوين فى الكلمة الواحدة. ولكن منذ الذى لا ينزه القرآن عن قيود النحاة وهو يعلم أن اللغة العربية أوسع من صنيع النحاة بدليل أنهم هم أنفسهم اعترفوا بطرق استعمال فصيحة خارج قواعدهم سموها القليل أو النادر أو الشاذ واشتمل منهجهم على قاعدة تقول: "الشذوذ لا ينافى الفصاحة"^(١). إذا عرفنا هذا فإننا لا ينبغي أن نسلط قواعد النحو على قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]. وقوله: ﴿يَلَيَّتْنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصْلُونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ولقد تعدد الفاصلة فى آيات متتابعة ومعناها مع التعدد واحد أو شبه واحد،

(١١) فيض نشر الانشراح من روض طى الاقتراح لابن الطيب الشرفى ص ٢٣-١٢٤. مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط رقم د ١٩١٥.

وذلك لغرض من التعدد لولاه "لأجزاء عن جميع ذلك فاصلة واحدة. مثال ذلك أن المؤمنين لا يؤمنون إلا وقد أيقنوا بها آمنوا به ولا بد أن يكون ذلك عن تدبر ودلالة عقلية ومن ثم فهم يعقلون. ومعنى ذلك أن: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿يُوقِنُونَ﴾ و﴿يَعْقِلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وهذه الفواصل الأربع تتوالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٦].

فهذه الآيات أو الدلائل ساقها الله لمن كان له عقل يوصله إلى اليقين والإيمان وإذا لم يهتد بها الناس فبأى حديث بعد ذلك يؤمنون، ومغزى كل ذلك أن التعدد في الفواصل إنما جاء لسلب الإيمان واليقين والعقل عن الكفار مع كثرة البراهين والآيات المحسوسة ذات الدلالات الواضحة بل على الرغم من هذه البراهين والآيات.

إن بعض الفواصل القرآنية يأبى قبل أن تستكمل الجملة عناصرها النحوية استصحاباً للطابع النغمي وحفاظاً عليه أن يتخافت بسبب طول الجملة وليكون أداء الفاصلة غرضها أبلغ وأتم انظر على سبيل الشاهد إلى قوله تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣-٤] أو قوله في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿أَوْ

كَصَبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَصْبَعُهُمْ فِيْءِ إِذْ أَنِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٧-١٩﴾. أو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿النساء: ١٤٠-١٤١﴾ أو قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أُعْيِيَهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿الكهف: ١٠٠-١٠١﴾. ومعنى هذا أن الفاصلة القرآنية لا تدل بالضرورة على تمام المعنى ومن ثم تصبغ وظيفتها في القرآن غير نحوية ولا دلالية. فإذا لم يكن للفاصلة غرض نحوى ولا دلالى فإذا يكون الغرض منها؟ يبدو مع التأمل أن غرضها جمالى يرتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآنى.

٢ - تراكيب القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِّنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٧٤﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وإذا كان القرآن إلهى المصدر ولكنه عربى اللسان فإنه لا يمكن فهمه فهماً صحيحاً إلا إذا كان النظر فى تراكيبه من نوع النظر فى التراكيب العربية والأساليب العربية وفى نطاق ما أنشأه علماء العربية واللغة والبلاغة وغيرها من مناهج وطرق للبحث. وإذا التزم الناظر فى تراكيب القرآن بجهود العلماء السابقين من سلفنا الصالح فلا بد أن يتناول النص القرآنى الكريم بمصطلح هؤلاء العلماء لأنه لا يستطيع أن يستخرج حقائق التحليل العلمى إلا بواسطة المصطلحات المذكورة. وإذا كان السلف قد أطلقوا على بعض القراءات القرآنية لفظاً مثل "الشاذة" فإنهم لم يكونوا

يقصدون بهذا اللفظ أى مساس بقدسية النص القرآنى أو تناول غير كريم لقراءة بعينها من قراءات القرآن، لأن المصطلح لا يستعمل بالمعنى اللغوى وإنما يستعمل بمعناه الاصطلاحى وليس فى المعنى الاصطلاحى لكلمة "شاذة" ما ينعكس انعكاسًا سيئًا على هذه القراءة. وإذا قال أحدهم فى إعراب قوله تعالى: ﴿وَمَا زِلْنَا بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] أن الباء زائدة فإن ذلك لا يعنى أن فى القرآن حشوا (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) بل يعنى أن الباء فى موضعها قد جاءت لزيادة المعنى وأن كان التركيب بدونها مستوفيا لشروط الوضع النحوى إذ يمكن الوصول إلى المعنى البسيط من تركيب مثل: وما ربك ظلاما للعبيد فحين جاءت الباء أكدت نفى الظلم عن الله تعالى وقديما قالوا: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" فهذه "الزيادة" هى التى نسبت إلى الباء وليست الزيادة بمعنى الحشو.

وكذلك يكون فهم القول بالحذف. فليس المقصود بنسبة الحذف إلى شىء من التركيب القرآنى أن فى كلام الله تعالى نقصا نكملة نحن أو يكمله قوم آخرون من السلف أو الخلف. بل المقصود أن جزءا من التركيب قد أحاط به من القرائن المقالية أو الحالية ما جعل فهمه واضحا فأصبح ذكره حشوا لا مبرر له ومن ثم اعتمد النص على القرائن فلم يذكر هذا الجزء من التركيب. وعلى هذا يجرى الاستعمال اللغوى بكافة أنواعه. فإذا سألك سائل كيف أنت؟ فإن أمثل الطرق أن ترد عليه قائلا: بخير وسيكون هذا الرد المتسم بالحذف مغنيا عن رد آخر استوفى أركان الجملة وهو: أنا بخير. فالضمير "أنا" ورد ضمنا فى السؤال فى صورة الضمير "أنت" لأن أحدهما يتحول إلى الآخر باختلاف التكلم والخطاب أى باختلاف أدوار المخاطبة ومن ثم يصبح ذكره لا ضرورة له لأنه أصبح حشوا فى الكلام. ولا يلزم ذكره إلا فى مواقف خاصة كحين تعليم اللغة أو إرادة معنى إضافى يفهم من خارج اللفظ نحو: أنا بخير "أما أنت فلا" ونحو ذلك. فالحذف عند وجود القرائن على المحذوف أفضل الخيارين فى التركيب فلا يعد نقیصة فى

الأداء وإنما يعد اقتصادًا لغويًا يستحق الإطراء وأن يعد في مراتب البلاغة العليا. وشرط ذلك على أى حال أنه "لا حذف إلا بدليل" وهذا الدليل هو الذى سميناه القرينة منذ قليل.

ويقال مثل ذلك فى كل مصطلح من مصطلحات النحو واللغة والبلاغة كالقلب والنقل والإعلال والإبدال والفصل والمعرّب والغريب والقبلى والمجاز والكناية والتورية ونحو ذلك فهذه الكلمات ألقت وراءها وزر معانيها اللغوية التى تنسب إليها فى المعجم واصطبغت بصبغة الدلالة الاصطلاحية على فكرة من أفكار المنهج فمثلها مثل (س) أو (ص) فى الجبر لم تعد تدل على حرف أبجدى وإنما انتقلت من ذلك إلى الدلالة على أية كمية مجهولة. بعد هذا التقديم الذى لم يكن منه نقف نحن بصدد دراسة تراكيب القرآن.

أ- بنية الكلمة:

تحرص اللغة أكبر الحرص على أمن اللبس لأن اللغة أداة اتصال بين أطراف مختلفة فإذا كانت العبارة عرضة للبس لم يتحقق الغرض المرجو من الاتصال ومن هنا قامت الشروط الصوتية والصرفية والنحوية حارسًا على تحقيق القرائن التى يتبين بها المعنى وحسبنا أن نقرا فى هذا المجال عبارة ابن مالك التى يقول فيها: "وأن يشكل خيف ليس يجتنب". أما حين يتحقق القدر الكافى من القرائن للدلالة على المعنى فقد كان الفصحاء يترخصون فى بعض القرائن لا يفرقون فى ذلك بين شعر ونثر. فأما فى الشعر فقد نسب الأقدمون ذلك إلى الضرائر ونحن نعلم أنه كان للشاعر مندوحة فى بعض رخصه ولكنه فضل الترخص وهو أدرى بما يقول وأما فى غير الشعر فقد تباينت أوصاف الترخص بين الشاذ والنادر والقليل والغلط والقبلى والمصنوع والمنحول وغير ذلك وقد كان القدر المشترك بين كل ذلك أنه ترخص فى القرينة عند وضوح المعنى بدونها. وهذا الترخص مقبول من الفصحاء بشرط واحد عبر عنه بعضهم بعبارة "الرخصة مشروطة بمحلها" ويقول أبو هلال

العسكري^(١): والتوسع يلزم موضعه المستعمل فيه ولا يتعداه، أى أن المحدثين وهم غير فصحاء لا يقبل منهم الترخص فى اللغة وإنما يعد ذلك منهم من قبيل الخطأ فى الاستعمال.

والقرائن التى يمكن الترخص فيها فى اللغة العربية هى البنية والإعراب والربط والرتبة والتضام وكتب النحو مليئة بتأويل ذلك بإرجاعه إلى أصل من أصولهم بواسطة القول بالزيادة أو الحذف أو الفصل أو الإضمار أو التقديم أو الإعراب المحلى أو التضمنين أو نيابة شئ عن شئ أو التعويض أو الفك أو السبك أو الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب إلخ. والقرآن كما ذكرنا جاء بلسان عربى فكان فى أعلى طبقات الفصاحة وكان فوق الحدود الضيقة التى انحصرت فيها قواعد النحاة إذ عنى النحاة بالمطرود ولكن اللغة تشتمل على المطرود وغيره وليس غير المطرود يمتنعون فى فصاحته لأن الشذوذ لا ينافى الفصاحة. ومن هذا المنطلق نبداً النظر فى بنية بعض الكلمات التى وردت فى القرآن الكريم مثل:

﴿بَبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦] = مَكَّةَ

﴿سَيِّئِينَ﴾ [التين: ٣] = سَيِّئَاءَ

﴿كَبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢] = كَبِيرٍ أو أَكْبَرُ

﴿يَهْدَى﴾ [يونس: ٣٥] = يَهْدَى

﴿وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨] = مِيكَائِيلَ

﴿إِلَ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠] = إِلْيَاسَ

﴿عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] = عَجِيبٌ أو أَعْجَبُ

﴿يُخَصِّصُونَ﴾ [يس: ٤٩] = يُخَصِّصُونَ

(١) الفروق فى اللغة ص ٢٦.

﴿ كَذَّابًا ﴾ [النبا: ٢٨] = تَكْذِيبًا

وقد يكون بعض ذلك مراعاة للفاصلة مثل ﴿ سَيِّئِينَ ﴾ و﴿ إِلَٰهَ يَاسِينَ ﴾ و﴿ كُبَارًا ﴾ و﴿ عُجَابًا ﴾ و﴿ كَذَّابًا ﴾ ولكن البعض الآخر لا يقع موقع الفاصلة مثل ﴿ بَيْكَةً ﴾ و﴿ وَمِيكَالَ ﴾ و﴿ يَهْدَى ﴾ أما ﴿ يَخْضُمُونَ ﴾ فإن الفاصلة يمكن أن تتحقق بها سواء أ جاءت على حالها أم على صورة "يَخْضُمُونَ".

وفي قواعد النحاة أننا إذا أشرنا إلى اسم صريح قلنا: هذا محمد فقدمنا الإشارة وأخرنا الاسم الصريح أما إذا أشرنا إلى الضمير فأشهر الخيارين أن نضع الضميرين (ها التنبيه والاشارة) فتقول: "ها هو ذا" ونحن نقصد "هذا هو" وفي القرآن قوله تعالى:

١- ﴿ هَاتَيْنِ أُولَٰئِ هُتُوتُنَّ وَلَا تُجِبُونَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢- ﴿ هَاتَيْنِ هَتُولَآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

٣- ﴿ هَاتَيْنِ هَتُولَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ [النساء: ١٠٩].

٤- ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُولَآءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥].

بهذا يتضح لنا أن القرآن فوق قواعد النحاة فهو يسع النحو ولا يسعه النحو وربما صلح ذلك لأن يكون جانبًا من جوانب إعجازه.

ب- الزيادة:

سبق أن قلنا إن نسبة الزيادة إلى عنصر لغوى ما لا تعنى أبدًا أن ذكر هذا العنصر من قبيل الحشو وإنما هو من قبيل زيادة المعنى أو بعبارة أخرى من قبيل توكيد المعنى. ومن هذا القبيل زيادة حرف الجر وحرف النفي وحرف العطف وغير ذلك.

فمن قبيل حرف الجر الزائد ما في قوله تعالى:

١- ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

٢- ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٣- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ رَّبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٩].

٤- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٣-١١٤].

٥- ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦].

ومن قبيل زيادة حرف النفي ما أولا في قوله تعالى:

١- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَنَّهُمْ ءَايَةٌ لِّمُؤْمِنِيهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

٢- ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

٣- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

٤- ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩].

٥- ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

٦- ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤١].

ومن زيادة حرف العطف ما تجده في قوله تعالى:

١- ﴿إِن يَمَسُّنَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٢- ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٣- ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧].

٤- ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

٥- ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

٦- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

٧- ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِتُبَيِّنَ لَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٨- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

٩- ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤].

١٠- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. ويجوز في الواو هنا أن تكون للحال في ضوء قوله تعالى: ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾.

ومن زيادة غير ذلك من الحروف ما في قوله تعالى:

١- ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والحرف الزائد هو "ما".

٢- ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] والحرف الزائد هو "ما".

٣- ﴿أَتَتَرَكُونَ فِي مَا هَبْنَاهُ آمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦] والزائدة تشمل "فيا".

٤- ﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠] والحرف الزائد هو "ما".

٥- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] والحرف الزائد هو "الكاف".

٦- ﴿قُلْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا﴾ [ق: ١-٢] والحرف الزائد هو "بل".
وأما زيادة الضمير للتوكيد فأشهر ذلك ما يسميه النحاة ضمير الفصل ولكن من ذلك أيضًا ما نجده في قوله تعالى:

١- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣].

٢- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٥].

وكل ما سبق من زيادة هو لتأكيد المعنى سواء أكان المعنى إيجابيًا أم نفيًا.

ج - الحذف:

والقول في الحذف كالقول في الزيادة لا يترتب عليه ما قد يتطرق إلى ذهن البعض من دعوى نقص في كلام الله يكمله العباد بل العكس نجد مبرر الحذف أن يتوافر من القرائن والأدلة على المحذوف ما يجعل ذكره حشوا كما سبق الكلام في ذلك وبذلك يصبح الأسلوب قويًا بالحذف حذف الحرف أو حذف الكلمة أو حذف شطر الجملة أو حذف كلام يقتضيه المعنى وأن لم يذكر وذلك لوضوحه من ملابسات النص وستعرض لكل واحد من هذه الأنواع على حدة:

حذف الحرف:

أ - لقد وصلنا التراث العربي مكتوبًا ولم يكن في الخط العربي علامات للترقيم ومن ثم خلا هذا الخط مما يدل على الاستفهام سوى حرف الاستفهام نفسه وعلى الرغم من أن الفصحاء كانوا يترخصون بحذف همزة الاستفهام جاعلين نغمة الكلام دليلاً على المحذوف حرص النحاة على ذكرها في الجملة لانتهاه عصر الفصاحة وعدم اشتغال الخط على علامات تقوم دليلاً على الحذف. وهكذا أوجب النحاة ذكر حرف الاستفهام ولكن النص القرآني نص فصيح وقد اشتمل على حذف الهمزة في الآيات الآتية ونحوها:

* ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي^ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي^ط الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] والمعنى أو

من ذرئتي؟

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢] والمعنى أو تلك نعمة؟

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] والمعنى أمثل الجنة..؟

ب - من القواعد المقررة في النحو أن نزع الخافض يطرد في أن وأن ويعتمد على السماع فيما عدا ذلك وقد حذف الخافض في القرآن في المجالين المطرد والسماعي ومن قبيل الثاني قوله تعالى:

﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القلم: ٧] أى بمن ضل.

﴿ قُلْ نَبِّأْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أى بمن جاء.

ودليل الحذف في الآية الأولى من شقين أولهما لأن أفعل التفضيل لا ينصب مفعولاً به ومن ثم تلزم الباء والدليل الثاني أن "أعلم" الثانية في الآية وصلت إلى "من" بواسطة الباء. ودليل الحذف في الآية الثانية هو نفسه أو الدليلين في الأولى.

ج - يقرر النحاة أن جملة الحال إذا كان فعلها ماضياً اقترن بـ "قد" ومن ثم أكثروا القول في قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: ٩٠] ولكن هذه الظاهرة توجد في آيات قرآنية أخرى مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ [يوسف: ٧١] أى قالوا وقد أقبلوا عليهم. وقد كان يجدر بالنحاة أن يراجعوا هذه القاعدة لتكرار حذف "قد" في القرآن.

د - قد يتضح من القرائن الحالية ما يعين مكان حرف محذوف فتعد القرينة الحالية دليلاً على الحذف وعلى تقدير المعنى وتحديد مكان المحذوف وذلك كحذف الفاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] فالقول بالحذف يحتمه أن الجملة لا تحتل أكثر من جواب شرط واحد ولكنها تشتمل على "قلت" و"تولوا" وكلاهما صالح نحويًا أن يكون جوابًا للشرط إذا تعين العطف في الآخر. غير أن قرينة معرفة القصة من السيرة النبوية تجعل "قلت" معطوفًا بفاء محذوفة على "أتوك" فيكون "تولوا" جوابًا للشرط.

حذف الكلمة:

قد تكون الكلمة المحذوفة ضميرًا عائداً فيصبح مرجع الضمير هو دليل الحذف كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] فإذا فهمنا من "ما" الأولى معنى الموصولية اقتضت ضميرًا رابطًا وكان التقدير "ما تحمله" أما إذا فهمنا منها معنى المصدرية كاللتين تليانها فلا موضع لتقدير الضمير لأن ما المصدرية لا تصلح مرجعًا ولا حاجة إلى الربط لأن العطف عطف مصادر مؤولة والتقدير: (الله يعلم حمل كل أنثى وغيض الأرحام وازديادها) وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣] إذا التفسير "لما قالوه" فيكون الضمير محذوفًا أو "لقولهم" فلا حذف. ولكن الحذف يتعين في نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] أى لا تجزى فيه.. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] أى تعلمونه. وقوله: ﴿وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكَوْزِ مَا إِنَّ مَفَاحِهِمُ لَتُنَوُّوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] أى تتو بها العصبة أولو القوة. وقد يكون القول بالحذف رعاية للصناعة النحوية التي تحتّم تقدير ما لم يذكر من ركني الجملة أو عامل لمعمول لا يوجد في الجملة

ما يمكن تسليطه عليه أو ضميمة لكلمة ذات اختصاص يمتلك الضميمة أو معطوف عليه يتطلبه المعطوف وقد يكون هذا القول بالحذف لسبب آخر كمجاز الحذف. فمن قبيل القول بالحذف لتقدير ما لم يذكر من ركنى الجملة ما في قوله تعالى:

* ﴿كَهَيْعَصَ ۖ ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا﴾ [مريم: ١-٢] أى هذا ذكر رحمة ربك.

* ﴿بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبا: ١٥] أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور.
* ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] أى فسيبله اتباع.

* ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] أى فقضاؤه عدة..

* ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِمَاءٍ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أى فكفارته فدية..

* ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أى ففريضتهن نصف ما فرضتم.

* ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] أى فضمانتكم رهان مقبوضة.

* ﴿وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أى فالأفضل نظرة إلى ميسرة.

قيل القول بالحذف لتقدير عامل واجب الحذف يعمل في منصوب ليس في الجملة ما يمكن أن يسלט عليه ما نجده في قوله تعالى:

* ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧] أَى سَنَّا.

* ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤] أَى أَقُول قَوْل الحق.

* ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤] أَى نزلناه تنزيلاً.

* ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢] أَى نجعلها آية أخرى.

* ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] أَى نلزمكم ملة أبيكم.

* ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] أَى نريك.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٤٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [لقمان: ٨-٩] أَى نعدهم وعد الله.

* ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣] أَى تستكبرون استكباراً وتمكرون مكر السيئ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمْهُمْ فَشْدُوا أَلْوَتَاكَ فَمَا مَثًّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] أَى فإما أن تمناو منا وإما أن تقبلوا فداء.

* ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ كَتَبَ مُوَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] أَى كتبنا كتاباً مؤجلاً.

ومن قبيل حذف ضميمة الكلمة المختصة التى تتطلب هذه الضميمة ما فى قوله تعالى:

* ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ﴾ [هود: ١١١] أى لما يوفوا أعمالهم. إذ المقرر أن "لما" من بين الجوازم التى تختص بالدخول على المضارع فتبشره دون فاصل بينهما ولا يعقل أن تكون داخلة على المضارع المذكور بعد اللام للفصل ولأن المعنى يناقض ذلك ولما كانت لما حرفاً يفتقر إلى مدخول ولا شىء يصلح أن يكون مدخولاً له فى الجملة أصبح لا مناص من القول بالحذف. وربما كان من قبيل حذف المعطوف عليه ما فى قوله تعالى:

* ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلٌ وَلِيُؤْفِقِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩] أى لىفاضل بينهم وليوفيههم.

وأما ما ذكرناه من أمر مجاز الحذف فذلك مشهور من كلامهم عن قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أى واسأل أهل القرية وأصحاب العير. ونستطيع أن نسوق مثالا آخر على ذلك فى قوله:

* ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧] أى مثل الحق ومثل الباطل لأن الله يضرب الأمثال، والحق والباطل لا وجه لضربهما إلا أن يكونا مثليين.

وقد يكون المحذوف صفة أو موصوفاً ولا يدعى فيه الحذف إلا أن يقوم دليل على ذلك فمن قبيل حذف الصفة ما فى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مِّلْكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] أى كل سفينة صالحة بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٧] أى المسجد الأقصى بدليل شهرة هذه التسمية وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] أى كالأنعام الضالة بدليل بقية الآية. وأما حذف الموصوف فمن شواهد قوله تعالى:

* ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] أى وآيات أخر.

* ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٣] أى وفئة أخرى.

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾ [النساء: ٣] أى فامرأة واحدة.

* ﴿ وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦] أى بتحية أحسن منها.

* ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَالِحًا لَتُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣] أى غلامًا صالحًا.

حذف شرط الجملة:

هنا أيضًا لا بد من وجود دليل على المحذوف إما لفظى وإما معنوى. فمن اللفظى حرف العطف "ثم" والفعل "تاب" فى قوله تعالى:

* ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة: ١١٨] لأن الذى تعطف عليه التوبة لا بد أن يكون المغفرة "والتقدير" غفر لهم ثم تاب عليهم "ومن ثم يصبح قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ ﴾ هو دليل المحذوف. ومنه قوله تعالى:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] إذ نجد "إِنَّ" التى فى أول الآية قد استوفت اسمها دون خبرها وعطف عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ وفى ذلك دليل على المحذوف يمكننا به أن نقدر للخبر "لا يضره شئًا" لأن معنى العزة يقتضى عدم التأثر بكفرهم. ومنه أيضًا قوله تعالى:

* ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤] إذ يتضح من قوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أن الخبر المحذوف يمكن تقديره بلفظ "ناج" أو مغفور له" أو "طامع في الرحمة"! وبخاصة إذا ضممنا إلى هذه القرينة اللفظية قرينة أخرى لفظية هي الاستفهام الإنكارى الذى يعزز ما فى الآية من وعيد فيتطلب عكس معنى قوله وهذا العكس هو الذى جرى تقديره. ومن هذا القبيل أيضًا:

* ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لأن قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعين على تقدير الشق الآخر من مدخول همزة التعيين كما يعين على تدبر الخبر إذ التقدير: أفمن شرح الله صدره ناج آمن قسا قبله فويل... إلخ وهكذا نستعين لتقدير المحذوف بقرينة لفظية تدل عليه فتكون دليل الحذف. ومنه كذلك قوله تعالى:

* ﴿أَءِذَا لَمَبَعُوثُونَ ﴿٦٠﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا أَلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٧ والواقعة: ٤٨] إذا اشتملت الآية السابقة على دليل المحذوف والتقدير: أو آبائنا الأولون مبعوثون. ومنه أيضًا:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] لأن التفصيل بقوله: منكم.... ومنكم يدل على ديبب الخلاف بينهم فيكون تقدير المحذوف: "تبايتم". ومنه قوله تعالى:

* ﴿لَا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] لأن الطرف الآخر للمساواة ذكر بنصه فى جملة مستأنفة وجعل الأسبقين

أعظم درجة من الآخرين فلزم أن يكون التقدير: لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل. ومنه كذلك:

* ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٧ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا قُلْ إِنَّمَا الْإِنشَاءُ عَلَىٰ مَوْلَىٰ رَبِّي فَأَتَىٰ بِهِمْ الْبَغْضَاءُ مِنْ رَبِّهِمْ فَمَنْ هَبْطَ عَلَيْهِمْ الصَّاعِقُ فَوَقَّعَهُمْ فِي سَعِيرٍ ﴾ ٤٨ ﴿ فَقَدْ ذَكَرْتَ لَوْلَا فِي الْآيَتَيْنِ فَكَانَتْ شَرْطِيَّةً فِي الْأُولَى وَتَحْضِيضِيَّةً فِي الثَّانِيَةِ وَجَوَابُ الْأُولَى مُحذُوفٌ يَسْتَعَانُ عَلَى تَقْدِيرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَصِبْهُمْ بِعَذَابٍ وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ أَيْ بِالْقُرْآنِ. فَتَقْدِيرُ الْجَوَابِ: لِأَصْبَابِهِمْ بِالْعَذَابِ بَدَلًا مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ الْحَقُّ. وَمِنْهُ:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ٤٥ ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [يس: ٤٥-٤٦] فَجَوَابُ إِذَا مُحذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ أَعْرَضُوا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ٢٥ ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حُجَّتُهُمْ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٥]. فَفِي الْآيَةِ الْأُولَى دَلِيلُ الْمَحْذُوفِ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَوَابُ لَوْلَا إِذَا التَّقْدِيرُ: لَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ مَا كَفَفْنَا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ. وَمِنْهُ:

* ﴿أَمِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكُمْ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] لأن في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ دليل على أن جواب "إذا" يمكن تقديره بلفظ "نرجع" أى نبعث.

أما في سورة النور فقد حذف جواب لولا مرتين ثم تكررت بعد كل منهما ومعها الجواب مذكوراً فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ [النور: ١٠-١٤] فقد ذكر "لولا" مرتين فحذف جواب الأولى لدلالة جواب الثانية عليه. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ أَحَدٌ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور: ٢٠-٢١] فحذف جواب الأولى لدلالة جواب الثانية عليه.

ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَتَرَوُنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فكلية غير والمقابلة بين الأرض والسموات تدل على أن المحذوف تقديره "غير السموات".

وكذلك قوله:

* ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] إذ يتعين

من اللفظ أن يكون التقدير مع العطف "ويتوفى التى لم تمت فى منامها" ومن ذلك أيضًا:

* ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩] أى ائن ذكرتم تطيرتم بمن ذكركم.

هذا شأن الدليل اللفظى على الحذف. ولكن الدليل قد يكون معنويًا أيضًا يقتضيه المعنى ولا يؤخذ من الكلمات والألفاظ. ففى قوله تعالى:

* ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] لو اتخذنا اللفظ دليلًا على الحذف للزمنا أن نقدر جملة الخبر نهياً عن ابتغاء العزة عن الكافرين ولكن الظاهر أن المعنى غير ذلك إذ الأولى أن يكون النهى لا حقًا للإنكار أو مستفادًا منه استفادة ضمنية ولكنه لا يكون سابقًا بما هو أضعف. وعلى ذلك يكون تقدير الخبر "مذلولون" أولى من تقدير جملة النهى. وهذا الخبر دليله المعنى وليس اللفظ.

ومن دلالة المعنى على الحذف قوله تعالى:

* ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢] فقله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا يصلح خبرًا لخلوه من الضمير الرابط ولا يصلح جملة معترضة على اعتبار ما بعده خبرًا لأن ما بعده عطاء لا تكليف ولا تخفيف ولو كان ما بعده مثلًا: أولئك يسرنا عليهم الحساب لصلح قوله "لا تكلف إلخ" لأن يكون جملة معترضة. أما والحال هذه فلم يبق إلا أن نقدر للخبر جملة مثل "سنخفف عنهم" وهو المعنى الذى لم تعبر عنه "أولئك" وما بعدها ومن هذا القليل أيضًا قوله تعالى:

* ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا

إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩٠﴾ أَمِنْ هُوَ قَنِيتُ ۖ إِنَّا إِلِيلٌ سَاجِدًا وَقَابِمًا نَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩١﴾ [الزمر: ٨-٩] فقوله: ﴿أَمِنْ هُوَ قَنِيتُ﴾ يقتضى أن نقدر
قبلة همزة التعيين ومدخولها وليس فى اللفظ ما يعين هذا الدخول إلا ما كان من
معنى الآية التى سبقت ولو راعينا هذا المعنى لأصبح التقدير المقبول هو: أهذا
أمن هو قانت.

ومن ذلك:

* ﴿وإن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي
السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِغَايَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿[الأنعام: ٣٥] فقد استوفت "إن" شرطها وهو "استطعت" وجاء "لو" قبل
استيفاء جواب "إن" وليس فى ألفاظ هذه الجملة أو تلك ما يشير إلى الجواب
المحذوف ولكن المعنى يدل على هذا المحذوف والتقدير: أن استطعت فافعل.
ومن ذلك أيضًا:

* ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ * إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴿[التوبة: ٥٩]
فقد جاءت "إِنَّا" قبل أن تستوفى "لو" جوابها وليس فى اللفظ ما
يدل عليه ولكن المعنى يتطلب تقدير الجواب: "لكان خيرًا لهم". وأما قوله
تعالى:

* ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فإنه يحتمل التمنى
ولا يصلح شاهدًا إلا على احتمال الشرط فعندئذ يكون تقدير الجواب "لتصديت
لكم". وفى قوله تعالى:

* ﴿قَالَ يَنْفُورُ آرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقْنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أَخَالَفَكُمُ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿﴾ جاء قوله "وإن أريد" قبل أن تكتمل جملة الشرط الداخلة في حيز الاستفهام وليس في لفظ سابق ولا لاحق ما يشير إلى الجواب فلم يبق إلا أن يدل عليه المعنى وفي هذه الحال يكون تقدير الجواب: "أتجحدونني" أو "أتحسدونني على هذا الفضل". ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ إذ إن "لو" لم تستكمل جوابها وإنما جاءت "بل" دون نص على جواب "لو" وليس من ألفاظ الآية ما يدل على الجواب المحذوف ولكن المعنى يشير إلى جواب مقدر هو "لكان هذا" نخلص ما سبق بأن الحذف لا يتم إلا بدليل وأن هذا الدليل قد يكون لفظيًا وقد يكون معنويًا ويصلح المعنى لتضمين "لو" معنى النفي فيكون لتقدير: ما كان لقرآن أن يرى إلى هذه النتيجة بل لله الأمر جميعًا. وفي قوله تعالى:

* ﴿وَأَمَّنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] يدل المعنى على استنكار نسبة البنات إلى الله فيكون التقدير: "أو يجعلون له من ينشأ في الحلية".

حذف كلام يقتضيه المقام:

حينما تكلمنا على حذف الحرف والكلمة وشرط الجملة كنا نتكلم عن حذف تم في ضوء صناعة للنحو أما الحذف الذي تبدأ الكلام فيه الآن فذلك نوع منه يقتضيه المقام أى أنه ينتمى إلى سياق الأحداث التى تعبر عنها الآيات وليس إلى سياق التركيب اللغوى. والمحذوف من هذا القبيل أما أن يكون من جنس القول مثل يقول أو يقولون أو يقال لهم أو قائلًا أو قائلين أو نحو ذلك وأما أن يكون من جنس الفعل وهذا أكثر النوعين طلبًا للانتباه عند التقدير لما يتسم به تقديره من بناء موقف عملى يقوم على ترابط الأحداث بعضها ببعض. فمن النوع الأول:

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠] أى يضربون ويقولون.

* ﴿ يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [التوبة: ٣٥] أى فتكون بها جباههم ويقال لهم:

* ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧] أى نظر بعضهم إلى بعض وتهامسوا.

* ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّحِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أى فيقال لهم أو لم تكونوا أقسمتم.

* ﴿ وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] أى وقيل لهم لقد جئتمونا.

* ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِمِثْلِ مَا كَانُوا فِيهِ وَأَوْزَعُوا أُنْعَمَ كَيْفَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [طه: ٥٤] أى فأخرجنا وقلنا كلوا وارعوا.

* ﴿ لَا تَحْزَنْهُمْ الْقُرْعُ الْكَبِيرُ وَتَتَلَقَّنَهُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أى وتلقاهم الملائكة ونقول لهم..

* ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢] أى أعيدوا فيها وقيل لهم:

* ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْكَ إِلَّا هُزُوعًا هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] أى أن يتخذونك إلا هزوا ويقولون.

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢] أى ناسكو رؤوسهم وقائلون.

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يٰجِبَالُ اُوقِي مَعَهُ وَالطَّمْرُ ۖ وَآلْنَا لَهُ الْاَحْيِدَ ۖ اَنْ اَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۚ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۚ اِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۱۰ وَلَسْلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ ۚ وَاسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۚ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِاِذْنِ رَبِّهٖ ۚ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ اَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝۱۱ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ ۚ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۚ اَعْمَلُوا ؕ اَلْ دَاوُدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٠-١٣] أى ولقد آتينا وقلنا اعملوا.

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّمَرَاتِ ۖ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي ۚ وَآيَا مَّا ؕ اٰمِينَ ۚ ﴾ [سبأ: ١٨] أى جعلنا وقدرنا وقلنا سيروا.

* ﴿ قَالُوا يٰيُوتٰنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا ۚ هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] أى قالوا فقل لهم هذا ما وعد الرحمن.

* ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ؕ اٰمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] أى يسبحون ويستغفرون قائلين ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا.

* ﴿ وَاَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا اَفَلَمْ تَكُنْ ؕ اٰيَتِي تَتْلٰى عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرُوْا ۚ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴾ [الجاثية: ٣١] أى فيقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم.

* ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اُذْهِبَتْ طَبِيبَتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ

بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿[الأحقاف: ٦٠]﴾ أى يوم يعرض أعداء الله على النار يقال لهم أذهبتم طياتكم.

* ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٤] أى يوم يعرضون يقال لهم أليس هذا بالحق.

* ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٥﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢١-٢٢] أى معها سائق وشهيد فيقال له: لقد كنت في غفلة.

* ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُجُوهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩] أى يطعمون ويقولون إنما تطعمكم لوجه الله.

وأما النوع الثانى من حذف ما يقتضيه المقام فدليله التسلسل المنطقى للأحداث لأن التقدير فيه يعتمد على ترتيب الأسباب والمسببات ومن ثم يوجد فى قصص الأنبياء وبخاصة آدم ويوسف وموسى وسليمان ومريم. فمن قصة آدم قوله تعالى:

* ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ إِنَّ آدَمَ هَلْ أَذُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبُلَىٰ ﴿٧﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١] أى فاستمع إليه فأطاعه فأكلا منها. وأما من قصة يوسف فهناك حذف فى عداد من المواضع تتمثل فيما يلى:

* ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٢﴾ [يوسف: ٣٢-٣٣] أى فلم يفعل ما أمرته به ودعا ربه قال رب السجن أحب إلى.

* ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآيَاتِ لَيْسَجْنُهُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴿٣٥﴾ [يوسف: ٣٥-٣٦] أى فادخلوه السجن ودخل معه السجن فتيان رأى كل منهما رؤيا قصها على يوسف قال أحدهما...

* ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٣٦﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴿٣٧﴾ [يوسف: ٤٦] أى فأرسلوه فذهب إليه فلما دخل عليه ناداه قائلاً: يوسف أيها الصديق.

* ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِمَاءٍ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْتَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ نَفْسِي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٤٩-٥١] أى وصدق تأويل يوسف للرؤيا فسر الملك بذلك وقال الملك اتنوني به فأرسلوا إليه رسولاً فلما جاء الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليم فسأل الرسول سيده عنهن فأرسل إليهن فأتى بهن فلما مثلن بين يديه قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه.

* ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِمَاءٍ أَسْتَخْلِضُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ ﴿٤١﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴿٤٣﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦] أى وقال

الملك اتنوني به استخلصه لنفسى فاتوه به فكلمه وسمع منه فرضى عنه فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فأجابه إلى ما طلب وولاه أمر الخزائن وكذلك مكنا ليوسف.

* ﴿ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعَانَا إِنِّي أَنبَتْنَا سَرْقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [يوسف: ٨١-٨٣] أى وأنا لصادقون قال ليس الأمر كما زعمتم بل سولت لكم أنفسكم أمرا.

* ﴿ يَبْنِىْ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُقُومَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَٰيُّنَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٧-٨٨] أى فذهبوا يتحسسون من أخوتهم حتى وصلوا إلى قصر العزيز واستأذنوا فأذن لهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر.

وأما قصة موسى فيمكن أن نختار منها الشاهدين الآتين:

* ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٢-١٣] أى وحرمنا فقالت فقبلوا فرددناه.

* ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ ﴿١٦﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿١٧﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ ﴿١٨﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ [طه ٦٧ - ٧٠] أى قلنا

لا تخف وألق ما في يمينك فألقى فابتلعت عصاه حبالهم وعصيتهم فبهتوا فألقى
السحرة سجداً.

ويمكننا أن نسوق الشواهد التالية من قصة سليمان مع ملكة سبأ:

* ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْخَنَّهُ أَوْ لَا يَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ
بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢١-٢٢]
[أى وعاد الهدهد فدنا من سليمان فمكث غير بعيد.

* ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَى هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٨-٢٩] أى فذهب فألقى إليهم
بالكتاب فقرأت وجمعت الملأ من قومها قالت يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب
كريم.

* ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي إِنِّي لَبِئْلَوْا أَشْكُرٌ أَمْ أَكْفُرٌ وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] أى قال سليمان
فأت به فذهب فأتى به وأقرء عنده فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي.

أما من قصة مريم فالشاهد على هذا النوع من الحذف قوله تعالى:

* ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾ فَانَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٢-
٢٣] أى ثم ولدته فنظرت إليه فإذا هو غلام فلم يخفف ذلك من حزنها فناداها
من تحتها ألا تحزني.

يتبين لنا من ذلك أن موضع هذا النوع من الحذف إنما هو قصص الأنبياء وأن
المحذوف يقوم عليه دليل من المقام نفسه بحيث يمر القارئ بالآيات دون أن يفتن

إلى المحذوف وإنما يفتن إلى ذلك من يتصدى للسياق بالنظرة التحليلية. وإذا كان الأمر كذلك فلا خلاف في أن الذكر يؤدي إلى الحشو لأن ما لا فائدة من ذكره حشو والقرآن معجز بلفظه ومعناه فهو منزّه عن الحشو.

د- الفصل:

لبعض الكلمات اختصاص بمدخول معين ويصدق ذلك بصفة خاصة على الحروف والأدوات مما دعا النحاة إلى وصفها بالافتقار المتأصل أى باحتياجها بحكم أصل وضعها إلى ما تدخل عليه. ولكن هناك افتقاراً غير متأصل لأنه افتقار للباب وليس للكلمة فالمضاف والمضاف إليه مثل من أمثلة هذا الافتقار الذى يجب للباب ولكن الكلمة التى تحمل فى موقع الإضافة قد تحمل فى موضع المبتدأ أيضاً فإذا قلنا مثلاً: "كتاب محمد" فإن "محمدًا" مفتقر إلى الكتاب حتى يكون مضافاً إليه مجروراً ولكن افتقاره ليس بحكم أصل الوضع لأننا نستطيع أن نجعله مبتدأ فتقول: "محمد ذكى". فافتقار "المضاف إليه" متأصل وافتقار "محمد" غير متأصل. وهناك نوع من ارتباط الكلمة لا يقع تحت عنوان الافتقار ولكنك تلمح بين الكلمتين فى السياق علاقة خاصة تجعل إحداهما أقرب إلى أختها منها إلى بقية الكلمات فى الجملة فمن ذلك مثلاً الفعل ومفعوله ثم صاحب الحال والحال ثم الموصوف والصفة ثم المعطوف عليه والمعطوف. فإذا فصل بين طرفى أى من هذه الأنواع بفواصل أحس السامع لهذا الفصل إما جمالا أو طرافة أو غموضاً ولبسا بحسب قوة الترابط بين الطرفين اللذين تم فصل أحدهما عن الآخر. ويقع الفصل فى أسلوب الذكر الحكيم فيكون جميلاً دائماً على نحو ما نرى فيما نسوقه من الشواهد. فمن أمثلة الفصل بين المتلازمين أى بين الأداة المفتقرة ومدخولها ما نراه فى قوله تعالى:

* ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا ﴾ [الواقعة ٨٦-٨٧] أى فلولا ترجعونها أن كنتم غير مدنين.

ومن الفصل بين الفعل ومفعوله قوله تعالى:

* ﴿ قَالَ أَتُونِي أَقْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦] وَيَعُدُّه النحاة من باب التنازع ولكن القول بالفصل أولى به فيكون المعنى آتونى قطرًا أفرغ عليه. ومثله قوله تعالى:

* ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١] أى ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون جملة كم أهلكنا للتكثير وقد فصلت بين الفعل وما سد مسد مفعوليه.

أما الفصل بين الحال وصاحب الحال فالشاهد عليه قوله تعالى:

* ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] وقد سهل هذا الفصل أن الفاصل ليس أجنبيًا لأن للجار والمجرور من التعلق بالفعل ما للحال من الارتباط بالتاء المتصلة بالفعل نفسه فهذا أيسر أنواع الفصل حتى ليدو وكأنه لا فصل.

ومن شواهد الفصل بين الموصوف وصفته قوله تعالى:

* ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وهذا من أجمل أنواع الفصل لأن الفاعل لو تقدم لعاد الضمير على متأخر لفظًا ورتبة ولو تأخر من طول الصفة لأصبح موضعه قلقًا ولضعفت الصلة بينه وبين فعله. ومنها أيضًا:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ [سبأ: ٣] أى بلى وربى عالم الغيب لتأتينكم. وإنما حسن الفصل أن فى الكلام الذى يتلو ذلك ضميرا يعود على عالم الغيب فلو تأخر جواب القسم لفصل بين الضمير ومرجعه فضعف ارتباط أحدهما بالآخر، ومنها أيضًا:

* ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ١] ويقال فى هذا ما قيل "لا ينفع نفسًا إيمانها" ومنها كذلك:

* ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وإنما جاء المبتدأ فى هذا الموضع لأن فى تقدمه ابتداء بالنكرة وفى تأخره عن الصفات ما يجعله قلقلًا ضعيف الارتباط بالخبر. ومنها غير ما سبق:

* ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] أى مشارق الأرض التى باركنا فيها ومغاربها ولكن فى الفصل تقرب المغارب من المشارق وفى ذلك إظهارًا لعظمة الميراث لا يكون مع تأخير المغارب.

وللفصل بين المعطوف عليه والمعطوف شواهد منها:

* ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذَى الْقُرْنَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]. فلو لم يتقدم إحسانًا فيفصل بين الوالدين وما عطف عليها لكان "بالوالدين" وما بعده معطوفًا على الضمير فى "به" ولكان "إحسانًا" المتأخر مفعولًا لأجله. ولو تقدم الإحسان على الوالدين لكان عرضته للعطف على "شيئًا" فما أجمل هذا الفصل وما أعظم إعجاز القرآن. ومن ذلك أيضًا:

* ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [غافر: ٧١] وإنما كان الفصل لأن السلاسل لا تكون فى الأعناق وإما تتدلى منها إلى الأيدى والأرجل لتصل ما بين غل وغل. ومن شواهد ذلك كذلك:

* ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ولا مستأنسين لحديث ولكن إذا دعيت فادخلوه فإذا طعمتم فانتشروا. فالفصل بين

المتعاطفين جاء بجملة الاستدراك وهى تشتمل على كلام عن الطعام لا ينطبق على الاستثناس للحديث ومن ثم حسن الفصل.

هذا هو الفصل بأحد المعنيين: فصل أجزاء الجملة إذ يكون لأحدهما علاقة بها يتطلبه. أما الفصل بالمعنى الآخر فهو ترك عطف الجملة على الجملة وليس في النحو ما يمنع من ذلك وإنما يعتمد الفصل هنا على مطالب الموقف الذى يصوره القرين وما أكثر ما يكون هذا الموقف موقف فزع وخوف أو مطلق انفعال ومن شواهد ذلك:

* ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] والجمل لا تقطع على هذا النحو إلا والمرء في هلع من العذاب وكأن بين كل جملة منها والأخرى شهيقة نفس مبهور. ومن شواهد ذلك أيضًا:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقِّىْ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمْ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] منها أيضًا:

* ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّخَرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَابِقُ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] ومنها:

* ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنْكُمْ إِنِّى أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨] ومنها أيضًا:

* ﴿ وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِبْنَهَا وَمُرْسِنَهَا ۚ إِنِّى نَنى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١] ومنها أيضًا:

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَاقِي إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]
[ومنها:

* ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنُهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠] ومنها:

* ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَوْالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٨] ومنها قوله تعالى:

* ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١] ومن شواهد ذلك أيضًا:

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] ومنها:

* ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨]
وكذلك:

* ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخُذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

* ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوَّيَّ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً ﴿٢٩﴾ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةً ﴿٣٠﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٣١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٣٢﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩] ومنها أيضًا:

* ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٥١﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٤-٥] ومنها:

* ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

هـ - تراكييب خاصة:

سنتناول في هذا العرض للتراكيب الخاصة ظواهر تركيبية تشتمل على توظيف خاص للقرائن اللفظية لم يسجله النحاة في المطرد من قواعدهم وإنما عدوه في غير المطرد في الأغلب وسيكون تناولنا لهذه الظواهر بحسب كل قرينة فنتناول البنية فالتضام فالربط (ومنه المطابقة) فالرتبة فالإعراب وربما أشرنا إلى بعض الظواهر الأسلوبية من خلال ذلك.

فأما البنية فقد سبق أن أشرنا إلى أسماء قرآنية لمسميات مألوفة مثل بَكَّةَ وسينين وميكال والياسين كما أشرنا إلى صفات ومصادر وأفعال قرآنية مثل كُبَّارَ وعُجَابَ وكِذَّابَ وَيَهْدَى وَيَخْصُمُونَ وذلك تحت عنوان "بنية الكلمة" ونود أن نضيف هنا شواهد لظواهر أخرى مثل إدغام "نعم" في "ما" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ﴾ [النساء: ٥٨].

وإدغام نون الرفع في نون الوقاية في قوله تعالى:

* ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

فإذا نظرنا إلى التراكيب الخاصة من حيث التضام بين الكلمات (أى اختصاص كلمة بأخرى تدخل عليها أو اختصاص عنصر لغوى ما بموقع بعينه من مواقع الكلام كالفاء في جواب الشرط واللام في جواب القسم إلخ) فإذا نظرنا إلى هذه التراكيب وجدنا للقرآن الكريم من التضام ما لا يشيع في غيره. فمن وصف النكرة بالاسم الموصول في قوله تعالى:

* ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٦﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٧﴾ الَّذِي جَعَلَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [ق: ٢٦-٢٧] وقوله:

* ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ
مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٢-٣٣] وقوله:

* ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤] وقوله
جل شأنه:

* ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿٣٦﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٣٧﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣٨﴾﴾
[الهمزة: ١-٣].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴿٩٥﴾﴾
[الأنعام: ٩٥] إلا أن نجعل "مخرج" معطوفاً على "فالق" فلا يكون هناك
شاهد. وقوله تعالى:

* ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨] وقوله جل شأنه:
* ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿٨٧﴾﴾
[النمل: ٨٧] وقوله تعالى:

* ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: ٩].

* ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَلِتَجْرِيَ الْفَلَakُ
بِأَمْرِهِ وَلِتُتَبَفَّوْا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: ٤٦].

ومنها دخول "لو" على الضمير والتأكيد ماذا قيل ولا م الجواب في قوله تعالى:

* ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أى قل لو ملكتم لأمسكم.

* ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٢٠﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ٢٠].

ومنها الإخبار عن المبتدأ بالجملة الإنشائية كما قوله سبحانه:

* ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وقوله:

* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٨] وقوله:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِفَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

ومن ذلك اشتغال الشرط على الشرط كما فى قوله تعالى:

* ﴿يَسْبِقِ بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] وكذلك الشرط فى حيز الخبر كما فى قوله تبارك وتعالى:

* ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ [يوسف: ٧٥] وقوله:

* ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] فهذا شرط فى حيز شرط وكلاهما فى حيز الخبر المنفى.

ومن ذلك أن يرد الظرف المكانى "بين" مضافاً إليه وهو نادر فى الشعر متعدد فى القرآن، كما فى قوله تعالى:

* ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] وقوله:

* ﴿ شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ
آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

ومن ذلك دخول أداة الاستثناء (إلا) على جملة اسمية مصدرة بـ "إن" كما في
قوله جل شأنه:

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ومنه زيادة "ما" بعد "أن" التي تسد مع ما بعدها مسد مفعولى ظن كقوله تعالى:
﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤].

وكل ذلك من قبيل التضام.

وأما الربط في الأسلوب القرآنى فيحتض أيضا ببعض التراكيب ويخفى
بأساليب أخرى توجد في غيره على قلة. ومن هذا النوع الأخير الإخبار بالذى
والألف واللام وهو باب من أبواب النحو يقل تطبيقه في الاستعمال وقد مثل النحاة
له بقولهم (الذى يأتينى فله درهم) وموضع الملاحظة في هذا التركيب أن الفاء
الرابطة تقترن بخبر المبتدأ لما بين الموصول وأداة الشرط من رحم في المعنى والمبنى
فأما من حيث المعنى ففى كليهما نوع من الدلالة العكسية كما يتضح مما يلى:

الذى يأتينى فله درهم	أى	والذى لا يأتى فليس له
أن تأت فلك درهم	أى	وإن لم تأت فليس لك

هذه شركة فى المعنى وأما الشركة فى المبنى فتتمثل فى أن ثلاثة من الأسماء
الموصولة تنقل إلى معنى الشرط وهى "مَنْ" و"مَا" و"أَيُّ" وبها تقوم لحمة فى المبنى
بين البابين. من هنا لم يكن هناك غرابة فى اقتران الفاء بخبر الاسم الموصول على
نحو ما تقترن بجواب الشرط. ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وقوله تعالى:

* ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٣] وقوله جل شأنه:

* ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠] وقوله:

* ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٤] وقوله سبحانه:

* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٨] وقوله تعالى:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

أما في غير باب الأخبار بالذی والألف واللام فهناك ظواهر تركيبية في مجال الربط يعز وجودها في غير القرآن أو ينعدم. فمن ذلك تعزيز الرابط بما يؤكد كتأكيد اللام التي تربط جواب "لو" بشرطها برابط آخر هو "إذا" كما في قوله تعالى:

* ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] ومثله تقوية الرابط بضمير الفصل كما في قوله عز شأنه:

* ﴿وَمَكْرُؤُكُمُ الْيَوْنُ﴾ [فاطر: ١٠] فالرابط هو الضمير المستتر في يبور وقد تقوى بضمير الفصل.

ومن ظواهر الربط في القرآن، ربط جواب "لما" بإذا الفجائية كما في قوله تعالى:

* ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

ومنه أيضًا الإشارة إلى غير المذكور في الجملة كقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾
[فصلت: ٢٨] وقوله:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] فالإشارة الأولى والله أعلم إلى مضمون كلام سابق كالذى في قوله تعالى: "ذلك ومن عاقب إلخ" والثانية إلى مصدر مفهوم من "صبر" و"غفر" ولكنه غير المذكور.

ومن ظواهر الربط في القرآن الربط بالموصول سواء أكان ذلك الموصول اسميًا أو حرفيًا. وسواء أكان صريحًا أو مؤولًا. فأما الربط بالموصول الصريح فمنه قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِبْرٰهٖمُ فِيهَا لُوطًا ۖ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ [العنكبوت: ٣٦] أى به وبغيره، وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾
[الكهف: ٣٠] أى أجرهم، وقوله:

﴿ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩] أى تنقذه. وكذلك:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ٧] أى لقالوا، فالذين كفروا في موضع الواو من "قالوا" فهي تربط كما تربط الواو. وقوله:

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾
[الأنعام: ٢٢] أى ثم نقول لهم. وقوله:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ ۚ وَإِمَّا يُنسِئَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
[الأنعام: ٦٨] أى فلا تقعد بعد الذكرى معهم. وقوله تعالى:

* ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٠] أى وقعدوا وكذلك قوله تبارك وتعالى:

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥].

هذه الشواهد السابقة تكشف عن الربط ثم بالموصول الاسمى الصريح. وهناك ربط يتم بالموصول الحرفى وهو "أل" التى تدخل على الوصف. كما فى قوله تعالى:

* ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَئِكَنَّ الظَّالِمِينَ بَقَايَتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقوله تعالى:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣] أى لنهلكنهم. وقوله:

* ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِإِذٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] أى إذ يقولون. وقوله جل شأنه:

* ﴿ وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ [الكهف: ٤٨-٤٩] أى فتراهم مشفقين. وقوله:

* ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢] أى لا بشرى لهم. وقوله:

* ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٣] أى يطرحهم. وقوله:

* ﴿ فَأَخَذْتَهُ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾
[القصص: ٤٠] أى عاقبتهم وقوله:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨] أى لهم.

وأما الربط بما يؤول بالموصول فمن شواهد:

* ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيََاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] أى فقاتلوا الموالين للشيطان.

* ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُ لَهُمْ لَعَلُّهُمْ يُنْتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢] أى فقاتلو الذين يأتهم الكفار.

* ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيشف صدور قومٍ مؤمنين ﴾ [التوبة: ١٤] أى ويشف صدور المؤمنين أى صدوركم.

وإذا كان من طرق الربط فى العربية أن يتعلق الجار والمجرور بما يتطلبه إلا أن يكون حرف الجر زائداً فإن الجملة القرآنية ربما بدئت بالجار والمجرور مع عدم الحاجة إلى متعلق أوصع تصيد المتعلق. فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] وقوله:

* ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنفال: ٥] وقوله:

* ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢، ٥٤] وقوله عز من قائل:

* ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا مَالًا وَأَوْلَدُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

وإذا كان العطف من وسائل الربط بين المتعاطفين فربما جاء العطف في الآية القرآنية دون أن يسبقه المعطوف عليه فيكون لمجرد التأكيد وللإستئناف كما في قوله تعالى:

* ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنْ أَلَّهَ قَتَلَهُمْ ۖ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِنْ أَلَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وقوله:

* ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١﴾ فكلوا مما رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٣-١١٤] فقلوه "فكلوا" لا يصلح للعطف على ما قبله ومن ثم تكون الفاء تأكيداً للمعنى واستئنافاً.

والمطابقة وسيلة من وسائل الربط لأن بها يكون التشابه في التكلم والخطاب والغيبة وفي الأفراد والشئنة والجمع وفي التعريف والتنكير وفي التذكير والتأنيث ثم بالعلامة الإعرابية في بعض الحالات فهذه خمس نواح إذا تطابق عنصران من عناصر الكلام في واحد منها أو أكثر توثقت عرى الجملة وأحس السامع أن كلا من العنصرين ينتمى إلى الآخر وقد حدد النحاة مجالات المطابقة فقرروا أنها لازمة في بعض التراكيب وغير لازمة في بعضها الآخر. فتكون المطابقة مثلاً بين المبتدأ والخبر وبين المنعوت والنعت وبين الحال وصاحب الحال وبين الموصول والضمير الذي يعود عليه من الصلة وهكذا. وفي تركيب القرآن رعاية للمطابقة في معظم الأحوال ولكنه أيضًا يشتمل على عدد من التراكيب التي تستغنى عن الربط بالمطابقة فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿إِنْ نَشَأْ نُثَرِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]
أى خاضعة وقوله تعالى:

* ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] أى رسولا رب العالمين. وقوله:

* ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] أى اقتتلنا، وقوله تعالى:

* ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ^٤ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨] أى منفطرة وقوله عز من قائل:

* ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] أى طائعتين.

والرتبة فى التركيب العربى نوعان محفوظة كرتبة الحرف مما دخل عليه الحرف وكرتبة الموصول وصلته والفعل وفاعله والمضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع والضمير ومرجعه وغير محفوظة كالمبتدأ والخبر وكالفعل ومفعوله وكرتبة كل من المفعولين بالنسبة للآخر. ولقد كان حرص النحاة على الرتبة المحفوظة عظيماً لأنها تعد فى القرائن النحوية أما غير المحفوظة فهى مجال واسع لاختلاف الأساليب الفردية فكل متكلم له طريقته فى تقديم عنصر ما أو تأخيرها فى الكلام. وللنص القرأنى طريقته الخاصة فى استعمال الرتبة إذ يكون حرصه عليها بمقدار ما يتعلق بها من أمن اللبس فإذا أمن اللبس استغنى عنها كما فى قوله جل شأنه:

* ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ نَفَى﴾ [الكهف: ٣٨] أى لكن ربى هو الله. وقوله تعالى:

* ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] أى وإخراجهم هو محرم عليكم وقوله سبحانه:

* ﴿لَيْسُوا سَوَاءً^٥ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴿[آل عمران: ١١٣] مرجع الواو مفروق بعضه سابق وهم الذين "كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق" وبعضه لا حق وهم أمة من أهل الكتاب يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون" فالسابقون واللاحقون "ليسوا سواء" والقرآن ينفرد بهذا الأسلوب في الرتبة. ومن هذا القبيل قوله تعالى:

* ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨] أى وكلما مر عليه ملاء من قومه ويصنع الفلك سخروا منه ففيه تقديم جملة الحال على صاحبها وعلى الفعل. وقوله جل وعلا:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨] أى فيبسطه في السماء ويجعله كسفا كيف يشاء أى إن شاء بسطه في السماء وإن شاء جعله كسفا فخرج منه الودق.

* ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الكهف: ٨٨] أى فله الحسنى جزاء ففيه تقديم الحال على صاحبها المبتدأ المتأخر. ومنه قوله تعالى:

* ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] أى فأوجس موسى خيفة في نفسه. ففيه عود الضمير على متأخر لفظاً ولكنه ستقدم رتبة وهذا شائع في التراكيب العربية غير أنه يعد من قبيل التصرف في الرتبة. يقول ابن مالك في الألفية:

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

* ﴿أَهِفَّكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٦٨] أى أتريدون إلهة دون الله أفكاً؟

فلفظ "أفكا" نائب عن المفعول المطلق ولكنه تقدم على الفعل. ومنه قوله تعالى:

* ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨] أى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والسيء فلفظ "ولا" الذى فى الآية رتبته التقديم بحيث يدخل على الذين آمنوا.

وربما أشرنا فى هذا المقام أيضًا إلى اللف والنشر المرتب فى قوله تعالى:

* ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصاص: ٧٣] أى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله فالرتبة هنا محفوظة وهى رتبة بلاغية نحوية.

وذلك عكس ما فى الآية الثالثة والعشرين من سورة الروم التى تشتمل على لف ونشر مشوش بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣] أى ومن آياته منامكم بالليل وابتغاءكم من فضله بالنهار.

ومن التراكيب القرآنية الخاصة ما نلاحظه من صور إعرابية معينة اختلفت عن مطلب القاعدة لم يعوزها أمن اللبس ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ﴾ [طه: ٦٣] بتشديد نون "إن" فى بعض القراءات وإنما أمن اللبس لأن اللام أبانت عن خبر أن فكشفت بذلك عن اسمها فالخبر هو الذى يقترن باللام إلا إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً متقدماً فيقترن اسم إن المتأخر باللام. ولما لم يكن هناك ظرف أو مجرور فى الآية عرفنا أن ما اتصل باللام هو الخبر فأمن اللبس حتى مع الاتساع فى الإعراب.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

* ﴿ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَاتِهٖكَ وَآلَيْتِهٖنَّ وَالنَّبِيَّاتِ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ولعل أمن اللبس أولى مع إتيان "الصابرين" بالياء والنون منه مع رفعها بالواو والنون لأنها لو ارتفعت بالواو والنون لاحتمل المعنى أن يكون "الموفون" مبتدأ و"الصابرون" معطوف عليه والخبر "أولئك" وما بعدها وهو غير المعنى المقصود والله أعلم. ومن ذلك قوله تعالى:

* ﴿ لٰكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢].

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] فالصابثون معطوف على اسم إن مهما كان مشتملا على الواو والنون لأن أى احتمال آخر للمعنى فلن يستقيم فلا مناص من العطف فلما أمن اللبس بالقرائن الأخرى أصبح الإعراب أقل أهمية لحفظ المعنى. ومن ذلك قطع المفعول به بواسطة الإخبارية عن اسم إشارة مؤكد للربط في قوله تعالى:

* ﴿ لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤] أى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة ورزقا كريماً. فالأصل في الربط في هذه الآية أن يتم بواسطة الضمير في "لهم" ولكن "أولئك" جاءت لتأكيد هذا الربط.

ومن التراكيب الخاصة في القرآن التكرير بـ "كأين" و "ما" التي تفيد الإبهام فمن الأول قوله تعالى:

* ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقوله تعالى:

* ﴿فَكَأَيِّنْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] وقوله جل شأنه:

* ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨] وقوله تعالى:

* ﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. ومن الثاني قوله سبحانه:

* ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١].

وفي القرآن الكريم تضمين بعض العناصر اللغوية معاني بعض ما يتمشى مع ذلك من إعطاء العنصر المستعمل ما كان للمتروك من الوظائف النحوية. فمن ذلك قوله تعالى:

* ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] فالمعروف أن "استحب" لا يتعدى بعلى ولكن الذى يتعدى بها ويؤدى المعنى ذاته هو الفعل "فضل" ولا شك أن المعنى: فضلوا العمى على الهدى. ومغزى هذا أن الفعل "استحب" ضمن معنى "فضل" وجعل بحيث بحيث يؤدى وظائفه النحوية. ومن ذلك أيضًا:

* ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقَرْيَةَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] والمعروف أن المفعول الثانى لا اتخذ يأتى اسماً فإذا جاء وصفا فهو منقول إلى الاسمية فيقال مثلاً: اتخذ أخا واتخذ حارساً أو وزيراً ولا يقال اتخذ راكباً أو قائماً أو قاعدًا. ومن الواضح أن لفظ "مهجوراً" هنا لم يتحول إلى الاسمية فلم يبق إلا أن يكون الفعل "اتخذوا" ضمن معنى "جعلوا". ومن هذا القبيل:

* ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] ضمن "ضاحكًا" معنى "عاجبا" أو "متعجبًا" لأن "ضحك من كذا" يفيد معنى السخرية وهو غير المقصود وإنما المقصود التعجب مما قالت النملة. ومن ذلك تضمين "هل" معنى "هلا" في قوله تعالى:

* ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٣٩] ومعنى قد فى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

أمن اللبس فى القرآن:

من طبيعة أية لغة أن تبدو فى صورة نظام ذى وحدات متشابكة العلاقات قليلة العدد ولكنها واسعة الاحتمالات لدى أداء المعنى بسبب تشابك العلاقات والعلاقات فى اللغة من نوعين:

علاقات وفاقية تعبر عن اتفاق وحدتين من وحدات النظام فى أمر ما وعلاقات خلافية تتمثل فى الفروق بين وحدة وأختها من وحدات النظام سواء أكان هذا النظام نظام الأصوات أم نظام الصرف أم نظام النحو. وواضح أن الاتفاق فى أمر من الأمور يؤدى إلى الاطراد ولكنه من جهة أخرى مدعاة إلى عدم التمييز بين الأمرين الذين حدث بينهما الاتفاق. ولقد عبر القرآن عن حيرة بنى إسرائيل فى اختيار إحدى الأبقار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ أما الفروق فهى مناط تمييز وحدة من وحدة أخرى. ويمكن التعبير عن ذلك بعبارة بسيطة مثل: "الاتفاق مدعاة لللبس والفروق يؤمن بها اللبس".

وإذا نظرنا فى تراكيب النحو العربى وجدنا من خلالها مبدأ شاملا يمكن التعبير عنه بأنه: "تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد"^(١) من تعدد وظائف

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٣.

الأشياء قول موسى: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّئُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ أو نعدد المعنى المعجمي للكلمة الواحدة^(١). ونستطيع على سبيل المثال أن نسوق "ما" وهى مبنى معين يمكن أن يتعدد معناه فتكون ما موصولة أو نافية أو استفهامية أو تعجبية أو مصدرية أو زائدة أو مبهمة إلخ. ويمكن للمصدر المضاف أن تكون إضافته إلى فاعله أو إلى مفعول وللصفة بعد المتضايقين أن تكون للمضاف أو للمضاف إليه وهكذا ما لم تقم قرينة مانعة من إرادة المعنى الآخر. وقد يحدث في غير القرآن أن يأتى الكلام ملبسًا ثم لا ينتبه صاحبه إلى اللبس فيمضى الكلام على صورته متعدد احتمالات المعنى فإذا ظفر النحوى به قال: "فيه إعرابان" ومغزى ذلك أن فيه لبسًا لعدم وجود قرينة معينة لمعنى واحد: فمن ذلك مثلاً:

لبس النمط	١- بارك الله له في ماله	(لا يدرى إن كان ذلك	الخبر والإنشاء
	ولده	خبرًا أو دعاء)	
إضافة مقدرة	٢- أنت أولى بالإنصاف	(هل المصدر على معنى	الإضافة للفاعل
		الفاعل أو المفعول؟)	والمفعول
تعدد معنى اللام	٣- اشترت مزرعة لزيد	(هل اشتراها من أجل زيد	الملكية والتعليل
		أو كانت لزيد فاشترها	هو؟)
احتمال صاحب الحال	٤- عاودته مقتنًا بذلك	(من المقتنع)	احتمالات صاحب الحال
احتمال العطف	٥- ذهبت إلى أبناء زيد	(هل ذهب إلى عمرو أو	احتمالات واو
	وعمر	إلى أبناء عمرو؟)	العطف
احتمال عود الضمير	٦- مات المجاهد في سبيل	(هل مات في سبيل وطنه	احتمالات تعليق
	وطنه	أو جاهد فيه؟)	المجرور

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٣.
قد يكون من غرض العبارة القرآنية أحيانًا أن تعمم المعنى فتعتمد إلى وسيلة حذف القرينة كما في لفظ: القرء.
أو في تركيب: وترغبون أن تنكحوهن.

احتمال الإعراب	٧- أحببت يوم الجمعة	(هل اليوم هو المحبوب أو هو ظرف الحب؟)	احتمالات المفعولين
احتمال الوصفية	٨- دار الكتب المصرية	(هل المصرية هى الدار أو الكتب؟)	احتمالات النعت بعد المتضايين
احتمال تقدير الضمير	٩- زيارة الأصدقاء تسعد النفس	(هل الأصدقاء زائرون أو مزورون؟)	الإضافة للفاعل والمفعول
احتمال الفاعل	١٠- رجا التلميذ الأستاذ	(أيهما القارئ؟)	احتمالات الإضمار وعود الضمير
احتمال عود الضمير	١١- أخبر زيد عمرا أن	(أبو من؟)	احتمالات عود الضمير
احتمال الحرف المحذوف	١٢- رغب زيد أن يغنى	(فى أم عن؟)	احتمالات تقدير الحرف المحذوف

وإذا أنعمت النظر فى الأمثلة السابقة (وهى أمثلة لا شواهد) وجدنا أنها يمكن أن تخضع لنوع من التصنيف فمثلاً ٢، ٩ يعودان إلى وظيفة المصدر كما أن ٣، ٦، ١٢ تعود إلى وظيفة حرف الجر وأن ٥، ٨ يعودان إلى الاتباع بعد المركب الإضافى وأن ٤، ١٠، ١١ يعود إلى تردد الضميرين الفاعل والمفعول وهكذا. وليس فى واحدة من هذه الأمثلة ما يمكن أن يعيّن معنى واحد له إلا ٨ الذى يمكن تعيين مدلوله بقرينة من خارج التركيب لأن المعروف أن الدار هى المصرية وأنها تشتمل على كتب مصرية وأخرى غير مصرية أما التركيب نفسه فلا يشتمل على قرينة مقالية.

ولكن الأمر مختلف فى أسلوب القرآن إذ يعتمد النص القرآنى إلى إيراد ما يؤمن به اللبس فيتضح معه المعنى ويذهب تعدد الاحتمالات. وقد يكون هذا الإيضاح واحداً مما يلى:

١- قرينة خارجية.

٢- آية قرآنية أخرى غير التى فى التركيب.

٣- احتراس بلفظ معين في الآية نفسها.

أ- لبيان معنى تحوى لأحد الأبواب.

ب- لبيان معنى معجمى لإحدى المفردات.

ولقد استخرجت من القرآن الكريم شواهد لهذه الظاهرة من حيث وجدت التركيب النحوى يسمح بأكثر من احتمال للمعنى ولكن القرآن يحول دون اللبس بقرينة خارجية أو آية أخرى أو بلفظ معين في الآية كما شرحت منذ قليل. وكانت الأسباب الداعية إلى اللبس (في التركيب لا في القرآن) تعود في جملتها إلى تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد أو تعدد المعنى المعجمى للكلمة الواحدة. ونبدأ ببيان اللبس الناشئ عن تعدد معنى الكلمة المفردة.

١- معانى كلمة كافة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

لكلمة "كافة" معنيان:

الأول: كافة = اسم فاعل من كف يكف + تاء المبالغة كالتى في "علامة" و"فهامة" و"همزة" و"لمزة" والمعنى أن النبى يكف الناس عن الشرك.

الثانى: كافة = جميعاً وعلى هذا المعنى يشتمل التركيب على تقديم الحال وهى لفظ "كافة" على صاحبها وهو "الناس".

وتخلو الآية بالمعنى الأول من النص على عموم الرسالة الإسلامية وهو ما يشتمل عليه المعنى الثانى ويشهد لإرادة المعنى الثانى قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُم كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٢- معانى كلمة "بدا":

يمكن أن يراد بكلمة "بدا" أحد المعنيين الآتيتين:

أ- ظهر وعن.

ب- سكن البادية.

فإذا وردت هذه الكلمة فى النص القرآنى اتبعها القرآن بما يُعَيِّن أحد المعنيين
فحين أراد المعنى الأولى قال تعالى: ﴿وَمَا تَرْكُ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

وحين أراد المعنى الثانى قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْآحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادِئُونَ فِي الْأَغْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

٣- معانى كلمة رأى:

يمكن أن يقصد بكلمة رأى أن تكون بصرية أو ظنية أو حلمية فعلى المعنى الأول
تكون "رأى" بمعنى أبصر وعلى الثانى تصبح بمعنى كان له رأى وعلى الثالثة حلم.
والرأى مصدر فيهما ولكن الرؤية خاصة بالمعنى البصرى فى الأغلب والرؤيا فى
معنى الحلم وإذا وردت مشتقات هذه المادة فى القرآن خصص القرآن معناها بحيث
يذهب عنها اللبس كما يتضح فى قوله تعالى:

أ- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فَعَثُ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأًى الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] فلما وردت كلمة يرونهم مثليهم
احتملت البصرية والظنية ولما كان المعنى على البصرية دون الظنية نص على ذلك
بقوله "رأى العين" ليذهب اللبس.

ب- ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّ بَرِئٌ مِّنْكُمْ إِنِّ أَرَىٰ مَا
لَا تَرَوْنَ إِنِّ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] ففى قوله تعالى:
﴿تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ﴾ لا يحتمل اللبس لتعين إرادة المعنى البصرى ولكن فى قوله: ﴿إِنِّ

بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴿ اِحْتِمَالٌ لَمْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴾ فَالْخَوْفُ يَتَضَمَّنُ رَأْيًا ظَنِيًّا. وَكَذَلِكَ ﴿ وَمَا تَرْكُكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧].

ج - ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٣] وَفِي أَرَى هُنَا اِحْتِمَالٌ ذَهَبَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّمُ الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِهِ ﴾.

هنا تبدأ القول في احتمالات الوظائف النحوية بعد أن فرغنا من بعض الشواهد على معاني المفردات. وفيما يلي طائفة من صور متعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد واحتباط النص القرآني دون نتائج هذه التعدد.

٤ - احتمالات مقول القول:

أ - في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَنْوِلُنَا مِنْ بَعثَتْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] ليس في التركيب ما يحول نحويًا بين ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ وبين أن تكون جزءًا من مقول القول ولذا فرض القرآن سكتة قصيرة في القراءة بعد لفظ ﴿ مَرْقَدِنَا ﴾ يتعين معها أن يكون ما بعدها استئنافًا وليس جزءًا من قولهم.

ب - قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٦٥] هنا أيضًا ليس في التركيب النحوي ما يحول دون أن تكون "إن" وما بعدها من مقول القول ولذا اشتملت التلاوة على وقف لازم على لفظ "قولهم" يتعين به أن يكون ما بعده استئنافًا.

٥ - معاني اللام:

بالإضافة إلى تعدد معاني اللام إذا كانت حرف جر نجد لها معاني أخرى غير ذلك كأن تكون لام أمر مثلاً. والله تعالى يقول: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ [الطلاق: ١٢]. فيحتمل لفظ ﴿ لَتَعْلَمُوا ﴾ معنى التعليل ومعنى الأمر ولكن المعنى الأول يرجحه ذكر السبب قبل اللام بقول تعالى: ﴿ يَنْتَزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ فذلك التنزل إنما كان يقصد الأعلام.

٦ - احتمالات المعطوف عليه:

أ - قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء: ٧٥] فيمكن أن يكون المعطوف على لفظ الجلالة هم المستضعفين من الأنواع الثلاثة أو من الرجال فقط وقد عطف عليهم النساء والولدان ويرجح المعنى الأول قوله تعالى في سورة النساء ١٢٧: ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾.

ب - قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩] يمكن من الناحية الصناعية الصرف أن نعطف ﴿ الَّذِينَ ﴾ الثانية على ﴿ الَّذِينَ ﴾ الأولى وتحل سخرية الله عليهما ويمكن أن نعطف ﴿ الَّذِينَ ﴾ الثانية على ﴿ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ فتحل السخرية على الذين الأولى فقط وهو المعنى المقصود لأن المعنى الأول يمتنع يكون الذين لا يجدون إلا جهدهم لا يسخرون من المطوعين بل يغبطونهم لقدرتهم على التطوع. وقد عفا الله عمن لا يجدون إلا جهدهم بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يُسخر منهم. بذلك يتعين المعنى الثاني وهو العطف على ﴿ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾.

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤] قارن: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[التوبة: ١١٢] إذ لم يكن هناك داع للعطف لاجتماع الصفات في موصوف واحد إلا في الحالة الأخيرة حيث تعددت الوظيفة بين الأمر والنهي.

٧- معانى الواو:

أ - قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِمْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] يحتمل في معنى الواو من قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ أن تكون عاطفة على لفظ الجلالة أو استثنائية ولكن يشهد للمعنى الثانى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وهم أهل العلم وإنما كان تذكرهم إيمانهم الذى اعترفوا به.

ب - قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] يسمح التركيب النحوى للواو من قوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أن تكون عاطفة على لفظ الجلالة فيكون المعنى "شهد الله والملائكة" وأولو العلم "أو على الضمير فيكون المعنى الذى يتنزه الله عنه ولهذا احتاط النص القرآنى من اللبس بإيراد الحال وصاحبها مفرد لاستعداد فقال ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ وبعدها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ج - قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحْذَرِ فَاصِيَاءَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] من المقرر فى معانى الحروف أن الواو قد تأتى بمعنى (أو) ولو صرفنا الواو التى عطفت السبعة إلى هذا المعنى لكان المطلوب صيام ثلاثة أيام إذا تم الصيام فى أيام الحج أو سبعة إذا تم بعد الرجوع ولكن هذا المعنى غير المقصود ولذلك جاء قوله تعالى بعد ذلك ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لتجمع السبعة إلى الثلاثة وتخص الواو بمعنى المشاركة وتنفى معنى التخيير.

٨- الربط بالسابق أو اللاحق:

قد تصلح الكلمة فى جملة بعينها أن ترتبط بكلمة أخرى سبقتها فى الجملة أو

كلمة ثالثة تأتى بعدها فيختلف معنى الجملة اختلاف هذا الربط النحوى. وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] لا يمنع مانع نحوى أن يكون لفظ ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ تأكيداً معنوياً للناس أو أنى يكون مفعولاً مقدماً ليظلمون ولما كان المعنى الثانى هو المقصود عززه النص القرآنى بآيات أخرى تشهد له منها قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

٩- الصفة النائية عن المفعول المطلق تشابه مع الحال أو مع نعت المنصوب أو المفعول:

هذه الأمور من قبيل واحد منصوب وقد يحدث أن تختلط فى الهم أحياناً فإذا ورد من ذلك شىء فى القرآن جاء معه ما يزيل التشابه ويعين المعنى فمن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣] ففى ﴿قَلِيلًا﴾ و﴿كَثِيرًا﴾ احتمال المفعول الثالث للفعل "أرى" وهو المعنى المقصود واحتمال آخر غير مراد هو الغيبة عن المفعول المطلق والمعنى على الأول يريكم قليلين وعلى الثانى يريكم مرات قليلة. ولكن الاحتمال الثانى ينتفى بنص الآية التالية التى تشتمل على قوله تعالى: ﴿وَيَقْلِلُ كُفْرُ فِي أَغْيُوبِهِمْ﴾.

ب- فى قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] يحتمل التركيب فى ﴿كَثِيرًا﴾ أن تكون نائية عن المفعول المطلق من ﴿وَادْعُوا﴾ أو أن تكون نعتاً للثبور. والذى يعين المعنى الثانى ما سبق من قوله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا آلَ يَوْمٍ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾.

١٠- اتفاق بنية اللفظين:

قد تنفق صورة اللفظين ويختلف معناهما الوظيفى أو المعجمى فينشأ بينهما الجنس ويحيط بهما اللبس فإذا ورد من ذلك شىء فى القرآن كان للنص من القرائن الحالية أو المقالية ما يعين معنى واحداً للكلمة، وستضرب لذلك أمثلة اثنان منها لا

اتفاق الصورة واختلاف المعنى الوظيفى والثالث لاتفاقها مع اختلاف المعنى المعجمى.

الأول: قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩] والمعروف أن لفظ ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ يصلح فعلا ماضيا كما يصلح أن يكون أمرا فلو كان ماضيا لأعرب بدلاً من "قالوا" وتعلق به الجار والمجرور بعده أو كان الجار والمجرور بداية مقول القول. وإذا كان أمرا فهو ابتداء مقول القول وليس للجار والمجرور إلا أن يتعلق بالفعل.

ويشهد لإرادة المعنى الثانى دون الأول أن منطوق الآية كشف عن قصة التدبير والمكيدة التى يدل عليها قولهم ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴾ وإذا كان الأمر كذلك فإن على كل منهم أن يقسم ألا يشئ بالآخرين ومن هنا طلب القسم والاستيثاق من الكتان.

الثانى: قال تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ﴾ [النمل: ٣٩] وقال أيضا: ﴿ قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠] وفى النصين نجد لفظ ﴿ ءَاتِيكَ ﴾ تصلح فعلا مضارعاً فاعله مستتر ومفعوله الكاف وكذلك تصلح اسم فاعل مضافا إلى الكاف، والذى يرشح المعنى الأول أنها كانا يعرضان إيقاع حدث لم يقع ويناسبه الفعل المضارع أما اسم الفاعل المضاف فإنه يدل على وقوع الحدث فعلا وعلى هذا جاءت قصة الحوارين الكسائى وأبى يوسف القاضى يحضر الرشيد.

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ويصلح لفظ يأيد لمعنيين أحدهما الأيدى (جمع يد) والثانى الأيد (وهو القوة) ومنه التأييد أى التقوية ويشهد للمعنى الثانى أن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. وأما قوله تعالى: ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي ﴾ [ص: ٧٥] أى بدون عون أو وكيل.

أ - قال تعالى: ﴿ قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٥] فقد سوى بين الفريقين فلم يعين من منهما له عاقبة الدار ثم حدد صاحب العاقبة الطيبة عندما أوماً إلى وصف القوم بالظلم.

ب - قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لِمَن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرُضَ مِنهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فقد تساوت الاحتمالات في صدر الآية فلم يعرف من الذى يخرج خصمه فلما التبس الأمر جاءت بقية الآية لتعين المعنى المقصود.

١٢ - احتمالات صاحب الحال:

أ - قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ٧٩] فإذا نظرنا إلى التركيب من الناحية النحوية البحتة أمكن أن يكون صاحب الحال هو التاء في وجهت أو لفظ وجهى ولكن المعنى الأولى يتعين عند قراءة قوله تعالى: ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۖ حُنَفَاءَ ﴾ [الحج: ٣٠].

ب - قال تعالى: ﴿ وَأَن أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥] احتمالات صاحب الحال هنا ثلاثة: الضمير المستتر في "أقم" ويعززه الكاف من "وجهك" ثم لفظ "وجهك" ثم لفظ "الدين" ويعزز المعنى الأولى توجيه النهى بقوله "ولا تكونن" إذ يكون أسرهُ بشيء ونهاه عن ضده أى أمره أن يكون حنيفاً ونهاه أن يكون مشركاً.

١٣ - تعليق الجار والمجرور:

﴿ قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ [الأحزاب: ١٦].

أ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَبْرَأْ بِرُسُلٍ مِّن قَتْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿[الأُنعام: ١٠] فيمكن من جهة الصناعة الخالصة أن تعلق الجار والمجرور "منهم" بحال مقدرة من "الذين" وتكون "من" بمعنى البعضية وأن نعلق الجار والمجرور بالفعل "سَخَرُوا" وهو المعنى المطلوب الذى يشهد عليه قوله: "به يستهزئون" لأن المستهزئين هم الساخرون وفعلهم مبنى للمعلوم ولكن فعل الرسل مبنى للمجهول.

١٤ - التباس النعت والخبر:

أ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]. لو وقفنا عند تركيب الآية الأولى فقط لقام احتمال أن يكون "الذين آمنوا" مبتدأ مستأنفا وما بعده خبر ولكن عطفه على الله ورسوله فى الآية الثانية أبطل هذا الاحتمال وبذلك أمن اللبس.

ب - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأُنعام: ٢٠] وليس فى التركيب ما يحول من حيث الصفة أن يكون "الذين خسروا" صفة للأبناء غير أن المعنى لا يستقيم مع وجود قرينة على غيره لأن تشبيه معرفتهم بالنبي إنما هو بمعرفتهم لأبنائهم مطلقاً وليس بأبنائهم الذين خسروا أنفسهم ولسنا نعرف من أبنائهم من خسر نفسه ومن لم يخسر نفسه حتى يكون مشبهاً به أما المراد فهو أن تكون الذين خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "أولئك". أو أن «الذين» الثانية وصلتها نعت للأولى أو بدل منها.

ج - قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢] يحتمل التركيب أن يكون "الرحمن" نعتاً لربنا أو خبراً عنه وعلى الأول يكون "المستعان" خبراً وهو المعنى الذى تدل عليه قرينة الحال لأن الموقف موقف استعانة لا تسبيح.

أ - قال الله تعالى: ﴿وَسْتَغْفِرُونَكَ فِي الْنِسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَمَى الْنِسَاءِ الَّتِي لَا تُوْثِقُنَّهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] أن عدم ذكر حرف الجر بعد "ترغبون" مقصود ليعم الفعل حالتين من حالات يتامى النساء ذوات الأموال فالواحدة منهن أما أن تكون جميلة فيكون المعنى "وترغبون في" أو قبيحة دميعة فيكون المعنى "وترغبون عن" وهو في كلتا الحالتين يحبسها عن زواج غيره لرغبته في الاستئثار بالتصرف في مالها.

ب - قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] يحتمل التركيب من الناحية النحوية الصرف تقديرين: الأول أن تكون "الذين" مرجعا للواو في يدعون فيكون المفعول به مبهما والمعنى "يدعون غيره" والثاني أن يكون الذين مرجعا لضمير مفعول محذوف والتقدير "والذين يدعونهم من دونه" وهذا هو المعنى المراد لأن دلالة الواو في "يستجيبون" تتصرف إلى مدلول الضمير المحذوف لا المذكور وهو المطلوب ولا ينبغي للواو أن تعود على "غيره" لاختلافهما جمعا وإفرادا (انظر رقم د أيضا).

ج - قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] كرر لفظ البنات مع العمات والخالات لثلاث توهم العبارة أن العمات والخالات حلال له.

د - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١] يجعل هذا تذييلا للنقاش في (ب).

أ - قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٢] ويلاحظ أن لفظي "قيامًا" و"قعودًا" يصلحان جمعاً لقائم وقاعد كما يصلحان مصدرين للفعلين "قام" و"قعد" على الترتيب وفي كلتا الحالتين يعربان حالا ولكن الذى يحدد المعنى على إرادة الجمع هو قوله "وعلى جنوبكم" لأن ذلك يجعل المعنى على تحديد البيئات أى قائمين وقاعدين ومضطجعين وهذا أولى وأوجه من المعنى الآخر.

ب - قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقد كان يمكن للسامع أن يفهم "بُشْرًا" بمعنى "بُشْرَى" لولا أمران:

الأول التنوين في "بُشْرًا" مما يصرفها عن معنى ألف التانيث المقصورة لأن المقصورة لا تنون عند إرادة التانيث وأن نونت فيها عدا ذلك مثل فتى وعَصَا.

والثاني أن ما يتلو هذا اللفظ "يُعَدُّ شَرْحًا لَهُ فَالرِّيَّاحُ الْبُشْرُ جَمْعُ بُشُورٍ وَهِيَ الَّتِي حَدَدَتِ الْآيَةُ مَعْنَاهَا بِأَنَّهَا: ﴿ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾.

١٧ - إياك أن:

في التراكيب العربية تركيب يسمى التحذير يبدأ بإيالك أن تفعل أى أحذرك من أن تفعل وقد تنقلب صورة الكاف بحسب المدلول فيقال أياكم وأياكم وأياكن إلخ.

وقد كان يمكن لولا اشتغال الآية على ما يدل على غير ذلك أن يؤدي التركيب إلى إفهام التحذير في قوله تعالى: ﴿ مُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١] فإن وصفه سبحانه وتعالى بالربوبية وإثباتها له يحول دون نسبة الواو خطأ إلى معنى الاستئناف ومن ثم دلالة ما بعدها على التحذير.

أ - قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] وقد انزاح اللبس بتكرار الوالدين والأقربين لأنه لو جاء بضميرهم فقال "مما تركوا" لاحتمل عود الضمير إلى الرجال.

ب - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ فَنَاءُ أَصْنَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] يصلح الضمير في "بذنوبهم" أن يعود في الصناعة على الوارثين أو على الموروثين ويمنع المعنى الثانى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨] فلا يؤخذ امرؤ بذنب غيره.

ج - قال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] التركيب يحتمل من حيث الصناعة أحد أمرين على النحو التالى:

الأول: ولينصرون الله من شاء نصره من عباده.

الثانى: ولينصرون الله من أطاعه من عباده.

١٩ - احتمالات الإضافة:

أ - قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِاخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فى التركيب مبتدأ مقدر بعد الفاء فى "فاخوانكم" وهذا المقدر محتمل أن يكون ضميراً أى فهم إخوانكم كما يحتمل أن يكون المبتدأ "فآباؤهم" فعلى الأول هم الأخوان وعلى الثانى آباؤهم الأخوان والمراد الأول لأن المقام مقام الحاق الأبناء لا تكليف الآباء. وهذه قرينة حالية. وهناك قرينة أخرى مقالية هى قوله "فإن لم تعلموا".

ب - قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ

أَتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ؕ أَسْلَمْتُمْ ﴿ [آل عمران: ٢٠] يحتمل التركيب عطف "من اتبعن" على التاء في أسلمت وهو المعنى المراد ولكنه أيضًا يصلح في الصنعة أن يعطف على لفظ الجلالة ويمنع ذلك أن الآية تدعو إلى سؤال أهل الكتاب والأمين أن يكونوا ممن اتبعه وأن يسلموا وجههم لله. ومن ثم يكون من شأن أتباعه أن يسلموا وجههم لله سبحانه وتعالى وليس من شأنه أن يسلم وجهه لأتباعه أو لغير الله مطلقًا.

ج - قال تعالى: ﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٩] يحتمل التركيب أن يعود الضمير على نبات كل شيء أو إلى الثمر نفسه ولكن يشهد للمعنى الثانى أن الاستعمال جرى بنسبة النفع للثمر لا للنبات فيقال: اينعت الثمرة ولا يقال: أينع النبات.

٢٠ - احتمالات معانى "ما":

أ - يقول الله تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكْفُرَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَنْ عِندَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨] ولو أخذنا التركيب الأخير من الآية وهو قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ بمفرده لكان من وجهة النظر الشكلية قابلاً لأن تكون "ما" موصولية أو نافية. ولكن الجزء الأول للآية من جهة وما يعرف للأبرار من استحقاق الخبر عند الله يحولان دون اعتقاد معنى النفي بالنسبة إلى "ما".

ب - قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ رِئَىٰ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] ولو أخذنا قوله: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ وعزلناه عن سياق الآية لاحتملت "ما" أن تكون نافية وكان المعنى: ولم تنفقوا شيئاً يستحق أن يخلفه الله. ولكن الذى يحدد معنى الشرط للفظ "ما" أمران:

الأول أن المقام مقام بيان ارتباط بسط الرزق وقدره بمشيئة الله وليس مقام ترتيب الإخلاف على الإنفاق لأن الله تعالى قد يخلف من المفقود والتالف إلخ.

الثاني أن اختتام الآية بقوله: "وهو خير الرازقين يناسب إرادة الإخلاف لا الإمساك وإذا أريد الإخلاف فالمناسب أن تكون "ما" شرطية كما هو واضح.

ج - قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] تحتل "ما" في التركيب أن تكون نافية أو شرطية ويحول دون معنى النفي أن نفى السؤال لا ينسجم مع إعادة الضمير على الأجر وإعادته إليهم لأنه لم يسأله ولم يأخذه وبذلك يكون في عبارة "فهو لكم" ما يؤيد معنى الشرط لأنه جواب الشرط.

د - قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] يصلح المعطوف على "ما" تلوته أن يكون "وما أدراكم" وأن يكون "ولا أدراكم" ولكن الأول يحتمل النفي والتعجب فأزاح القرآن اللبس بالعطف بواسطة "لا" وهي لا تحتمل إلا النفي في هذا الموضع.

هـ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْلِكَ يَنْمُوسَى﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٢] يحتمل التركيب من حيث الصناعة أن تكون ما تعجبية وأن تكون استفهامية ولكن الذى يعين الاستفهام فى الآية هو وجود الجواب واشتماله على تحديد مكانهم وعله سبقة: وبهذا أزاح القرآن اللبس.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

حرجا: مفعول به أو لأجله؟

يجدوا متعد لمفعول واحد
يجدوا لازم أى يُكِنُوا
مَوْجِدَةٌ

وجد: قد يلزم أو يتعدى لواحد أو يتعدى لاثنين.

الاعتراض في القرآن:

الاعتراض إدخال عنصر في مجرى السياق المتصل لا ينتمى إلى هذا السياق ويكون بجملة تسمى الجملة الاعتراضية، ولكون هذه الجملة لا تنتمى إلى سياق الكلام لا يكون لها محل من الإعراب لأنها لم تحل محل مفرد من مفردات هذا النص. وللاعتراض وظيفة بلاغية هي المبادرة بإبلاغ معنى قد يرد على الكلام بدونه بمآلا يرد عليه في وجوده. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم يمكن أن نورد منها ما يلي:

١ - الله سبحانه عالم بكل شيء فهو: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وهو تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِي﴾ [فاطر: ١١].

ومن ثم لم يكن مفتقرا إلى أن نخبره امرأة عمران حين وضعت مريم أنها وضعتها أنثى لأنه أعلم بها وضعت: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦] فقلوه والله أعلم بها وضعت اعتراض داخل على كلامها الذي هو ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ووظيفة الاعتراض هنا المبادرة بالتنبيه على أن الله غنى عن استقاء المعلومات لأنه يعلم كل شيء.

٢ - لقد أمد الله المسلمين في بدر بالملائكة فنصرهم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠] والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمِيتَ وَلَيْكِ ۖ اللَّهُ رَمَى ۝ [الأنفال: ١٧] وإذا كان الأمر كذلك فإن النبي ليس له من الأمر شيء. ومن ثم كان الاعتراض في سياق النص في قوله تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتِهِمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ۝﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۝ [آل عمران: ١٢٧-١٢٨] فالله تعالى إنما أنزل الملائكة وحقق النصر للمسلمين لأحد هذه الأسباب ولما لم يكن المسلمون أو النبي ﷺ هو الذى حقق النصر بنفسه كما يظن الآخذون بمعطيات الحواس بادر القرآن بالاعتراض ليرفع هذا الوهم حتى من ذهن النبي نفسه.

٣- وقد يكون الغرض من الاعتراض البداريا زجاء البشرى بالفرج في مقام الضيق كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٥] فلقد ذكر الله طوائف المتقين فجعل منهم الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا على ما فعلوا فكان من المناسب بالنسبة للطائفة الأخيرة أن يبادر النص بالبشرى لطمأنة القلوب التائبة فيأتى بالجملة المعترضة قبل تمام الكلام.

٤- حدد الله سبحانه وتعالى المحارم من النساء في سورة النساء [٢٣-٢٤] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَوَّجْتَكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۝ بقوله: ففى

هذا السياق اعتراضان:

أ - "فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم".

ب - "إن الله كان غفوراً رحيماً".

فالأول لدفع توهم أن ابنة الزوجة تحرم مطلقاً لأن عبارة "اللاتى دخلتم بهن" قد لا تثير انتباه السامع فيعمم الحكم فجاء الاعتراض لدفع ذلك وإنما لم يعترض بعد قوله: ﴿وَحَلَّلِيلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ بقوله مثلاً فإن لم يكونوا من أصلابكم فلا جناح عليكم لسببين: الأول أن الإسلام منع التبنى وقال الله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] والثاني أن قصة زيد أبن حارثة جاءت بتفصيلها في القرآن لتبين هذا الحكم فلم يكن هناك داع للاعتراض في هذه الآية.

أما الاعتراض الثانى فقد جاء لبيان الحكم فيما قد سلف فينب أن الله غفور رحيم بالنسبة لما سلف من هذه المخالفات.

٥ - وقد يكون الاعتراض للتنديد والإنكار كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۚ﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢-٧٣]. فهؤلاء المبطئون ينتهزون كل فرصة للتخلص من تبعات المشاركة في الغزوات ويطمحون مع ذلك في الفوز بما يفوز به المسلمون من نصر وغنيمة. وهذا موقف لا نصيب له من الأمانة وحسن الخلق وبخاصة إذا علمنا أنهم يظهرون المودة للمسلمين ويمنحهم المسلمون المودة أيضاً فيبين الفريقين في ظاهر الأمور مودة. فإذا قال هذا الصنف من الناس ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فإن ذلك أمر يستدعى الاستنكار فما الذى منعه أن يكون معهم والمودة قائمة والجهاد مفروض على كل مسلم بهذا جاء الاعتراض بين فعل القول ومقول القول.

٦- أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ في الآية الرابعة والثمانين من سورة النساء بأمرين: أن يقاتل في سبيل الله وأن يحرض المؤمنين وقد أراد بالنسبة للأمر الأول أن يطمئنه إلى أنه غير مسئول عن الخالفين من المسلمين ﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] فحسب النبي أن يباشر القتال بنفسه أما بالنسبة للمسلمين فيجزئه أن يحرضهم على القتال. لهذا قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤] فجاء الاعتراض بين المتعاطفين.

٧- وقد يكون الاعتراض لتكذيب زعم كاذب كالذى نراه في آيات سورة النساء (١٥٥-١٦١) عندما تعددت المتعاطفات وكان من بينها زعم اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فجاء الاعتراض لتكذيبهم ثم عادت الآيات لإكمال المتعاطفات وذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ وهنا يأتي الاعتراض الأول بقول تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويستمر العطف: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ثم يأتي الاعتراض الآخر: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِمِنْ عِلْمٍ إِلَّا آتِبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ثم يلخص كل المتعاطفات السابقة بوصفها بأنها ظلم ويعاود العطف عليها فيقول: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُبُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٦١].

٨- وقد يكون الاعتراض بقصد تأكيد الإجمال بواسطة التحديد كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ ولما كان هذا المنزل قد ذكر على وجه الإجمال فقد جاء الاعتراض بقوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ليبين المحتوى وأن ما اشتمل عليه القرآن هو من علم الله. ثم عاد إلى العطف على لفظ الجلالة فقال: ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

٩- وصى الله رسوله أن يتلو على الناس ما حرم الله عليهم فكانت المحرمات هي الشرك وقتل الأولاد وقربان الفواحش وقتل النفس وقربان مال اليتيم وقد جاء الاعتراض عند النهى عن الشرك بقوله: وبالوالدين إحساناً" وعند النهى عن قتل الأولاد بسبب ما يعانیه الآباء من الإملاق بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ثم جاء الاعتراض بالفاصلة بعد النهى عن قتل النفس إلا بالحق فقال: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" ونص الآية في جملتها كما يلي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْكُمْ إِمَّا بِنِكَاحٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

فالاعتراض الأول ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ لدفع الظن بأن الإحسان إلى الوالدين إشارك لهما مع الله. والاعتراض الثاني وعد لمن يعانى الأملاق فيقتل أولاده لهذا السبب أن الله سيرزقه ويرزق أولاده أيضًا ويرزق عياله والثالث وهو ﴿ذَلِكُمْ

وَصْنَكُمْ بِهِ ﴿ للفاصلة والرابع وهو ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ للمطالبة بحسن
القصد بقطع النظر عما يقع من غير قصد. والخامس ﴿ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ ﴾
للفاصلة.

١٠ - يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١] أن فكرة التبديل في
ذاتها غير مستحبة إلا أن يحيط بها من الأمان ما يجعلها مقبولة وذلك لأن
الكتب السابقة قد لحقها التبديل وكان ذلك موضع سخط من الله تعالى كما
قال في القرآن الكريم. ومن هنا تطلب الموقف بعد إيراد الفعل "بدلنا" في
الآية أن يرد معه ما يشير إلى أن هذا التبديل غير ذلك فجاء الاعتراض بقوله:
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾.

١١ - عندما أشار الله سبحانه في سورة ص إلى الحميم والغساق الذين أعدهما
للطاغين في جهنم جاء بالجملة المعترضة "فليذوقوه" ليكون ذلك أبلغ في
تهديدهم ووعيدهم وذلك بقوله تعالى: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّيْفِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ
﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ إِلَيْهَا ﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ ﴾ ۝
وَأُخْرَى
مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٥-٥٨].

١٢ - قال تعالى: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥].

ابتدأ الله تعالى بالحق ثم عززه بتأكيد به جملة اعتراضية تقدم مفعولها
للاهتمام به فكأنه يقول الحق ولا أقول إلا الحق لأملأن ففائدة الجملة المعترضة هنا
التأكيد.

١٣ - لم يُقدر المشركون الله حق قدره وحين بين القرآن هذه الحقيقة جاء بجملة
معترضة تشير إلى قدره سبحانه وتعالى قبل أن ينزهه عما يشركون فكان مما
يدل على عظمة هذا القدر ما جاء في الجملة المعترضة ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿ وَهَكَذَا جرت الآية على النحو التالي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

١٤ - عندما يأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يأتي بعد ذلك التأكيد بأن ما وعده الله من جزاء الصابرين يوم الحساب حق وأنهم يوفون أجرهم بغير حساب ثم يعود النص إلى الأمر بعد الصبر بالاستغفار والتسبيح فيقول الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥].

١٥ - إذا روى القرآن لما يقوله المنافقون بألستهم من التصديق برسالة النبي ﷺ ويريد أن ينسب الكذب إلى نواياهم دون قولهم فإن ذلك يأتي عن طريق الاعتراض الذي يحول دون انصراف التكذيب إلى ما قالوه من تصديق النبوة وهذا غاية في البلاغة. يقول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾.

ثم يبادر الله بتصديق هذه الحقيقة فيقول: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ثم يكذب نوايا المنافقين لأنهم يقولون ما لا يضمرون فيقول: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

١٦ - أراد الله سبحانه أن يودب المسلمين بأدب الإسلام في تعاملهم مع رسول الله ﷺ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ﴾ وأراد منهم إذا دعوا إلى طعام إلا يبيكروا في الحضور انتظاراً لنضجه وألا يبقوا بعده لمجرد الاستئناس بالحديث فقال: ﴿ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ ﴾ ولكنه قبل أن يعطف قوله ﴿ وَلَا مُسْتَفْسِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ اعترضه بجملة يبدء

بها المطلوب منهم فقال: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ ثم بين لهم أن النبي ﷺ كان يتأذى بمن يبقى في بيته دون داع فقال ﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ﴾ وعلى النحو التالي تجرى الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٧ - قال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

أى هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك.

الالتفات:

الالتفات ظاهرة من ظواهر المطابقة وعدمها أو قل إن شئت أنه ضرب من الترخص في المطابقة والمعروف أن المطابقة تكون في الأمور الآتية:

- ١ - الأفراد والثنائية والجمع.
 - ٢ - التكلم والخطاب والغيبة.
 - ٣ - التذكير والتأنيث.
 - ٤ - التعريف والتنكير.
 - ٥ - العلامة الإعرابية.
- ولكن الموضوع الذى ندرسه لا يشمل الترخص فى مطابقة التعريف والتنكير ولا فى مطابقة العلامة الإعرابية وإنما يقتصر على المحاور الثلاثة الأولى التى مسرحها الضمائر كما يبدو فيما يلى:

تكلم		خطاب		غيبة	
تذكير	تأنيث	تذكير	تأنيث	تذكير	تأنيث
أنا	أنا	أنتَ	أنتِ	هو	هي
نحن	نحن	أنتما	أنتما	هما	هما
نحن	نحن	أنتم	أنتن	هم	هن

فليس مما تتميز به الضمائر إعراب ولا تعريف وتنكير لأنها جميعاً تعد من قبيل المعارف. وينبغي أن نشير هنا إلى أن القاعدة النحوية أن يعامل الاسم الظاهر في المطابقة معاملة ضمير الغائب المفرد إن كان مفرداً والمثنى أن كان مثنى والجمع إن كان جمعاً.

ولكن الالتفات إن كان انتقالاً من أحد محاور المطابقة المبينة منذ قليل إلى محور آخر فمن الممكن أن ينتقل من مفهوم اجتماعي إلى مفهوم اجتماعي آخر مع اتحاد المحور النحوي لأن المحور النحوي قوامه المعاني العامة كمطلق الغيبة ومطلق الحضور ومطلق التذكير والتأنيث ومطلق المتكلم والخطاب والغيبة ولكن الفهم الاجتماعي قد ينقلنا في خلال المعنى النحوي الواحد من مفهوم إلى مفهوم آخر كما في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّىٰ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] ثم يعلق ظرف الزمان "إذ" بالفعل "اذكروا" عدداً من المرات على النحو التالي:

* ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْإِلْهِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].
 * ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

* ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَنْعِمْ لَیْلَةً ثُمَّ آخِذْكُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

* ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

* ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

* ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

* ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠].

* ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

ثم يلتفت النص من جماعة مخاطبين إلى جماعة مخاطبين آخرين فينتقل من مخاطبة بنى إسرائيل إلى مخاطبة المسلمين فلم يحدث تغير في محاور المطابقة (الجمع والخطاب) ولكن حدث الالتفات في المقصود الاجتماعي (بنو إسرائيل والمسلمون) فقال تعالى ملتفتاً عن بنى إسرائيل إلى المسلمين:

* ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَلَّجُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقد يكون في النص الواحد التفات نحوي والتفات اجتماعي جنباً إلى جنب كما في قوله تعالى:

* ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْوَعْدَ وَالْوَعْدَ أَنَّ هُمْ جَسَسَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَرُ كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِّهًا ﴿البقرة: ٢٤-٢٥﴾ فقد كان الالتفات النحوى من الجمع فى "تفعلوا" إلى الأفراد فى "وبشر" وكلاهما خطاب أما الالتفات الاجتماعى فقد كان من الكافرين إلى النبى ﷺ وهذا كثير فى الالتفات وعليه عدد من الشواهد التى نوردتها فى هذا المقام. كما فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿البقرة: ١٠٧-١٠٨﴾ فى الآية عدول عن خطاب المفرد إلى خطاب الجماعة والمفرد المسئول بعد الهمزة هو النبى ﷺ فقط والجماعة المسئولون بعد "أم" هم المسلمون دون النبى. فتحقق الالتفات نحويًا واجتماعيًا. ومنه أيضًا قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفْخِرِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿الحجر: ٢٤﴾ فقد تحقق الالتفات نحويًا بالفرق بين "منكم" و"ربك" واجتماعيًا بأن المقصود بقوله "منكم" جميع الخلق وبقوله "ربك" النبى ﷺ وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿الفتح: ٨-٩﴾. فالالتفات النحوى فى هذه الآية يتمثل فى الاختلاف بين الكاف فى "أرسلناك" والواو فى "تؤمنوا" كما يتمثل الالتفات الاجتماعى فى أن المقصود بالأول النبى ﷺ وبالثانى الناس المخاطبون برسالته والمطالبون بالإيمان بالله ورسوله وبالتعزير والتوقير والتسبيح لله سبحانه وتعالى.

وأسمى الالتفات نحويًا فقط حين يتحد المدلول وتختلف الضمائر التى تشير إليه. وهذا أيضًا كثير شائع فى القرآن وربما كان أكثر شيوعًا من سابقه بدليل أن

الدارسين الذين لم يفرقوا بين هذين النوعين يفهمون "الالتفات" دائماً هذا الفهم النحوى الخالص فيما أعلم ولا يرد على بالهم أن يكون الالتفات اجتماعياً فقط كما فى آيات البقرة التى أوردناها أول الشواهد فقد اتحد ضمير جماعة المخاطبين ولكن المخاطبين اختلفوا فكانوا فى البداية بنى إسرائيل (اذكروا نعمتى) وفى النهاية فيما عدا ذلك من شواهد الالتفات. أما شواهد الالتفات النحوى الخالص فهى كما يلي:

١- قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] فقد عاد على الوجوه ضمير المؤنثة الغائبة أولاً وضمير جماعة الغائبين ثانياً والوجوه واحدة فى الحالتين والمراد أصحاب الوجوه.

٢- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكِثُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ [الأنعام: ٦] المقصود المشركون فى الحالتين ولكن الضمير الذى أشار إليهم هو ضمير جماعة الغائبين فى "ألم يروا" والذى أشار إليهم ثانياً ضمير جماعة المخاطبين فى "لكم". اتحد المدلول واختلفت الضمائر.

٣- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِّيْحٌ طَبِيقٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] انظر إلى اختلاف الضميرين فى "كنتم" و"بهم" والمدلول واحد.

٤- قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَحْمِيَدَ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦] قارن "لعلكم" و"هم" أو "تتحدون" و"يبتدون" والمدلول واحد.

٥- قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿ [طه: ٥٣] أَى أَخْرَجْنَا أَصْنَافًا شَتَّى فمرجع الضمائر فى جميع الحالات هو الله سبحانه وتعالى ولكن وازن بين "الذى جعل" و"سلك" و"أنزل" و"أخرجنا".

٦- قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠١﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿ [طه: ١٠١] قارن "أعرض" و"يحمل" و"خالدين" و"لهم". والمدلول واحد وقد يقول قائل أن "من" موصول يصدق على المفرد كما يصدق على الجمع وهذا صحيح فى الجملتين ولكنه "التفات" فى الجملة الواحدة.

٧- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕأَبَيْتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ ۚ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿ [القصص: ٥٩] لاحظ "كان" و"كنا" والمدلول واحد.

٨- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [العنكبوت: ٢٣] قارن "آيات الله" و"رحمتى" والمدلول واحد والضمائر مختلفة.

٩- قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿ [لقمان: ١٠] لاحظ: "خلق" و"ألقى" و"بث" ولكن "أنزلنا" و"أنبتنا".

١٠- قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿ [الأحزاب: ٣١] قارن "يقنت" و"تعمل".

١١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴿ [فاطر: ٢٧] لاحظ "أنزل" و"أخرجنا". والمدلول واحد.

١٢- قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنَةً ۖ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨] تأمل: "الإنسان" - "فرح" - "نصبهم" - "أيديهم" - "الإنسان".

١٣- قال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَلِكَ نَخْرُجُوهَ﴾ [الزخرف: ١١] لاحظ "أنزل" و"أنشأنا".

١٤- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُغْبَرُونَ ﴿٦٧﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٦٩-٧١] انظر: "آمنوا" و"كانوا" ثم ادخلوا" و"أنتم وأزواجكم" ثم "عليهم" ثم "وأنتم فيها خالدون". المدلول واحد والاختلاف في الغيبة والخطاب.

تكرار مطلع الآية:

يحدث أحياناً أن تبدأ الآية بكلمة أو عبارة مكونة من كلمات ثم يعاد ذكر ذلك بعينه لغرض ما كإرادة التأكيد أو لاستحضار المطلع بعد أن طال الكلام بعده إلى حد ما - فمن التكرار لإرادة التأكيد قوله تعالى:

١- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] والتكرار هنا بالإشارة إلى المطلع "بفضل الله وبرحمته" لا بإعادة الذكر وقد أكدت الإشارة الفضل والرحمة إذ جمعتها فجعلتهما مشاراً إليه واحداً ثم تقدمت الإشارة وقبلها حرف الجر على الفعل الذى تعلقا به. ولا يخفى ما للتقديم من دلالة على الاهتمام والتوكيد.

٢- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ [الروم: ١٤] أعاد اليوم وسعه الظرف المقطوع بالتنوين عن الإضافة إلى جملة "تقوم الساعة" فكان التقدير

(يوم تقوم الساعة يوم إذ تقوم الساعة يتفرقون) فحذفت "تقوم الساعة" الثانية وعوض عنها بالتنوين للدلالة على حذفها وهذا التكرار للتأكيد كما هو واضح.

٣- ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُ مَنُ خَسِرَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧] والتقدير فيه كالتقدير في الآية السابقة والتكرار للتأكيد.

أما التكرار بسبب طول مطلع الآية فلتذكير السامع بكلام سابق لولا تكراره لضعفت الرابطة في المعنى بينه وبين ما يأتي بعده لطول العهد به فيكون التكرار في هذه الحالة لتنشيط الذاكرة ولتقوية الرابطة بين أول الكلام وآخره. وشواهد ذلك في القرآن كثيرة نورد منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. طال الكلام بعد المطلع بوصف الكتاب بنعتين غير مفردتين وبعطف جملة منسوخة بكان ولها مكملات متعددة فكان الأمر بحاجة إلى تكرار "لما" ومدخولها فتكررت واستعيض عن الكتاب ونعوته الطويلة بعباراة واحدة قصيرة هي "ما عرفوا".

٢- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] انظر كيف طال المطلع بما تعلق به من الجوار والمجرورات ثم بجملة الاستدراك والتفصيل حتى أصبح التذكير بالمطلع من مطالب ربط أجزاء الجملة فجاء التكرار ليذكر السامع بما كان في بداية الآية من "لو" ومدخولها.

٣- قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨] طالت

صلة المفعول به وهو "الذين" بسبب ما عطف عليها حتى أصبح الجار والمجرور "بمفاضة" ضعيف الارتباط بالفعل حسب "في بدء الآية بل أصبح عرضة لتوهم تعلقه بالفعل "يفعلوا" وهو غير مراد ومن ثم جاء تكرار المطلع لينقذ العلاقة بين الجار والمجرور وبين متعلقة الذى فى بداية الآية فالتكرار كما ترى إنما جاء بسبب طول المطلع.

٤- قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيشَقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَيْتِ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبَصَدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٥٥-١٦١]. فلقد أوردت الآية عدة أسباب لتحريم الطيبات على بنى إسرائيل وكانت أحلت لهم وهذه الأسباب هى:

النقض والكفر وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف والكفر مرة أخرى وقولهم البهتان على مريم وقولهم إنهم قتلوا عيسى عليه السلام فهذه سبعة أسباب كافية لأن يطول بها مطلع الآية وفوق ذلك أن جملتين معترضتين جاءتا فى سياق الكلام أحدهما بعد السبب الرابع والأخرى وهى جمل متعددة جاءت بعد السبب السابع ولهذا عندما أرادت الآية أن تكرر المطلع لخصت الأسباب السبعة بلفظ "ظلم" وقالت: "فبظلم من الذين هادوا... إلخ" ثم عطفت على لفظ الظلم أسبابا أخرى

هى الصد عن سبيل الله وأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل فتلك عشرة أسباب استوجبت عقاب الدنيا بتحريم الطيبات وعقاب الآخرة بالعذاب الأليم. وواضح أن التكرار هنا إنما جاء بسبب طول المطلع. وتلخيص الأسباب بكلمة "ظلم" يشبه ما سبق من تلخيص اسم الإشارة لفضل الله ورحمته وتلخيص "ما عرفوا" لعبارة "كتاب من عند الله مصدق لما معهم".

٥- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فلما طال فعل الرؤية الأول بمفعوله وتمييز المفعول وما عطف على المفعول من شمس وقمر ناسب ذلك أن يتكرر الفعل لتقوى ب تكراره عبارة "لى ساجدين" وقد جرى تلخيص الكواكب والشمس والقمر بالضمير فى "رأيتهم".

٦- قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] انظر إلى تكرار إن واسمها بعدما طالت المجرورات والظروف المتعلقة بالغفران والرحمة وذلك لإحكام ترابط الكلام. ومثله أيضًا ما يلى:

٧- قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩] ويقال فى هذا ما قيل فى سابقه.

٨- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤-٢٥] طالت الجملة المضافة إلى "يوم" فتكرر بقوله يومئذ.

٩- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَتُزَلَّ الْمَلَكَةُ تَزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦] يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا

جاء عطف جملة على الجملة التى أضيف إليها الكلام فطال الكلام فتكرر اليوم في قوله "يومئذ".

١٠ - قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ولكن التكرار قد يتعدى اللفظ إلى المعنى أحياناً كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦]. فاللفظ الأول "من كفر" ولكن الثانى "من شرح بالكفر صدرًا" وقد جاء التكرار لطول الكلام الملحق بالمطلع.

التفصيل:

يأتى التفصيل بعد إجمال المذكور أو انطلاقاً من إجمال المفهوم فمثال المذكور أن تقول مثلاً اختلف الفقهاء فى حكم كذا فتأتى بذكر الفقهاء مجملًا ثم تريد التفصيل ولك فى ذلك أن تأتى بأما فتقول أما مالك فقد رأى كذا وأما الشافعى فقال كذا وقد تأتى بحرف الجر "من" ومجروره إذا لم يكن ذكر الأسماء مطلوبًا فتقول فمنهم من قال كذا ومنهم من قال كذا أو تقول: ففريق يرى كذا وفريق يرى كذا أو تقول: فأبو حنيفة يرى رأياً وأحمد يرى رأياً آخر أو تقول فمنهم المبيح ومنهم المانع أو فمنهم المبيح والمانع أو تقول فهذا يبيح وهذا يمنع أو تقول غير ذلك وقد وردت هذه الطرق جميعاً فى القرآن الكريم وسنورد الشواهد على كل طريقة منها فيما يلى:

أ - أما وأما:

١ - قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ فَسَلَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ

مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ فَتُزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٨﴾ وَتَصْلِيَةُ حَجِيمٍ ﴿٩﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤].

٢- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةٍ ﴿١﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٢﴾ [الحاقة: ٥-٦].

٣- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿١﴾ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ ﴿٢﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٣﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٤﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٥﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٦﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴿٨﴾ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَةَ ﴿٩﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿١٠﴾ [الحاقة: ١٩-٢٦].

٤- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴿٤﴾ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٦﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

٥- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٢﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٤﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٥﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿٦﴾ [الليل: ٥-١٠].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٧٥].

فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها.

إما أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح.

٦- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ [الضحى: ٨-٩].

ب - منهم ومنهم:

١- قال تعالى: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

خَلَقَ ﴿١﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿البقرة: ٢٠٠-٢٠١﴾.

٢- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢١﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْإِمَّاهُ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿البقرة: ٢٠٤-٢٠٧﴾.

٣- قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّمُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِيَدَيَّارٍ لَا يُؤَدِّمُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥].

٤- قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ۖ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٥].

٥- قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٤٠].

٦- قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ؕ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ؕ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢-٤٣].

٧- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسَمُّوهُمُ فِي الْأَرْضِ ۚ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

٨- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

٩- قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا بِهِ ثَمَرٌ مِنْهُمْ مَنْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

١٠- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

١١- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

١٢- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٣].

ج - "من" وبعدها حرف العطف:

١- قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

٢- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

د - هذا وهذا:

١- قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا

كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿ [الأنعام: ١٣٦].

٢- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

٣- قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥].

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢].

هـ - فريق وفريق:

١- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧] (لا ذكر لحرف الجر "من" في هذا التفصيل وهذا هو الفرق بين هنا وبين جـ ١).

التمثيل:

يمكن التعبير عن التمثيل بطرق مختلفة منها ربط الطرفين بالكاف أو بلفظ مثل أو بلفظ "مثل" بدون الكاف أو معها "كمثل" أو بعبارة تفيد "ضرب المثل" نحو "ضرب مثل" ببناء الفعل للمجهول أو "ضرب الله مثلا" أو بعبارة "مثل كذا كمثل كذا" أو بالاستعمال كلمة من مادة (ش ب ه) نحو أشبه أو يشبه أو شبيه إلخ. والقرآن ثرى بظاهرة التمثيل يتخذها وسيلة من وسائل الدعوة والتهديب والزراية بأعمال الكفار وأعداء الإسلام من أهل الكتاب. ويتخذ التعبير عن التشبيه في القرآن صورًا كثيرة نستطيع أن نختار منها ما يلي:

أ - ضرب الله مثلا كذا وكذا هل يستويان:

١ - قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيانَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٥].

٢ - قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمًا يُوَجَّهَةٌ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

ب - ضرب الله مثلا لكذا كذا:

١ - قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحَ وَامْرَأَتُ لُوطَ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

٢ - قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِتْنَةِ الْعِمَلِ وَنَجِّنِي مِنَ الْغَوَمِ ۖ أَلَمْ يُصَلِّمْ عَلَيْكَ ۖ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظَّاهِرُ ۖ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ [التحريم: ١١-١٢].

ج - مثل كذا كمثل كذا:

١ - قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْبِعُهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِنَ الصُّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٧-١٩].

٢ - قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَعَ

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿[البقرة: ٢٦١].

٣- قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٤- قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٦- قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنِ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

٧- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ أَخْتَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

٨- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِفَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

د - مثل كذا ككذا:

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

٢- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

٣- قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

٤- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

هـ - كذا كمثل كذا:

١- قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

٢- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوْنَ ﴿٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنُومًا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿[الحشر: ١١-١٧]﴾.

و - مثل كذا = صفة كذا:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

الإيجاز والتلخيص:

المراد بالإيجاز أن تأتي بالعبارة القصيرة الجامعة لمعنى يتطلب إيضاحه كلاماً أطول لما له من تشعب الجوانب استحقاق البسط. والمراد بالتلخيص إيراد الأحداث الجسام ذات التفاصيل الكثيرة في عبارات متتابعة قصيرة تشير كل عبارة منها إلى أخذ هذه الأحداث فيأتى السياق على صورة تلخيص موجز لأحداث عظيمة. والنوعان موجودان في القرآن الكريم ففيه جوامع الكلم وفيه تلخيص الأحداث الجسام. فأما جوامع الكلم فتبدوا في مظهرها وإيقاعها وكأنها قواعد سلوكية عامة لها من القواعد قصرها وشمولها وصدقها بإطراد في كل المواقف.

وأما التلخيصات فإنها تلقى إلى قارئها وسامعها بالأحداث متتابعة متلاحقة فيحس وكأن أنفاسه تسرع في إيقاعها مع توالى الأحداث ويبهره حسن العرض وجمال الإيقاع. وفيما يلي شواهد لكل من هاتين الظاهرتين: ظاهرة الإيجاز وظاهرة التلخيص:

أ - من شواهد الإيجاز:

١ - ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَغِيْبُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٢- ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧].

٣- ﴿وَهُمْ أَوْفَاءُ بِمَا لَعَنَّا أَلَوْ﴾ [التوبة: ٧٤].

٤- ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

٥- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٦- ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

٧- ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

٨- ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

١٠- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١١- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

١٢- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

١٣- ﴿إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبِ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٥].

١٤- ﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٢٦].

١٥- ﴿يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١].

١٦- ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

١٧- ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

١٨- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦].

١٩- ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[الملك: ٢٢].

١ - ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٢ - ﴿ وَقِيلَ يَا تَارِظُ ابْنِي مَاءُكَ وَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

٣ - ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَفَرُوا وَرَافِعُكَ إِلَىٰ مَطْهَرِكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٤ - ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦ - ١٣٨].

٥ - ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْقَوْمُ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

٦ - ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ

مِنْهُمْ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنِ فَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ [يوسف: ٣١].

٧- ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٣٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٣٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٣٤﴾ وَهَئِذَا إِلَيْكَ يَجْدَعُ النَّخْلَةُ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٣٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٣٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ [مريم: ٢٢-٢٧].

٨- ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّى فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ خَرَجُكُم مِّن بَطْنِ أُمِّكُمْ إِلَى أَرْضٍ تَعْرَفُونَ مِنْ يُرَدُّ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

٩- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٤﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

ترتيب الأشياء:

قد تتعدد النعوت أو يتعدد الخبر أو تتعدد الحال أو يتعدد المعطوف وقد يكون بعض ذلك أطول من بعض فقد يكون النعت مفردًا أو شبه جملة أو جملة وقد يكون المفرد عاملاً فيها بعده وقد تكون الجملة ذات ركنين أو يكون لها مع الركنين

مكملات من المفردات أو أشباه الجمل أو الجمل الفرعية ويتنوع كل ذلك بتنوع أنماط اللغة. فإذا تعددت الأشباه على هذا النحو فإن أشيع ما يأتي عليه الأسلوب القرآنى أن يقدم قصار الأشباه على طواها وقد يوردها عند كثرتها مرتبة من القصير إلى الطويل إلى الأطول ولكن فى القرآن من الأسلوب ما هو أقل شيوعاً وفى ذلك لا يرمى القرآن ترتيب الأشباه بهذه الطريقة لسبب من التابع فى الزمان أو فى الاهتمام أو غير ذلك من الأسباب. وسنورد فيما يلى شواهد على هذه الظاهرة الأسلوبية (ظاهرة ترتيب الأشباه) من سورتي البقرة وآل عمران ونكتفى بالنظر فيهما عن النظر فى غيرهما فيما عدا شاهدين نبدأ بهما لأنها كانا سبباً فى انتباهنا إلى هذه الظاهرة:

أ- النعوت:

١- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨].

فالترتيب هنا = وصف + شبه جملة + جملة.

٢- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الترتيب = وصف + جملة.

٣- قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ جَمْعُلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

الترتيب = شبه جملة + جملة.

٤- قال تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ

وَأَتُوا بِهِمُ مُتَشَبِّهًا^ط وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ^ط وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [البقرة: ٢٥].

الترتيب = جملة قصيرة + جملة طويلة.

٥- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ^ط فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿ [البقرة: ٦٨].

الترتيب = وصف + وصف + وصف له متعلق.

٦- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثْهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿ [البقرة: ٦٩].

الترتيب = وصف مفرد + وصف رفع فاعلا + جملة.

٧- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ^ط فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ [البقرة: ٨٩].

الترتيب = شبه جملة + وصف تعلق به شبه جملة.

٨- قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ [البقرة: ٢٦٥].

٩- قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [آل عمران: ١١٨].

الترتيب = شبه جملة + جملة قصيرة + جملة قصيرة + جملة طويلة لاشتغالها على جملة حالية.

ب - صلة الموصول:

١٠ - قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

الترتيب = فعل لازم تعلق به جار ومجرور + فعل متعد ناصب للمفعول.

١١ - قال تعالى: ﴿ وَنَشِيرَ الصَّيْرِ ﴾ ⑤ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

الترتيب = موصول حرفي + موصول اسمي.

ج - المعطوفات:

١٢ - قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنِعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

الترتيب = مبتدأ مؤخر مفرد + معطوف عليه تعلق به جار ومجرور.

١٣ - قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الترتيب = مفرد + موصول وصلته.

١٤ - قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرَ الصَّيْرِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

١٥ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [البقرة: ١٦١].

ثانيًا في حيز خبران = مضاف إليه مفرد + معطوف على نية الإضافة + معطوف آخر مؤكد.

١٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

الترتيب = تركيب إضافي في خبره عطف لمفرد = تركيب إضافي في خبره عطف لمفرد + عطف لموصوف بموصول صلة جملة + عطف لما المصدرية وسما دخلت عليه من جمل متعاطفة + تركيب إضافي في خبره معطوف على المضاف إليه موصوف بصفة طويلة.

وإنما كانت "ما" مصدرية لأن المصادر الصريحة تحذف بها من كلا الجانبين فكأن ما وما بعدها في تأويل (الإنزال فالإحياء والنبث).

١٧- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

الترتيب = مفرد + مفرد + تركيب إضافي + موصول وصلته الجملة.

١٨- قال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وكل ذلك صفات متعاطفة للذين اتقوا الذين يقولون ربنا آمنا.

الترتيب = مفرد + مفرد + مفرد + مفرد تعلق به جار ومجرور.

١٩- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُاعِكَ إِلَىٰ مُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَخَذَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

الترتيب = اسما فاعل أضيف إلى مفعوله + مثله وقد تعلق به جار ومجرور هو الياء + مثله والمجرور موصول وصلته + اسم فاعل أضيف إلى مفعوله لموصول بجملة طويلة.

٢٠- قال تعالى: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

الترتيب = حال مفردة + حال تعلق بها جار ومجرور.

٢١- قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

الترتيب = جملة تبدأ بالأمر بشيء وتنتهى عن عكسه + جملة تأمر بذكر الله لأنه من على عباده المتخاصمين بأمر هو: تأليف القلوب + الصيرورة إلى الأخوة + الإنقاذ من النار ولكل واحد من هذه المعانى جملة أطول من سابقتها.

٢٢- قال تعالى: ﴿هَتَأْتُمْ آلَافًا مِّنْ تُحْيَوْنَهُمْ وَلَا تَجِدُونَ لَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ يُدَبِّرُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُتُمِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

الترتيب = جملة مثبتة + جملة منفية وكلتاها بسيطة + جملة تشتمل على جار ومجرور + جملة شرطية + جملة شرطية أخرى أطول منها.

٢٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا وَبَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

الترتيب = جملة بسيطة فعلها لازم + جملة بسيطة فعلها متعد + جملة اشتملت على جار ومجرور.

٢٤- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الترتيب = وصف + وصف + جملة.

٢٥- قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغُفُورَاتٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].

الترتيب = جملة بسيطة + جملة اشتملت على جار ومجرور.

د - الخبر:

٢٦- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الترتيب = وصف + تركيب إضافي.

هـ - حالات لم يراع فيها اعتبار الطول والقصر:

٢٨- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَةَ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧١].

الترتيب غير قائم لأن جملة "تثير الأرض" تفسر للوصف "ذلول" فهما صفة واحدة للبقرة وهي أطول من ناليتها "ولا تسقى الحرث" وربما كانت مساوية للصفة الأخيرة وهي "مسلمة لاشيه فيها" لأن المسلمة هي التي لا شيه فيها فهما صفة واحدة.

٢٩- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] (انظر أيضًا إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل وقد جعلها في الفصل) فقله "مثابة للناس" أطول من لفظ "أمنًا" وربما يسره أن الجار والمجرور على نية التكرار أى "وأمنًا للناس" وحذف الثانى لدلالة الأول عليه.

٣٠- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فأقصر صفات الرسول هما الأولى والأخيرة وبينهما صفتان أطول منهما وربما يسر ذلك أن الجار والمجرور يمكن تعليقه بلفظ "رسول" على تأويل "مرسل" وأن التزكية إنما تأتي نتيجة لاحقة للتلاوة والتعليم فالترتيب ذو طابع منطقي بدليل أننا لو تصورنا الفاء في مكان الواو من "ويزكيهم" لصح المعنى.

٣١- قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

فالعطية الأولى جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها.

والعطية الثانية أزواج مطهرة.

والثالثة رضوان من الله.

فأقصرها الوسطى وأطولها الأولى وربما يسر ذلك أن الوسطى لا تتصور إلا في الأولى وأن الثالثة أعم منها فتدل على نعم أخرى لم تذكر.

التعميم:

للتعميم وظائف أسلوبية هامة تجتمع على اتجاه واحد هو الإيهام واجتئاب إبراز شيء مما يحسن عدم الإشارة بذكره لغرض أسلوبى ما. ومن شأن هذا الإيهام أن يولد انطباعات غير محددة من التفخيم والتضخيم والظنون التى تحيط المعنى بهالة معينة لا تكون له عند التخصيص والتعيين. وللتعميم وسائل أسلوبية يوصل إليه من خلالها منها التنكير واستعمال الاسم الموصول بدلاً من أسماء الذوات واستعمال ألفاظ التشبيه مع الإشارة والاكتفاء بذلك عن المشبه به وكم الخبرية وكأين ورب والواو التى بمعناها وربما أضيف إلى ذلك الحذف البيانى الذى لا يوجد معه دليل ملفوظ على المحذوف إلخ.

فمن التنكير ما يوجد في النص القرآني من الابتداء بالنكرات مثل ويل نحو قوله تعالى:

١- ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢- ﴿ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٢].

٣- ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

٤- ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢].

٥- ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٦٥].

٦- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المراسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩].

٧- ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١].

٨- ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

وقد يتأخر المبتدأ النكرة فلا يفقد إيجاءه المترتب على التنكير من تعميم وإيهام وتضخيم نحو قوله تعالى:

٩- ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠].

١٠- ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧].

١١- ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ ﴾ [البقرة: ١٩].

١٢- ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥].

١٣- ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

١٤- ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وليس الأمر خاصًا بالمبتدأ فقط إذ قد يكون النكرة فاعلا أو مفعولا أو اسم إن أو اسم كان أو محملا بمعنى نحوى آخر غير المعانى السابقة نحو قوله تعالى:

١٥- ﴿أَوَلَيْكَ عَلَىٰ هٰذِهِ مَن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

١٦- ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

١٧- ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

١٨- ﴿وَنَبِّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

١٩- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

٢٠- ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُم فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤].

وأما التعميم بواسطة استعمال الاسم الموصول فيأتى من أن الموصول عام بحكم معناه الذى يدل على مطلق غائب وهذا الإطلاق هو الذى سوغ الفاء فى خبره كما لو كان هذا الخبر جواب شرط وذلك نحو:

"الذى يصنع الخير فله حسن العاقبة" فمعنى الذى فى هذا المثال معنى "كل من" أو "كل الذى" ولكن حتى حين ينتفى معنى الشمول الذى يعبر عنه "كل" يبقى العموم لمعنى الموصول وفرق بين الشمول والعموم. وفى الشواهد الآتية استعمال الموصول للتعميم:

٢١- ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣] لاحظ أيضًا التعميم فى "مثل قولهم" وهو ما سميناه الاكتفاء بالأداة والمشبّه به عن المشبه.

٢٢- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ [البقرة: ١١٨].

ففى الشاهدين السابقين عزوف عن ذكر الموصوفين والاستغناء بوصفهم بالموصول مع أنهم معرضون لذلك وذلك للتعميم.

٢٣- ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٢٤- ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١].

٢٥- ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣].

٢٦- ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

٢٧- ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١].

٢٨- ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاستَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ١٥].

٢٩- ﴿ إِنَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥].

٣٠- ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٢] ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٩] وأيضا: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

٣١- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [يونس: ٨٠].

- ٣٢- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الرعد: ٢١].
- ٣٣- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨].
- ٣٤- ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجُنُّدِيهِ فَفَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].
- ٣٥- ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].
- ٣٦- ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ ﴿فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].
- ٣٧- ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِّرَ﴾ ﴿فَجَرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٣-١٤].
- ٣٨- ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].
- ٣٩- ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧].
- ٤٠- ﴿ءَامِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].
- ٤١- ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهَا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٨-٣٩].
- ٤٢- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].
- ٤٣- ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].
- ٤٤- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩].
- ٤٥- ﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].
- ٤٦- ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

٤٧- ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] هروب من الشخص إلى المبدأ.

٤٨- ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

٤٩- ﴿ فَازْلِهْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٣٦].

٥٠- ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن قبيل الإشارة إلى المشبه به دون ذكره ما نلاحظه في الشواهد التالية من سورة الأنعام حيث نجد التعبير عن المشبه يأتى دائماً في صورة جملة فعلية وإليك الشواهد على ذلك:

٥١- ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٥٢- ﴿ وَكَذَلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَلَّذِينَ سَبِلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

٥٣- ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

٥٤- ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٥٥- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْمٍ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

٥٦- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

٥٧- ﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

٥٨- ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلَوْلِيسُوا عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وانما جاءت الإشارة في كذلك إلى حال ثم وصفها أو الإيحاء إليها من قبل وفي تكرار القول فيها حشو لا يجوز على القرآن. وقد يكون التعميم باستعمال "كم" و"كأين" نحو قوله تعالى:

٥٩- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَيَكْبِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٦].

٦٠- ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٦١- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّحْيٍ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٦٢- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

٦٣- ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥].

٦٤- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

٦٥- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

٦٦- ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ [الطلاق: ٨].

ومن وسائل التعميم الشرط مع استعمال "من" و"وما" و"أى" وذلك كثير في القرآن ومنه قوله تعالى:

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ [البقرة: ١٨١].

﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:

١٨٢].

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِمَهْ أَدَّى مِنْ رَأْسِهِ فِدْيَةً مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٢].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٤].

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥].

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ [النساء: ٣٠].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣].

﴿ وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢].

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأما وقوع النكرة في سياق النفي فإنه يعمم النفي ويصرفه عن جميع أفراد مدلول النكرة وذلك الشأن في القرآن كذلك ومنه:

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَالِدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا خُنْ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَسْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وأما الحذف البياني فمنه قوله تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أى بفعل

الفحشاء.

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُنْفِسْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أى فهو لتزكية أنفسكم.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] أى بعض أموالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] أى حكم البيع مثل

حكم الربا.

﴿ثُمَّ تَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨١] أى جزاء ما كسبت.

﴿لَهَا مَّا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَّا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أى أجر ما كسبت وأثم ما

اكتسبت.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] أى الدين الصادق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٢٣] أى من

معرفة الكتاب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥] أى جزاء ما كسبت.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠] أى عدل نفسه.

٣ - أساليب القرآن؛

إذا كان هناك نصان أحدهما صواب وفي الثانى خطأ فالفرق بينهما فرق فى صحة

التركيب أما إذا كان ثمة نصان يتفقان في أن كليهما صواب ويختلفان في طريقة الوصول إلى المعنى فالفرق بينهما فرق في جمال الأسلوب. وقد توجد الصحة بدون الجمال أما الجمال فلا وجود له بدون الصحة أى أن الصحة شرط ضرورى للجمال. ولقد كان كلامنا حتى هذه اللحظة منصباً على دراسة الصحة وقد تبين لنا من هذه الدراسة أن الذى يتحقق في النص القرآنى هو أمن اللبس وهو تاج الدراسات اللغوية ومطلبها أما آراء النحاة وقواعدهم التى ربما اختلفت فيها الأقيسة والاجتهادات فلا ينبغى أن تكون مطابقتها مطلباً من مطالب القرآن لسبيين أولهما أن القرآن أنزل قبل ظهور النحاة والثانى أن القرآن يسع النحو ولا يسعه النحو أو بعبارة أخرى: كل قاعدة نحوية لها شاهد في القرآن وليس لكل جملة قرآنية قياس في النحو. فالقصور هنا في أقيمة النحو وليس في تراكيب القرآن لأن النحو قَعْد لبعض اللغة دون بعض أى قَعْد للمطرود منها وأهمل غير المطرود على رغم اعترافه بفصاحته.

ونريد الآن أن نجاوز عرقية التركيب إلى خصوصية الأسلوب. وللأسلوب جانبان: أولهما اختيار العبارة وهو يتمثل في تفضيل تركيب صحيح على تركيب صحيح وكلمة مناسبة على كلمة مناسبة وتفضيل الفصل على الوصل أو التقديم على التأخير والثانى تفضيل صورة على صورة أخرى وكتلتاهما مناسبة أو اختيار مضمون للمعنى دون مضمون آخر وكلاهما يؤدي الغرض. وسنحاول في دراستنا لأساليب القرآن ألا نفصل فصلاً حاسماً بين هذين الجانبين وإنما نختار من كل منهما ما يبدو لنا عندما يبدو. ولن نحاول أن نسوق أحكاماً قيمية على الأسلوب القرآنى اكتفاء بعرض النص بصورة ربما مكنت القارئ من الوصول بنفسه إلى الحكم.

ذلك أن تدخلنا بالرأى والذوق الفردى بين النص والقارئ قد يحرم القارئ من

الوصول إلى آفاق في التذوق لم نصل نحن إليها وأن يرى بنفسه ومضات لم تلتقطها أبصارنا أو بصائرنا من الزاوية التي نظرنا منها نظرنا الخاصة إلى النص.

وسنعرض فيما يلي للأدلة القرآنية ما كان منها حسيًا وما كان عقليًا ولطريقة الرد القرآني على مزاعم المنكرين ومواقفهم ثم لظواهر أسلوبية أخرى قد تتصل بنمط العبارة أكثر مما تتصل بمضمون الفكرة.

الأدلة القرآنية:

ينقسم الدليل القرآني إلى نوعين أحدهما عقلي يحاول أن يصحح مسار التفكير ويظهر مزالق الخطأ في أحكام الناس على الأوضاع والعلاقات والثاني حسي يلفت المعارضين إلى شيء يقع في متناول إحدى الحواس بحيث يرى أو يسمع أو يذاق أو يلمس أو يشم فكان ينبغي للاتصال المباشر بينه وبين الحاسة أن يؤدي إلى تداعي الأفكار بشأنه والوصول من ذلك إلى استخلاص مغزى وجود هذا الشيء ومصدر وجوده ولكن التداعي والاستخلاص لم يقعا وبذلك أصبح الإدراك الحسي مقصورًا على الانطباع وقاصرًا عن الفهم. ومن هنا يسعى الدليل العقلي إلى الإفحام ويسعى الدليل الحسي إلى الإفهام.

الأدلة العقلية:

لا يسمى الدليل العقلي منطقيًا بالمعنى الدقيق إلا إذا كان صورياً بحيث تتحقق لصورته الشروط المنطقية التي تشترط للأقيسة من إتيان المقدمات على صورة خاصة توصل إلى نتيجة حتمية وبهذا المعنى تنقسم الأقيسة المنطقية إلى عملية وشرطية إلخ أضف إلى ذلك أن للجدل أصولاً لا بد أن تراعى حتى يستحق الاستدلال أن يكون منطقيًا. أما إذا لم تتوافر هذه الصورية للدليل فإنه يسمى الدليل الخطابي. وليس الدليل الخطابي أقل شأنًا من الدليل المنطقي الصوري بل إنه قد يفضل في المواقف العملية ويكون مفضلاً له في المواقف النظرية التي تلتزم

المنطق. وفيما يلي طائفة من الأدلة العقلية من النص القرآنى وكلها ذات طابع خطابى:

١ - اجتمع عدد من أحرار اليهود ونصارى نجران عند النبى ﷺ فتنازعوا فى نسبة إبراهيم عليه السلام فقال الأحرار أنه كان يهوديًا وقالت النصارى أنه كان نصرانيًا فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتِّبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فكون إبراهيم أقدم عهدًا من نزول التوراة والإنجيل دليل على أنه لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ثم يقول ﴿هَتَانِمْ هَتُولَاءِ حَسَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولكن دين إبراهيم كان الحنيفية والإسلام استمرار لهذه الحنيفية ومن ثم ﴿مَا كَانَتْ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فإذا كان الأمر كذلك فقد اتضحت نصية النزاع فى إبراهيم ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْبَنَاتِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

٢ - لم يرض إبراهيم عليه السلام عبادة قومه للأصنام فقال لأبيه أتتخذ الأصنام آلهة ثم تأمل أجرام السماء يبتغى منها إلهًا ولكنها لم تقنعه بألوهيتها بسبب تغيرها بين الظهور والأقول فاهتدى بعين الله إلى أن خالق هذه الأجرام هو المستحق للآلوهية وتصدى له قومه يحاجونه فى الله ويخوفونه من بطش آهتهم. وفى ذلك يقول الله تعالى: [الأنعام: ٨٠-٨٢] ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِى فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَبْنِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الدليل على أنه أولى بالشعور بالأمن منهم إذ يقول: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَنًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ لَا يَدْعُ هَذَا السُّؤَالَ عَرْضَةً لِمَغَالِطَتِهِمْ فَيُجَادِرُ بِالْإِجَابَةِ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

٣- زعم الكافرون أنهم يعبدون آلهة من خلق الله ليقربوهم إلى الله زلفى ونسوا أن كل ما خلقه الله من شأنه أن يعبد الله ويسبح بحمده ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿فَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ آلِهَةٌ مَعْبُودَةٌ لَهَؤُلَاءِ الْكَافِرِ فَهِيَ أَوْلَى أَنْ تَتَجَهَّزَ بِالْعِبَادَةِ إِلَى خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَوْهُمْ إِلَهًا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٤] فإذا كانت السموات السبع والأرض ومن فيهن يسبحون بحمد الله ويعبدونه فإن ألهتكم هذه تدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿فَهِيَ تَعْبُدُ اللَّهَ أَيْضًا. وهكذا تلزم الحجة هؤلاء الكفار إذ أولى بهم أن يعبدوا الله وأل يعبدوا من يعبد الله.

٤- كان المشركون دائماً في شك من صلاحية البشر أن يحمل رسالة الله إلى خلقه. وربما كان ذلك لمعرفتهم بالنقص الذى فى أنفسهم وهم بشر فحين قاسوا بشرية الرسول على بشرية أنفسهم غرهم القياس عن أن الله بَمَنْ عَلَى مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُفَضِّلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ. أضف إلى ذلك أن الرسول ينبغى أن يكون من جنس من أرسل إليهم وهم بشر فلا بد للرسول الذى يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَشَرِ لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّبْلِيغِ وَالْإِقْنَاعِ وَالْوَعْظِ وَتَحْمِلِ الْأَذَى. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ لَهُؤُلَاءِ النَّاسُ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ

يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥] ولكن هؤلاء الكفار ليسوا من الملائكة فلا يرسل إليهم ملك: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

٥- إذا اختلفت الإرادة اختلف المراد وإذا تعلق اختلاف المراد بشيء واحد بعينه فإما أن تتغلب إرادة على إرادة فيكون أحد المرِيدَيْن صاحب القدرة على الشيء ويكون الآخر عاجزاً فينتفى التكافؤ والتناظر وإما أن تتعارض الإرادتَان وتتساوى القدرتان فيُفسد أحد القادِرَيْن ما فعله الآخر فلا يتم لأحدهما عمل. ويصدق هذا الكلام على دليل وحدانية الله سبحانه وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۖ فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٦- وهذا الدليل نفسه قائم بالنسبة لمزاعم من ينسبون إلى الله سبحانه وتعالى ولدا لأن الولد سر أبيه وإن ابن الإله لا بد أن يكون إلهاً ولو كان لتعددت الآلهة وورد عليها اختلاف الإرادة الذي رأينا عواقبه في الدليل السابق: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٧- سورة الشعراء سورة تعداد آيات الله فأولها: ﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وقد أوردت السورة العبرة في عدد من قصص الأنبياء وهم موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وجاءت بعد كل قصة من ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أما محمد ﷺ فأية رسالته القرآن وكان ينبغي للمكذبين أن يروا ذلك من خلال ما في الكتب السابقة من بشارة به وبرسالته وما أنزل الله عليه من كتاب: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢١﴾ نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُرُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوهُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠١﴾ [الشعراء: ١٩١-١٩٧].

٨- مع عجز الكفار عن الإتيان بمثل القرآن وعلى رغم معرفتهم بأن النبي ﷺ ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه ظلوا يطلبون نزول آية على النبي ﷺ والآية بين أيديهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩٧﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] وإنما كان رحمة لأنه هداية ولأن الآية كانت قرآنا ولم تكن عذابا كالذي نزل بغيرهم من الأمم.

٩- أيهما أيسر: إصلاح ما فسد أم إنشاء ما لم يكن. الجواب أن الإصلاح أيسر من الإنشاء ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وهذا هو مدار الدليل الذي يرد في خاتمة سورة يس يروى أن أبى بن خلف جاء إلى النبي ﷺ وفي يده عظم بال جعل يفتته ويرمى به للهواء ويقول: يا محمد أترغم أن الله يبعث هذا؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: نعم يملك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار فتزل قول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ مَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨-٨١].

١٠- ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ولو فرضنا جدلا أن ذلك ممكن لما كان هذا الولد من جنس ما ادعاه المشركون مَلَكًا أو إِنْسَانًا ولاصطفى الله من

خلقه ما يشاؤه هو لا ما يدعيه عليه المشركون تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْتَلِقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٣-٤] ولأمر ما نرى الآية تسبح الله بالوحدانية والقهر.

١١- يقص القرآن قصة رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه وينصح قومه بالتروى ويتدبر الأمور فلقد جاء موسى إلى فرعون وقومه بالندى والبشائر فكادوا له وأرادوا قتله فوقف هذا الرجل المؤمن يبصر قومه بالاحتمالات المختلفة ونتائجها. فقال: هناك احتمالان: إما أن يكون موسى كاذباً وإما أن يكون صادقاً ولا ثالث لهما فإن كان كاذباً فدعوه لكذبه ولا تقتلوه لأن الكذب لا يُعاقب بالقتل وإن كان صادقاً فلا تقتلوه لأنكم إن قتلتموه أصابكم الله بعذابه حسبما وعدكم موسى من قبل فلا خير لكم في قتله على أى الاحتمالين: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۚ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهْرَيْنِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٨-٢٩].

١٢- هذا الدليل من قبيل ما سبق في رقم ٩ والله تعالى يسوقه لمنكرى البعث يتصورونه مستحيلاً لما فيه من صعوبة بزعمهم ومن عبث سبحانه الله وتعالى عن ذلك. لهذا يسوق الله إليهم سؤالاً إنكارياً يتضمن في طيه موازنة بين الخلق الأول والبعث أو الخلق الجديد. فمن لم يعى بالخلق الأول وهو بدء

وانشاء فلا ينبغي أن يعجزه الخلق الجديد وهو جمع للأجزاء. ومن ثم يقول عز شأنه: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

١٣- الإنسان يصل إلى المدركات عن طريق الحواس فتكون بها المعرفة والعلم فإذا أراد الوصول بعلمه إلى غير المحسوسات جعل المحسوس خطوة من خطوات التجريد فأنشأ للمحسوسات صورًا كلية وأدرك علاقات المحسوسات بعضها ببعض وقاس ما غاب منها على ما حضر ووصل من الربط بين معلومين إلى مجهول فأصبح هذا المجهول معلومًا. فالأصل الحواس وهي ذات حدود وقيود تجعل علم الإنسان محدودًا مقيدًا. والله سبحانه لا يشبه خلقه ومن ثم لا يقال أنه "وصل" إلى العلم لأن العلم صفة من صفات ذاته فلا يطرأ عليه بعد جهل والله سبحانه خلق الخلق فهو أولى بمعرفة ما خلق ثم هو لطيف لا يرى ولا يرد عليه التقييد بالحس كما يتقيد به الخلق وهو خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فإذا كان الأمر كذلك أفيعجزه سبحانه أن يعلم أمور خلقه ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٤٠ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

١٤- لم يكتف اليهود بأن يقولوا عزير ابن الله ولا النصراني بقولهم المسيح ابن الله حتى جعلوا أنفسهم أبناء الله وأحباءه ولو كانوا أبناءه لما صح أن يكلفوا كما يكلف العقلاء من البشر ولما جاز عليهم أن يحاسبوا فيثابوا أو يعاقبوا لأن صلتهم بالله سبحانه وتعالى عن ذلك ستكون صلة الابن بالأب فإذا كان الابن استمرارًا لأبيه فإنهم حينئذ آلهة مثله ولكن أولئك يعذبون بذنوبهم فليسوا آلهة وإنما هم بشر: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
[المائدة: ١٨].

١٥- إذا كانت الجنة ثواباً للصالحين من عباد الله وقد جعل فيها الحور والولدان فإن النار عقاب للعاصين وقد جعل معهم فيها الأصنام التي كانوا يعبدونها فأصبحت: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الناس للعقاب والحجارة للإهانة لها بعد أن زعموها آلهة ليكون ذلك أشد إيلاماً للكافرين. فلو كانت هذه الأصنام آلهة ما تصور العقل إحراقها بالنار لأن الإله لا يُعاقب. ومن هنا تتجه الحجة على الكافرين بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٦﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠].

١٦- ما فائدة إله لا يملك شيئاً في الأرض ولا في السماء ولا يسمع من يجار له بالدعاء ولو سمع (جداً) ما أحرار إجابة ولا أطاق استجابة؟ هذا هو محور الدليل الذي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٦﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ثم يعدمهم الله بالخذلان يوم القيامة لأن الآلهة التي ادعوها سترأ منهم ومن شرهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۖ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

١٧- لم يقنع المشركون بالتكذيب حتى جازوه إلى العبث فكانوا إذا سمعوا آيات الله طلبوا من النبي ﷺ تغييرها أو تعديلها لتناسب أهواءهم ولتقوم الحجة بهذا التبديل على أنها ليست من عند الله. فرد الله مكرهم بالنص على أن الآيات إنما تأتي بمشيئة فلو شاء الله ما نزل القرآن ثم بثبت صدق نبيه قبل الرسالة

إِذْ كَانُوا يَلْقَوْنَ الصَّادِقَ وَالْأَمِينَ فَلَا وَجْهَ لِكَذِبِهِ بَعْدَ الْبُعْثَةِ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

١٨- يتكلم الناس أفرادًا وهيئات محلية أو دولية في الوقت الحاضر عن أخطار الانفجار السكاني في العالم ويدعون إلى تنظيم الأسرة أو تحديد النسل لأنهم يرون أن الأمور لو تركت على علاتها فستصل البشرية ذات يوم إلى أعداد لا يمكن لخيرات الأرض أن تكفيها فتفسد الحياة على الأرض ويأكل الأقوياء أقوات الضعفاء وتختل الموازين التي يقوم عليها نظام الحياة. ولكن الله سبحانه يدفع الناس بعضهم ببعض فيحارب بعضهم بعضًا فيقتله ويُعذى بعضهم بعضًا فيميته ويخطط بعضهم لمنع ميلاد بعض ويقف بعضهم دون إفساد بعض: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] وهذا الدليل القرآني أقرب ما سقناه من قبل إلى الأدلة المنطقية لأنه يشبه أن يكون قياسًا شرطيًا على الشكل الآتي:

لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

ولكن (الأرض لم تفسد لأن الله يدفع

إذًا) الله ذو فضل على العالمين.

فلو رفعنا من هذا القياس ما بين الأقواس لبقى منطوق الآية.

١٩- كل عمل إنسانى فهو عرضة للنقص فلا كمال إلا لله وحده. لهذا السبب قامت المعرفة الإنسانية فى صورتها البدائية على التجربة والخطأ فلما أراد الإنسان أن يتجنب الخطأ قَدَّرَ الإمكان لجأ إلى اختراع المنهج العلمى وجعله آله للملاحظة الفكرية فى السؤل وعلى الرغم من الإنسان على هذه الآلة المنهجية ما يزال يخطئ ويصحح خطأ. أما القرآن فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ينبغى لهذا الكمال المعروف للقرآن أن يكون دليلاً على مصدره الإلهى وعلى أنه ليس من كلام البشر ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ثم يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

٢٠- عُرف النبى ﷺ بأنه لم يكن تاركًا ولا كاتبًا فلما جاءه الوحى فى غار حراء وقال له جبريل عليه السلام: "اقرأ" كان جوابه: "ما أنا بقارئ" وكان هذا الجواب نفيًا لنسبة القراءة إليه ولم يكن رفضًا للقراءة التى أمره بها جبريل أى أن يعنى جواب عليه الصلاة والسلام: "لست أعرف القراءة". ولم تجر العادة ممن كان هذا شأنه أن يؤلف بنفسه كتابًا فإذا ألقه فإن فَرَحَهُ بالإنجاز لا يسمح له بأن ينسب هذا الكتاب إلى مصدر آخر. ومعنى كل ذلك أن أُمينة النبى ﷺ لا تتناسب مع الإتيان من عنده بالقرآن ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

الأدلة الحسية:

إذا كان الدليل حسيًا فمن الضرورى أن يكون إدراكه أو إدراك أثره بالحواس فما الذى كان فى متناول حواس الإنسان مما يمكن أن يتخذ دليلاً على صدق الرسالة وصحة مضمونها؟ كانت هناك مشاهد يراها الإنسان كل يوم ويلابسها فى معيشتة وتعتبر من مكونات بيئته ومن ثم كان عرضة لأن يألفها والإلف يُحْدِرُ الانتباه فما

كان للسموات والأرض والنجوم والكواكب واختلال الليل والنهار والرياح والبحر والفلك والجبال وحيوانات البيئة والحياة والموت وغيرها مما ألفه الإنسان في صباحه ومساءه أن تثير عنده فكرة أو تبعث عبرة.

ولهذا جاء القرآن ليحض الناس على أن يفكروا فيما يرون ويسمعون عسى ذلك أن يقودهم إلى فهم السر الكامن وراء هذه المدركات قرب خاف بذاته أن يتضح بآثره ولا شك أن الكون كله أثر من آثار الله سبحانه وتعالى. وسنحاول فيما يلي أن نفصل هذه الأدلة بتقسيمها إلى أنواع وذكر الآيات الداخلة تحت كل نوع.

١- السموات والأرض:

أ- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

ب - ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ج - ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

د - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَبْكَرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

هـ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

و - ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالْأَنْخَلَ بِأَسْفَتِهَا طَلَعُ نَضِيدٍ ﴿١٠﴾ زَرْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً
مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿ق: ٧-١١﴾.

ز - ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿الذاريات: ٢٠-٢٢﴾.

ح - ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٢﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٣﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٤﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿٥﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿نوح: ١٥-٢٠﴾.

ط - ﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿١﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٢﴾ وَخَلَقْتَكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٣﴾
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٦﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿٩﴾
لِيُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٠﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿النبا: ٦-١٦﴾.

ي - ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿الغاشية: ١٧-٢٠﴾.

ك - ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ۚ
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿الملك: ٣﴾.

٢- النجوم والكواكب:

أ- انظر ١- أ.

ب - ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿النحل: ١٢﴾.

ج - ﴿وَأَيُّهُمُ الْآئِلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْآئِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

د - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

هـ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْآئِلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٣- اختلاف الليل والنهار:

أ- انظر ١- أ.

ب - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآئِلَ لِبَاسًا وَالنُّومَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٧].

ج - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣].

د - ﴿وَأَيُّهُمُ الْآئِلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

٤- الريح والماء:

أ- انظر ١- أ.

ب - ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَلْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

ج - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝١٨ لِنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَبِيتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا ۝١٩ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٢٠﴾ [الفرقان: ٤٨-٥٠].

د - ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝٢١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٢٢﴾ [الفرقان: ٥٣-٥٤].

هـ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَفْلاكُ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٣﴾ [الروم: ٤٦].

و - ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٢٤ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَلَمِ لُمِيلِينَ ۝٢٥ فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُخْيِ الْمَوْتَى ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝٢٧﴾ [الروم: ٤٨-٥١].

ز - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۖ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٨ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ۚ كَذَلِكَ ۚ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ح - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ خَرَجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٢١].

ط - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

ى - ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٥١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

ك - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

هـ - الجبال:

أ - ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

ب - انظر ٤ - ز.

ج - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

د - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

هـ - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

و - ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٥٣﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

٦ - الخلق والحياة والموت:

أ - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّتُ وَيُمْيْتُ وَلَهُ أَخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ب - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

ج - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَإِ كُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٠-٢٢].

د - ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٢٢﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

هـ - انظر ١ - ك.

و - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

ز - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

ح - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

ط - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ي - ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢].

ك - ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

ل - ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

م - انظر ١ - ب.

ن - انظر ١ - ج.

س - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

ع - انظر ١ - ك.

٧ - نعم الله على عباده:

أ - انظر ١ - أ.

ب - انظر ٢ - ب.

ج - ﴿ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُزَكَّرُوا فِيهَا بَلَّغُوا فِيهَا أَنبَاءَ اللَّهِ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا تَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٦-٦٩].

د - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

هـ - ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

و - ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءِثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

ز - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

٨- الاستدلال بمشاهد أخرى من البيئة:

أ- انظر ١ - ج، و.

ب - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ج - ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

د - ﴿وَأَيُّهُمُ الَّذِينَ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٦].

و - ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ^(٦) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ^(٧) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ^(٨) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ^(٩) وَعَيْنًا وَقَضْبًا ^(١٠) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ^(١١) وَحَدَاقٍ غُلْبًا ^(١٢) وَفَكْهَةً وَأَبَّا ^(١٣) مَتَعًا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

ز - ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ^(١٤) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ^(١٥) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ^(١٦) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ح - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتًا وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُهنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩].

٩ - الوحدة والاختلاف في المخلوقات:

أ - ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبِّرٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

ب - ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ج - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ خَلَقَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥].

د - ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

هـ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَكُورُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

و- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۖ﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّاسِ ﴿٧٦﴾ وَلَا تَعْمِرِ مَخْتَلَفُ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿فاطر: ٢٧-٢٨﴾.

ز- انظر ١- ك.

١٠- الاستدلال بالمقارنة:

أ- ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ب- ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادٍ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ تَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ج- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

د- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

ه- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

و- ﴿فَاسْتَفْتَوْهُمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

ز - ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المؤمن: ٥٧].

ح - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

ط - ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٣٦﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٣٧﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٣٨﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٤٠﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٤١﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

ي - ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٤٢﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٤٣﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٤٤﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ك - ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

٢- النجوم والكواكب:

أ- انظر ١- أ.

ب - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

ج - ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٧﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٨﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

د - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

هـ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ۚ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٣- اختلاف الليل والنهار:

أ- انظر ١ - أ.

ب - ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٥ - ٤٧].

ج - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣].

د - ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٧].

٤- الريح والماء:

أ- انظر ١ - أ.

ب - ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَاكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِجَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

ج - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَي رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٠﴾ لِنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَلَّى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٥٠].

د - ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٣ - ٥٤].

هـ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

و - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُمِلِينَ﴾ ٥٩ ﴿فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٦٠ ﴿وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَّادَةً مُمْضِفَةً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٤٨-٥١].

ز - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ ٦١ ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ح - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ خَرَجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَ فُتْرُهُ مُمْضِفًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْبًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

ط - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

ي - ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ٦٢ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

ك - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجنائية: ١٢].

أ- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْتَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

ب- انظر ٤- ز.

ج- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

د- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

هـ- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

و- ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

٦- الخلق والحياة والموت:

أ- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُمْعِتُ وَلَهُ أَخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ب- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

ج- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَكُرَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٠-٢٢].

د - ﴿ وَاللَّهُ أَتَبَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَأًا ﴾ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٢٤﴾ [نوح: ١٧-١٨].

هـ - انظر ١ - ك.

و - ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُنَمِكَنَّ لَكَمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

ز - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ أَهْلِ الْوَعْدِ أَفَلَمْ يَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

ح - ﴿ أَوَلَمْ يَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

ط - ﴿ أَوَلَمْ يَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

ي - ﴿ قُلْ يَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢].

ك - ﴿ أَفَلَمْ يَسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا

أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ [غافر: ٨٢].

ل - ﴿وَأَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ذَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْكَافِرِينَ أَتْمَلَّهَا﴾ [محمد: ١٠].

م - انظر ١ - ب.

ن - انظر ١ - ج.

س - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْأَعْمُرِ لَكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

ع - انظر ١ - ك.

٧ - نعم الله على عباده:

أ - انظر ١ - أ.

ب - انظر ٢ - ب.

ج - ﴿وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّسَفِيكُم بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذَٰلِكَ تَخْرُجُ مِنَ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٦-٦٩].

د - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

هـ - ﴿الَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

و - ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

ز - ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

٨- الاستدلال بمشاهد أخرى من البيئ:

أ- انظر ١ - ج، و.

ب - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ج - ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

د - ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَمَيَّةُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٦].

هـ - انظر ٧ - د.

و - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٦٠﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٦١﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا

الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٣١﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٣٢﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٣٣﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٣٤﴾ وَحَدَاقٍ ﴿٣٥﴾ غُلْبًا ﴿٣٦﴾ وَفَكِكَةً وَأَبَا ﴿٣٧﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمِيَكُمْ ﴿٣٨﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

ز - ﴿٣٩﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٤٠﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٤١﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٤٢﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤٣﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ح - ﴿٤٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٤٥﴾ [الملك: ١٩].

٩- الوحدة والاختلاف في المخلوقات:

أ - ﴿٤٦﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبِّرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٧﴾ [الرعد: ٤].

ب - ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٩﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ج - ﴿٥٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ [النور: ٤٥].

د - ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

هـ - ﴿٥٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَكُرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ [الروم: ٢٢].

و - ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٥٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالْأَتَعِمِ مَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿فاطر: ٢٧-٢٨﴾.

ز - انظر ١ - ك.

١٠ - الاستدلال بالمقارنة:

أ - ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ب - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبُيْعَمَ اللَّهُ بِتَحْدُوثٍ﴾ [النحل: ٧١].

ج - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

د - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

هـ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

و - ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

ز - ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المؤمن: ٥٧].

ح - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

ط - ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٦﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٧﴾ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٨﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣٠﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

الردود القرآنية:

لقد رأينا عندما عرضنا الأدلة التي يستدل بها القرآن أن بعضها عقلي وبعضها حسى ثم رأينا أن العقلي يغلب عليه طابع الدليل الخطابى ولكنه فى بعض الحالات يقترب شيئاً ما من ترتيب الدليل المنطقى دون أن يتقيد بصورية هذا الدليل ثم رأينا أيضاً أن الدليل الحسى يتجه إلى حاستى السمع والبصر يحثهما على استيعاب آيات الله فى خلفه وفهم حكمته فيما يفعل وأن يصل الناس من ذلك إلى اعتقاد صدق الرسالة والرسول. والملاحظ فى كثير من الأحيان أن تساق الأدلة ردّاً على سؤال منكر أو عناد جاحد أو إفك كاذب ولكن الدليل لا يتحتم فيه أن يساق فى معرض الرد وإنما يأتى فى بعض الحالات حكاية عن نبي سابق كحين يروى قول إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢] أو قول الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [المؤمن: ٢٨]. ويساق فى حالات أخرى لبيان آيات الله كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ويتضح ذلك أيضاً من تكرار قوله تعالى فى سورة الشعراء:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وتكرار قوله فى الروم وفصلت والشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ وكل ذلك من قبيل الاستدلال على أن واهب النعم مستحق للعبادة. ومغزى هذا أن الدليل قد يقع فى

سياق الرد أحياناً ولكن ذلك لا يلتزم فيه. ويقال في هذه الحالة أن الرد اشتمل على الدليل ولكن الرد يغلب فيه ألا يشتمل على دليل وفي هذه الحالة يأخذ واحدة أو أكثر من الصور الآتية:

١ - التكذيب المباشر.

٢ - قلب الدعوى.

٣ - التعجيز.

٤ - الجواب.

٥ - التعليق.

٦ - التوجيه.

٧ - القول بالموجب.

٨ - الاعتذار.

٩ - السؤال.

١٠ - السخرية.

١١ - الإنكار.

١٢ - التوبيخ.

١٣ - الوعد.

١٤ - الوعيد.

١٥ - البراءة.

١٦ - التنزيه.

١٧ - الدعاء.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الردود تأتي في السور المكية والسور المدنية على حد سواء وهى في السور المكية موجهة إلى المشركين وفى المدنية موجهة إلى المنافقين وأهل الكتاب. ويعكس الرد في كلتا الحالتين موقفًا إيجابيًا من مزاعم مدعاة أو أعمال مقترفة بأيدى هؤلاء أو أولئك. وسنورد فيما يلى طائفة من الردود الصريحة الخالصة لغرض بعينه من الأغراض التى سقناها منذ قليل وهى التكذيب المباشر والقلب إلخ ثم نسوق بعد ذلك ردودًا أخرى تجمع بين اثنين أو أكثر من هذه الأغراض.

أولاً: الردود الخالصة لغرض واحد:

أ- التكذيب المباشر:

- ١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١-١٢].
- ٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣].
- ٣- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

ب- قلب الدعوى:

- ٤- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدِّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٥].
- ٥- ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].
- ٦- ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوَّاهٌ بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٤].

٧- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٥٦﴾
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٥٧﴾ [الأنعام: ٨
٩-].

ج - التعليق:

٨- ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴿١٥٣﴾ [النساء: ١٥٣].

٩- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ [الأنعام: ٣٧].

١٠- ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ أَحْسَنُ قَالَوَا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيْفٌ يَطْمِرُوْا بِمُوسَى وَمَنْ
مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَمَرْتُمُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ [الأعراف:
١٣١].

١١- ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ إِيْمَانًا قُلْ^{٥٨}
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يُسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٦٠﴾ [التوبة:
١٢٤-١٢٥].

١٢- ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٦٢﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢].

١٣- ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٦٤﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨].

١٤- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَهُمْ^١ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

١٥- ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجن: ٢٤].

١٦- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ^٢ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ^٣ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿١٦﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً^٤ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا^٥ وَيُشْرَى^٦ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١١-١٢].

١٧- ﴿وَقَالُوا آتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿١٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿١٩﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

١٨- ﴿وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ^١ لَئِنْ أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً^٢ مَعْرُوفَةً^٣ إِنْ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٣-٥٤].

١٩- ﴿فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [القمر: ٢٩-٣١].

٢٠- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨].

د- الاعتذار:

٢١- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ^١ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

٢٢- ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ؕ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ﴾ [الرعد: ٣٦].

هـ - الإنكار:

٢٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

٢٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

٢٥- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٣٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨-٨٩].

٢٦- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّنَا ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣].

٢٧- ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

٢٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

٢٩- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشُؤْ فِي الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٧-١٨].

٣٠- ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٣١- ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿[مريم: ٦٦-٦٧].

٣٢- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ ﴿٦٧﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٦٨﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿[القمر: ٤١-٤٣].

و- السخرية:

٣٣- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴿[الإسراء: ٤٩-٥١].

ز- الوعيد:

٣٤- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿[التوبة: ٨١-٨٢].

٣٥- ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا نَحْنُ بِمُحْسِبَتِهِ آلَا يَوْمٍ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿[هود: ٨].

٣٦- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿[إبراهيم: ٢٨-٢٩].

٣٧- ﴿وَقَالُوا يَتَّيِئُ الْآذَى نُّزْلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٢٩﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٠﴾ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿[الحجر: ٦-٨].

٣٨- ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦-٦٧].

٣٩- ﴿يَحْذَرُ الْمُتَنَفِّقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِبْنَ اللَّهِ مَخْرَجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

٤٠- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَمِعَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

٤١- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

٤٢- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْفَنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

٤٣- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنتُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

٤٤- ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَائِ إِنْ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿٦٧﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٢-١٠٤].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِطَ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٥-١٠٦].

٤٥- ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

فَتَتَّبِعْ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٥﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَبَضٍ فَتَرْتَبُؤُا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٤﴾ [طه: ١٣٥-١٣٤].

٤٦- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُورُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿١٣٧﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿[الأنبياء: ٣٨-٤٠]﴾.

٤٧- ﴿ وَتَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ
سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧].

٤٨- ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿[الحج: ٦٨-٧٠]﴾.

٤٩- ﴿ يَكَادُوبُ يَسْطُوبُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ
مِنْ ذِكْرِكُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٢].

٥٠- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ
اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ
لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿[الفرقان: ٢١-٢٢]﴾.

٥١- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٤١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿[النمل: ٧١-٧٢]﴾.

٥٢- ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٤٢﴾ يَوْمَ يَفْشَلُهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[العنكبوت: ٥٤-٥٥]﴾.

٥٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الروم: ٣٣-٣٤].

٥٤- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ هُم مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦].

٥٥- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٨-٢٩].

٥٦- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴿٣١﴾﴾ [سبا: ٣١].

٥٧- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٢﴾﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٦٣﴾﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُنْصَرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الصافات: ١٧٦-١٧٩].

٥٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٦٩﴾﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُن تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْعًا كَذَلِكِ لَكُمْ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمن: ٦٩-٧٤].

٥٩- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمن: ٨٤-٨٥].

٦٠- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٦٠﴾
فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْجِدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦-٢٨].

٦١- ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٦١﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ
وَسُعُرٍ ﴿٦٢﴾ أَلُفِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ﴿٦٣﴾ سَيَعْمُونَ عَذَابًا مِّن
الْكَذَابِ الْأَشْرِ ﴿٦٤﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٦٥﴾ وَنَبِّئُهُمْ
أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرْبٌ مَّحْتَضِرٌ ﴾ [القمر: ٢٣-٢٨].

٦٢- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٦٢﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٦٤﴾ أَوَّابًا أُنَا
الْأَوَّلُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ لَمُكْذِبُونَ ﴿٦٨﴾ لَا تَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ
﴿٦٩﴾ فَمَا لِقَوْمٍ مِّنْهَا الْبُطُونُ ﴿٧٠﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِّنَ الْحَمِيمِ ﴿٧١﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ
أَهْلِيمٍ ﴿٧٢﴾ هَذَا نَزَّاهُمْ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ [الواقعة: ٤٥-٥٦].

٦٣- ﴿ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَفَاةِ ﴿٦٣﴾ أَيْنَا كُنَّا عِظْمًا خِزَّةً ﴿٦٤﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا
كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٦٦﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٠-١٤].

٦٤- ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٦٤﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٦٥﴾
وَجِئَاءَ يَوْمَيْهِ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ ﴿٦٦﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

٦٥- ﴿ يَقُولُ يَلَيِّنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٦٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٤-٢٦].

ح - التنزيه:

٦٦- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَبِيلُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦].

٦٧- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٨﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

٦٨- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦٠-٦١].

٦٩- ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩].

ط - الدعاء:

٧٠- ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُزِّ الدَّوَابِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٨].

٧١- ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

٧٢- ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۚ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥-٤٦].

٧٣- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٧٤- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

٧٥- ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١].

ثانياً: الردود التي تبرز بين عرضين أو أكثر:

٧٦- ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾

قلب ﴿ قُلِ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

قلب ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

قلب ﴿ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾

وعيد ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]

٧٩- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا

وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ ﴾

تكذيب ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

تكذيب ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

وعيد ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأُنْفُسًا مَعَ أَنفُسِهِمْ ﴾

وعيد ﴿ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣]

٧٨- ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمَتَفِيقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا

وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ

مِنْهُمْ يَتَأْهَلْ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَفْذِنُ

فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴿٦٧﴾

تكذيب ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾

تعليق ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾

تعليق ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا﴾

[الأحزاب: ١٣-١٤]

﴿وَمَا تَلْبِسُوا بِهَا إِلَّا يُسِيرًا﴾

٧٩- ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾

تكذيب ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾

[البقرة: ١١١]

تعجيز ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٨٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾

تعجيز ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾

تعجيز ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

تعليق ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٨]

٨١- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾

تعجيز ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ﴾

تعجيز ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

تعليق ﴿فَلِأَنْزَعْنَاكُمْ فَاغْلَبُوا أَنْمَّا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

[هود: ١٣-١٤]

سؤال ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

٨٢- ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾

تعجيز ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾

﴿ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي ﴾ تعليق

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ﴾ تعليق

[الأنبياء: ٢٤]

﴿ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ تعليق

﴿ وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ -٨٣

﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ تنزيه

﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ﴾

﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾

﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ توبيخ

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ توبيخ

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ تنزيه

[النحل: ٥٧-٦٠]

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ تنزيه

﴿ أَمْ آتَاخُذُوا ۚ إِلَهَةَ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ -٨٤

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ۚ إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ حجة

[الأنبياء: ٢١-٢٢]

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ تنزيه

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا ﴾ -٨٥

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ وعيد

[الصافات: ١٥٨-١٥٩]

﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ تنزيه

٨٦- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا دُخِلَ فِي الْقُبُورِ لَا نَحْنُ وَلَا نَفْسُنَا﴾

توبيخ ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾

[التوبة: ٤٩]

وعيد ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

٨٧- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾

اعتذار ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

اعتذار ﴿وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

اعتذار ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ

تعليق ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

وعيد ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾

وعيد ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

وعيد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ [العنكبوت: ٥٠-٥٦]

هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

٨٨- ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾

سخرية ﴿قُلْ أَتُخَذَتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ؟﴾

سخرية ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

جواب ﴿بَلَىٰ﴾

وعيد ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ﴾

[البقرة: ٨٠-٨١]

وعيد ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾

حجة ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾

سخرية ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

حجة ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمْ [البقرة: ٩١-٩٢]

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

٩٠ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا

مَعْدُودَاتٍ ﴾

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾

وعيد ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وعيد ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾

تعليق ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤-٢٥]

٩١ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ

بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾

حجة ﴿ قُلْ مَنْ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِمِثْلِ مُوسَىٰ نُورًا

وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾

توبيخ ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾

سخرية ﴿ وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾

جواب ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾

توجيه ﴿ ثُمَّ دَرَزَهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١]

۹۲- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

إنكار ﴿قُلْ أَنتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ﴾ ساخر

تنزيه ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]

۹۳- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ

الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ توبيخ

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ قول

بالموجب

﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ إنكار

﴿فَأَنِّي تُصَرِّفُونَ﴾ وعيد [يونس: ٣١]

۹۴- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب

﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ

لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ سخرية

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ سخرية

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ﴾ سخرية

﴿عَلَيْهِمْ﴾

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب

﴿خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تنزيه

﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ تنزيه

[الرعد: ١٦]

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ٩٥

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظِيمًا﴾

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ سؤال

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سخرية

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾

﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ سخرية

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سؤال

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ سخرية

﴿قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سؤال

﴿وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَا يَجْأَرُ عَلَيْهِ﴾ سؤال

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سخرية

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾

﴿قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ إنكار

تعليق ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾

[المؤمنون: ٨١-٩٠]

تكذيب ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾

٩٦- ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾

تعليق ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ

مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

﴿وَإِنْ يَكُنْ هُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾

توبيخ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾

سخرية ﴿أَمْ أَرْتَابُوا﴾

سخرية ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنِ يَحْجِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾

[النور: ٤٧-٥٠]

تعليق ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

٩٧- ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ

وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ

مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾

إنكار ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾

إنكار ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكَاظِمُونَ﴾

تعجيز ﴿قُلْ قَاتِلُوا يُكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا

أَتَّبِعُهُ﴾

- تعجيز ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
- سخرية ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾
- سخرية ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾
- تعليق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصص: ٤٧-٥٠]
- ٩٨- ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ أَهْدَىٰ مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾
- حجة ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
- حجة ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾
- سخرية ﴿وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
- وعيد ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾
- وعيد ﴿فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾
- وعيد ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾
- وعد ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾
- وعد ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [الفصص: ٥٧-٥٩]
- ٩٩- ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
- سؤال ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾
- تعليق ﴿وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]
- ١٠٠- ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾

﴿ وَإِنْ تَصِبْتُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾

توبيخ ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم: ٣٦-٣٧]

١٠١- ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾

إنكار ﴿ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾

تعليق ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

وعيد ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴾

وعيد ﴿ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

وعيد ﴿ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]

١٠٦- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

إنكار ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

توبيخ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

توبيخ ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلَخِرِيًّا ﴾

توجيه ﴿ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٢]

١٠٧- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

توبخ ﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

١٠٨ - ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٨٨﴾ إِنَّ مِثْلَ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ

وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴾

﴿ فَأَتُوا بِغَابِئِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

وعيد ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعِّعَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

وعيد ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾

تعليق ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

١٠٩ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٣٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ

وعيد ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾

سخرية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَارَهُمْ ﴾

تعليق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ ﴾

تعليق ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾

وعيد ﴿ فَأَخْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾

١١٠ - ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَبُ الرِّسِّ وَثَمُودُ ﴿٣٦﴾

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿٣٧﴾ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ

وَقَوْمُ تَبَعٍ ﴾

﴿كُلٌّ كَذِبَ الرُّسُلِ﴾

وعيد ﴿لَحَقَّ وَعِيدُ﴾

حجة ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾

توبيخ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

١٠٢- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَدَ اللَّهُ﴾

تكذيب ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾

إنكار ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾

توبيخ ﴿مَا لَكُمْ﴾

توبيخ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

توبيخ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

سخرية ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾

تعجيز ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾

تعجيز ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[الصفات: ١٥١-١٥٧]

١٠٣- ﴿وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

لَيَقُولُنَّ ۖ اللَّهُ﴾

توبيخ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

حجة ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ﴾

حجة ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكِتُ رَحْمَتِيَّ﴾

تنزيه ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾

تنزيه ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

- وعيد ﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾
- وعيد ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾
- وعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّخْتَرٍ﴾ [الزمر: ٣٨-٤٠]
- وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿
- ١٠٤- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾
- إنكار ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾
- تنزيه ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾
- تنزيه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- وعيد ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]
- ١٠٥- ﴿وَجَعَلُوا آلَمَلَكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا﴾
- سخرية ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾
- وعيد ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]
- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ
- مِن عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]
- ١٠٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾
- وعيد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٦]
- ١١٠- ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رُّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ﴾
- إنكار ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾
- تعليق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

توجيه ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾

وعد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾

توجيه ﴿وَذَكِّرْ﴾

[الذاريات: ٥٢-٥٥]

تعليق ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١١٢- ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٦﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾

سخريه ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾

وعيد ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٧﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي

وَقَّى﴾

وعيد ﴿أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزَرَ أَخْرَى﴾

وعيد ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

وعيد ﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾

[النجم: ٣٣-٤١]

وعيد ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾

١١٣- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ

هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾

وعيد ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ

يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

تنزيه ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾

تنزيه ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾

وعيد ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

وعيد ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ

مُعِينٍ﴾

١١٤- ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾

.....

إنكار ﴿ أَفَتَجْعَلُ السَّالِمِينَ كَالْجَرِمِينَ ﴾

إنكار ﴿ مَا لَكُمْ ﴾

إنكار ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْمِرُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾

تعجيز ﴿ سَلِّهِنَّ ﴾

تعجيز ﴿ أَتَيْهْم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾

إنكار ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾

تعجيز ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾

تكذيب ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

[القلم ٢٥-٤١]

وعيد ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾

وعيد ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾

وعيد ﴿ إِنْ كِيدَىٰ مَتِينٌ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾

سخرية ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

- توجيه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾
- توجيه ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ١٨-٤٨]
- ١١٥- ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾
- ﴿عَنِ الْمَعِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾
- سخرية ﴿أَيُطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾
- جواب ﴿كَلَّا﴾
- سخرية ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٩]
- ١١٦- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾
- إنكار ﴿أَتَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾
- إنكار ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾
- إنكار ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾
- إنكار ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾
- دعاء ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ٦-١١]
- ١١٧- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۖ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾
- سؤال ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾
- سؤال ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾
- إنكار ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾
- جواب ﴿كَلَّا﴾
- وعيد ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾

سخرية ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾

وعيد ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾

وعيد ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾

جواب ﴿كَلَّا﴾

توجيه ﴿لَا تُطْعَمُهُ﴾

[العلق: ٩-١٩]

توجيه ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

١١٨- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾

قلب ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾

الدعوى

[البقرة: ٨٨]

تعليق ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

١١٩- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

وعيد ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾

[البقرة: ٢٠٦]

تعليق ﴿وَلَبِئْسَ الْجِهَادُ﴾

١٢٠- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَنَّنَا لَمِنَ الْفِتْنَةِ﴾

سخرية ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾

[التوبة: ٤٩]

وعيد ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

١٢١- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾

اعتذار ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي﴾

اعتذار ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾

اعتذار ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

اعتذار ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَنْكُمْ بِهِ﴾

حجة ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾

سخرية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦]

١٢٢- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾

﴿هَلْ تَحْزَنُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾

جواب ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾

جواب ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾

وعيد ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٢-٥٣]

١٢٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن

دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾

﴿وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾

سخرية ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

اعتذار ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]

١٢٤- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن

يَمُوتُ﴾

جواب ﴿بَلَىٰ﴾

وعد ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾

تعليق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]

﴿وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ - ١٢٥

وعيد ﴿تَاللَّهِ لَتُنْسَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ - ١٢٦

حجة ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾

تعليق ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٢]

أكذوبة الغرائيق يدحضها النص القرآني

مما توارثناه من أقوال السلف عبارة يُصَدِّقُها علم اللسانيات الحديث وبخاصة علم النص، تلك هي قولهم: "القرآن يفسر بعضه بعضًا". فالباحثون المحدثون في علم النص يصرون على قيام التكافل بين أجزاء النص الواحد، وعلى إمكان التكافل بين نص ونص، ويسمون ذلك مبدأ التناص *intertextuality*، ومعنى ذلك أن النص الواحد يفسر بعضه بعضًا وأن نصا ما يمكن أن يفسر نصًا آخر. ولقد انتفع المفسرون بتطبيق هذا المبدأ في تفسير آيات القرآن الكريم أيما انتفاع. فكثيرًا ما يحددون معنى آية على ضوء ما تقوله آية أخرى. مثال ذلك:

١- من قواعد النحاة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] تتطلب هذه القاعدة أن يعود الضمير في "أصبناهم بذنوبهم" على "أهلها" وبذا يكون الخلف قد عُوقِبَ بذنوب السلف. ولما كان ذلك يتعارض مع آية أخرى في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] امتنع التفسير بحسب قاعدة النحاة وعاد الضمير على "الذين يرثون الأرض"، فَفَسَّرَتِ الْآيَةُ الْأُخْرَى الْآيَةَ السَّابِقَةَ.

٢- ومن قواعدهم أيضًا أن العطف من وسائل الربط وأكثر ما يدل العطف على الربط حين يتوالى المتعاطفان بلا فاصل. وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ يمتنع عطف الملائكة على الضمير رغم توالى

اللفظين وذلك لأن هذا العطف يفيد معنى يتعارض مع قوله تعالى في آخر الآية: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فالقرآن يفسر بعضه بعضاً بحكم "التناسق" بين الآيتين في المثال الأول وبين جزئى الآية الواحدة في المثال الثانى.

ولكن المفسرين رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة قصروا فى بعض الحالات دون الوصول إلى الكشف عن علاقة التناسق على رغم بروزها بحيث لا يستدعى الكشف عنها كثيراً من الجهد، وذهبوا يلتمسون التفسيرات البعيدة عن العقل والمفتقرة إلى شروط النقل.

ومن ذلك مثلاً:

١ - قولهم فى تفسير سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقْتُ﴾ إن الله أنطق بهذه العبارة طفلاً فى المهد. على الرغم من اشتمال النص على قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ مما يدل على أن هذا الكلام بما فيه من سير وتقسيم قد دار بفكر الزوج بعد استماعه إلى التعارض بين الاتهام والرد، فحضور الزوج وشهوده ذبول الواقعة وإنهاؤه النظر فيها بطلب الكتمان من يوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ والاستغفار من امرأته ﴿وَأَسْتَغْفِرِى لِذُنُوبِكِ﴾ يجعله هو المقصود بأنه ﴿شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، ولا حاجة إلى القول بوجود شاهد خارق للعادة.

٢ - ومن ذلك أنهم صمتوا عن ذكر السبب فى إرسال يوسف إلى السجن من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءته مع وجود هذا السبب وذكره فى النص لمن شاء أن يذكره. فعندما أيقن العزيز من براءة يوسف ونهاه عن إذاعة خبر الواقعة بقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ لم يمض وقت طويل قبل أن يشيع الخبر ﴿وَقَالَ يَسُوفاً فى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾. عندئذ تردّد العزيز بين أحد احتمالين كلاهما يدعو فى رأيه إلى إلقاء يوسف فى السجن. فإما أن يكون يوسف هو الذى أفشى الخبر فاستحق

العقوبة، وإما ألا يكون ففى سجنه إيهام بأنه المذنب والمعتدى وفيه حفظ
لسمعة بيت العزيز.

٣- وقالوا فى نهى يعقوب لأبنائه عن أن يدخلوا من باب واحد إنه خاف عليهم
العين لأنهم كانوا أحد عشر رجلا لرجل واحد. ودون ذلك ملاحظتان:

أ- أن أهل المدينة لم يكونوا يعرفون أن هؤلاء لرجل واحد.

ب - وأن هؤلاء كانوا جماعة من البدو الذين تبدو عليهم الحاجة والتكشف فلا
ترقبهم عيون الحساد.

أما دلالة النص فتعطى السبب الحقيقى بقول الأب لأبنائه: "لتأتنى به إلا أن
يحاط بكم" فالخوف من أن يحاط بهم فيؤخذوا جعل الأب ينهاهم عن الدخول من
باب واحد لأنهم إذا أخذوا وقد دخلوا من باب واحد أخذوا جميعاً. أما مع الدخول
من أبواب متفرقة فإنه إذا أخذ البعض نجا البعض الآخر.

وهناك موضع آخر عجز فيه المفسرون عن الوصول إلى دلالة التناص هو
موقفهم المتردد فى فهم المكيدة التى دبرها أعداء الإسلام باختراعهم فرية الغرائق
إذ تردد المفسرون بين القبول والنفى والاعتذار دون أن يفتنوا إلى عطاء النص الذى
يكشف عن معنى آخر لا صلة له بهذه الأكذوبة التى اخترعها خيال مريض. لقد
اختلف موقف أفراد المفسرين من هذه القصة كما ذكرنا، وسنورد فيما يلى موقف كل
منهم بعد إيراد نص القصة المفتراة كما عرضها الواحدى فى أسباب نزول القرآن:

١ - يقول الواحدى: "قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ قال
المفسرون(*) : لما رأى رسول الله ﷺ قومه عنه وشق عليه ما رأى من

(*) ذكر محققو الكتاب منهم الطبري وصاحب الدر المشور والبغوي والخازن والقرطبي والفخر الرازي
وابن كثير وابن العربي وأبا جعفر النحاس وابن سعد والقاضي عياضاً والقاري والشهاب الخفاجي
وصاحب مجمع الزوائد وفتح الباري والبغدادى وابن المبارك والشيخ محمد عبده فى بحث له ملحق
بتفسيره لسورة الفاتحة.

مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات يوم في نادٍ من أندية قريش كثير أهله، وأحب يومئذ ألا يأتيه من الله تعالى شيء يَنْفِرُونَ عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ: ألقى الشيطان على لسانه لما كان يُحَدِّثُ به نفسه ويتمناه: تلك هي الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله ﷺ في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسعد المسلمون بسجوده وسجد جميع من بالمسجد من المشركين(*) فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليدين المنيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذوا حِفْنة من البطحاء ورفعوها إلى جبهتهما وسجدا عليها".

٢- ويقول ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائق.. ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مسنده من وجه صحيح(*). ثم يورد الروايات التي تتضمن أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى. ثم سجد وسجد معه المشركون، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ثم يروي ابن كثير عن البفوى أجوبة حكاهما عن الناس من ألطفها في نظره أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ.

٣- ويقول القرطبي: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى "تمنى" أى قرأ وتلا. و"ألقى الشيطان في أمنيته" أى قراءته

(*) لماذا؟ أكان في طقوسهم ما يتطلب ذلك؟.

(*) يراعى هذا!.

وتلاوته، وقد تقدم في البقرة (أى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ﴾).

الثانية: قال العلماء إن هذه الآية مشكلة من جهتين: إحداهما أن قوما يرون أن الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وغير مرسلين، وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبي حتى يكون مرسلاً. والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فأوجب للنبي ﷺ الرسالة....".

الثالثة: الأحاديث المروية في نزول هذه الآية وليس منها شيء يصح. وكان مما نُمُوّه به الكفار على عوامهم قولهم: حق الأنبياء ألا يعجزوا عن شيء فلم لا يأتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا في عداوته... روى الليث عن يونس عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: "قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فلما بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ ﴿وَمَنُوءَ النَّائِلَةِ الْأُخْرَى﴾ سها فقال: "إن شفاعتهم ترجى"... إلخ. ثم يروى عن ابن عطية قوله: "وهذا الحديث الذي فيه الغرائق العلا وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمى مصنف مشهور".

٤- ويشير النسفى إلى مضمون القصة ثم يقول: وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبي عليه السلام بهذا عمداً وإنه لا يجوز لأنه كفرٌ ولأنه بعث طاعناً للأصنام لا مادحاً لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ففى حقه أولى. أو جرى ذلك على لسانه سهواً وغفلة وهو مردود أيضاً لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحى... فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عن قوله ومناة الثالثة الأخرى

فتكلم الشيطان بهذه الكلمات... فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها.

٥- وفى معانى القرآن للنحاس: روى الليث عن يونس عن الزهرى قال: أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن النبى ﷺ قرأ بمكة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿سَهَا فَقَالَ: فإن شفاعتهم ترتجى. فلقيه المشركون والذين فى قلوبهم مرض فسلموا عليه فقال: إن ذلك من الشيطان. فأنزل الله جل وعز ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إلى آخر الآية.

٦- ويقول أبو حيان فى البحر المحيط: "وذكر الله مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه، وأنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه فى نفوسهم؛ كما أنه ﷺ كان من أحرص الناس على هدى قومه، وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبهًا يشبطون بها عن الإسلام". ثم يقول فى تفسير: ثم يحكم الله آياته: "أى معجزاته يظهرها بحكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقى الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمرضى القلب وللناسيه قلوبهم وليعلم من أدنى العلم أن ما تمنى الرسول والنبى من هداية قومه وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شىء إلى رسول الله ﷺ؛ إنما تضمنت حال من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا". ثم يقول: "والعجب من نقل هذا وهم يتلون فى كتاب الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ﴿صَلِّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ٢ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٣ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. وقال الله تعالى أمرًا لنبيه: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا

أَنْ تُبَيِّنَكَ لَقَدْ كِدْتُ تَزْكُنُ إِلَيْهِمْ ﴿ فَالتَّيْبِتِ وَاقِعَ وَالْمُقَارِبَةِ مَنَفِيَّةً . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ . وَهَذِهِ نَصُوصُ تَشْهَدُ بِعَصَمَتِهِ " .

إذا نظرنا إلى موقف العلماء السابقين من هذه القصة وجدنا ما يلي :

أ - منهم من رواها ولم يعقب فكانه يقبلها كما هي كالواحدى والنحاس .

ب - ومنهم من يطعن في القصة إما من حيث صحة الوجه الذى رويت به كابن كثير وإما من حيث منافاتها لكافة الاحتمالات كالنسفى وينتهى كلاهما إلى قبول أن يكون الشيطان هو الذى نطق بذكر الغرائق .

ج - ومنهم من رفض الأحاديث المروية في هذا الصدد كالقرطبى مشيراً إلى ما لاحظته غيره من أن هذا الحديث لم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره مصنف مشهور .

د - ومنهم من رفض القصة كلها مستعيناً بنص الآية : بقوله : وهذه الآية ليس فيها إسناد شئ إلى رسول الله ﷺ ، إنما تضمنت حال من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا آمنوا " .

فما وجه الصواب في كل ذلك ؟

وكيف يدل النص القرآنى بوضوح على أن هذه القصة كلّها إفك وافتراء أريد به الكيد للإسلام بالإيحاء بأن القرآن من إنشاء محمد ﷺ جاوبه تبعاً لهواه الشخصى وأنه نتيجة للامانى التى انكشف بعضها هنا وغاب البعض الآخر بعدم الرواية ؟ .

ذكرنا من قبل أن القرآن نص مترابط بعضه وثيق العرى ببعض بحيث يفسر بعضه بعضاً وإذا كان النقاد يمتدحون النصوص بقيام الوحدة العضوية في النص فما أوضح هذه الوحدة في القرآن الكريم . فإذا علمنا ذلك وأيقناه انفتح أمامنا اتجاهان يمكن أن نتوجه من خلالهما إلى دلالة النص القرآنى على بطلان هذه

الأكذوبة: أولها الاتجاه إلى استنباط البطلان من نصوص آيات قرآنية خارج سورتي الحج والنجم، والثاني الاتجاه إلى دلالة النص في هاتين السورتين اللتين لجأ المفترون إلى تحريف آياتها.

فأما من حيث دلالة النص القرآني في عمومه على أن القصة كلها اختلاق فإن القرآن الكريم يشتمل على الآيات الدالة على أن النبي ﷺ كان يتمنى أن يهدي الله قومه إلى الإيمان برسالته. يتضح ذلك في إصراره على دعوتهم وتحمل الأذى منهم ثم الدعاء لهم مع ذلك بالهداية "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون". وإن القرآن الكريم ليتدرج بالإشارة إلى هذه الأمنية والإصرار على تحقيقها من مجرد التنبيه إليها إذ يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أو يقول: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إلى النصح بعدم تجاوز الدعوة إلى ما هو إجبار وإكراه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ثم إلى الاستفهام الناهي عن ذلك ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ثم إلى النهي الصريح عن الحزن عليهم وقد أعرضوا عنه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وكذلك ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ إلى أن ينتهي إلى الإنكار المشوب باللوم في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِخَاعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾. ومعنى هذا أن النبي كان يتمنى أن تلاقي دعوته قبولاً في نفوس قومه، وأن هذه الأمنية توقُّ ورغبةً في نفسه وليست بمعنى التلاوة كما تكلف ذلك طائفة من المتكلفين. فالأصل في الألفاظ أن تدل على مدلولاتها بالمعنى الأصلي، وألا يصرفها عن هذا المعنى الحقيقي إلا أن توجد قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى. وهذه القرينة مظنتها بيئة الكلمة في النص ولا نلتمس بالتكلف في أسفار الشعراء لا سيما بالشاهد الوحيد الذي لا يدعّمه في الشعر العربي شاهد آخر.

أما قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ﴾ فشيبه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي أنهم لا يعلمون الكتاب حقاً ولكنهم

يخرفونه عن مواضعه وكذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ فلا شاهد في الآية.

وأما من حيث الاتجاه إلى آيات سورتي الحج والنجم فدعنا أولاً نتناول ما يدل
عليه النص في سورة الحج. ورحم الله أبا حيان فلقد كان الوحيد بين من ذكرنا من
المفسرين الذى اتجه إلى الدلالة اللفظية إذ تنبه إلى اجتماع النفي والجر على النكرة وما
يفيده ذلك من إرادة العموم في قوله تعالى: ثم فهم من ذلك أن محمداً ﷺ لم يسند إليه
بخصوصه شئ من مفهوم الآية وإنما هى عامة في الأنبياء. وفهم أبى حيان هذا مبنى
على الجانب النحوى من جوانب النص. ولكن في النص جانباً آخر هو مبدأ
"التناص" أى تكافل أجزاء النص بحيث يفسر بعضه بعضاً وهذا الجانب لم يشر
إليه أبو حيان ونودّ نحن أن نكشف عنه في هذه العجالة. فدلالة النص في سورة
الحج ليست محصورة في حدود الآية المذكورة وحدها وإنما تمتد إلى ما قبلها وإلى ما
بعدها من الآيات ذات الصلة تبدأ دلالة النص قبل هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ
يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿١٦﴾
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ﴾ ﴿١٧﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَهَا فِيهَا خَافِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُهَا
وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿١٩﴾
وَتَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَهَا أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿٢١﴾
قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ
اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ ﴿١٢﴾

هذه هي بيئة الآية في النص وهي تشير إلى الحقائق الآتية:

- ١- لا تعجب لتكذيب قومك لرسالتك فقد كذبت الأقسام السابقة أنبياءهم.
- ٢- لقد قضى الله على المكذبين وما أكثر القرى التى قضى الله عليها لهذا السبب.
- ٣- كان ينبغي أن يعلموا بأمر هذه القرى وقد ساروا فى الأرض بلا قلوب تعقل ولا آذان تسمع لأن فى قلوبهم عمى.
- ٤- إنهم يستعجلونك بالعذاب ولكن الله يملئ لهم حتى إن يوماً عند ربك يساوى ألف سنة بسبب هذا الإملاء لهم وسيأتيهم العذاب فلن يخلف الله وعده.
- ٥- وقد أملت لكثير من القرى ثم أخذتها ولن يكون هؤلاء بدعا من المشركين.
- ٦- بصّرهم برسالتك وأنت نذير مبين من آمن به نجا ومن كفر به وعانده وتحده أن يُنزل عليه العذاب فمصيره إلى النار.
- ٧- لا تأس عليهم فذلك شأن الناس من قبلك مع أنبيائهم، كانوا إذا تمنى الرسول هداية قومه ألقى الشيطان الشك فى قلوب قومه فيبطل الله كيد الشيطان بالإبقاء على الدعوة وبالإيذان بها فى قلوب البعض ممن أوتى العلم بصدق الدعوة.
- ٨- ذلك بأن الله يحول الشك فى قلوب مرضى القلوب إلى فتنة تحول دون إيمانهم ويهدى الذين أوتوا العلم إلى أن الرسالة هى الحق فيؤمنوا وتخضع قلوبهم.

٩- وسيظل الكافرون يجادلون حتى قيام الساعة أو حتى وقوع العذاب بهم.

هذا هو النص المتكامل الذى ينبغي أن يفهم المعنى بحسبه. أما بتر النص فإنه ييسر لأصحاب الفتن أن يكيدوا كيدهم للإسلام والقرآن. والمؤسف حقاً أن ترائنا

عوّدتنا على تقبل الشرح باستعمال معانى المفردات إذ يقول الشارح أو المفسر عند إرادة التفسير: قوله "كذا" أى كذا وكذا، فيربط المعنى باللفظ المفرد دون تعويل على دلالة النص في عمومته ولا على تكافل أجزائه. ولقد كان من نتيجة ذلك أن تسرب كثير من سوء الفهم إلى نصوص التراث على نحو ما رأينا من بعض مفسرى آية الحج هذه.

والأمر بالنسبة لآية النجم أكثر إثارة للعجب والدهشة، لأن الأمر هنا يتعلق بنص أقصر وأكثر دلالة على إرادة الكيد مما رأينا في آية الحج. فسياق آية النجم وما بعدها يأبى إباء تاماً أن يتسق مع هذه القصة المفتراة. يقول النص في سورة النجم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٥﴾. ولو أن النبى ﷺ قرأ ما نسبوه زوراً إليه لجاء النص على الوجه التالى: "أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. تلك هى الغرائيق العلى. وإن شفاعتهن لترجى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيرى. إن هى إلا أسماء سميتها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى". كيف يستقيم الكلام بهذه الصورة؟ بل كيف ترتجى شفاعتهن وهن لسن إلا أسماء سمّوها ما أنزل الله بها من سلطان؟ لقد رأينا كيف وقع بعض المفسرين فى الرّضوخ لهذه القرية وحاولوا إما التصالح معها أو الاعتذار عن مضمونها إلا أبا حيان فإنه أنكرها وردّها فى ضوء الدلالة النحوية لعموم النفى.

وفى القصة المزعومة أن النبى ﷺ حين فرغ من القراءة سجد وسجد معه من قريش من مكان حاضرًا أثناء التلاوة. ثم تبالغ الرواية فى الدقة فتنص على أن شيخين من شيوخ قريش لم يستطيعا السجود لسنهما فأخذا حفنة من البطحاء سجدا

عليها ذانكم هما الوليد بن المغيرة وأبو حيحة سعيد بن العاص. فلماذا سجد هؤلاء وأولئك.

أم لأن القرآن أخبرهم أن آلهتهم مجرد أسماء سموها لم ينزل الله بها من سلطان؟
أم لأنه قال: إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس؟

ثم كيف يكون الوليد بن المغيرة بين الساجدين وقد سمع الآيات تصفه بالبخل إذ يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ﴾؟ أليس مما هو أشبه بمنهجية الوليد وكبريائه أن يغلظ القول عندئذ للنبي ﷺ إذ إنه لا بد قد علم أن هذا الكلام قد سبق له هو دون غيره.